

البيان

مجلة أدبية ثقافية شهرية محكمة
تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت
العدد 345 - أبريل 1999م

■ في وداع البصير:

عبدالله خلف. د. نجمة إدريس

■ ملف المرح

■ التجريبي

محمد عزام. عبدالرحمن حمادي

■ قراءات نقدية

فاطمة يوسف العلي. ياسر الفهد

■ نصوص مسرحية:

د. عصام عبدالعزيز

براني سلاف نوشيتش



■ عواصم ثقافية:

القاهرة. دمشق. موسكو

البيان

العدد 345 - أبريل 1999

مجلة أدبية ثقافية شهرية محكمة تصدر
من رابطة الأدباء في الكويت

ثمن العدد

الكويت: 500 فلس، البحرين: 750 فلساً، قطر: 8 ريالات،
دولة الإمارات العربية المتحدة: 8 دراهم، سلطنة عمان:
ريال واحد، السعودية: 8 ريالات، الأردن: دينار واحد،
سورية: 50 ليرة، مصر: 3 جنيهات، المغرب: 10 دراهم.

الإشتراك السنوي

للأفراد في الكويت 10 دنائير.
للأفراد في الخارج 15 ديناراً أو ما يعادلها.
للمؤسسات والوزارات في الداخل 20 ديناراً كويتيًّا.
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت 25 ديناراً كويتيًّا
أو ما يعادلها.

المراسلات

رئيس تحرير مجلة البيان ص.ب. 34043 البغديلية -
الكويت الرمز البريدي 73251 - هاتف المجلة: 2510286 -
هاتف الرابطة: 2510282 / 2510602 - فاكس: 2510603

رئيس التحرير:

د. نجمة إدريس

سكرتارية التحرير:

نذير جعفر
علي عبدالفتاح

قواعد النشر في مجلة «البيان»:

- 1 - مجلة «البيان» مجلة أدبية ثقافية محكمة، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعني بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات الأصلية في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:
- 2 - أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلّة إلى جهة أخرى.
- 3 - المواد المرسلّة تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة ومدققة لغوياً ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.
- 4 - الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات تحال إلى مختصين وممكن للبت في صلاحيتها.
- 5 - موافقة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف.
- 6 - المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها فقط.

**LITERARY JOURNAL ISSUED
BY KUWAIT WRITERS ASSOCIATION
(345) April 1999**



Al Bayan

Editor-in-chief
Dr. Najmah Idris

Excutive Editors
Natheer Jafar
Ali Abd-el. Fattah

**Correspondence
Should Be Addressed To:
The Editor:
ALBayan Journal
P.O. Box: 34043 Audilyia -kuwait
Code: 73251 - Fax: 2510603
Tel: (Journal) 2518286 - 2518282-2510602**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْبَاطِنَةُ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتٍ ﴾

صدق الله العظيم

تنعي رابطة الأدباء في الكويت

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره
علما من أعلام الأدب، ورأئدا من رواد الحركة
الثقافية في الكويت والعالم العربي

الأستاذ
عبد الرزاق البصير

والرابطة إذ آلمها المصاب الجلل تتضرع إلى المولى
عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح
جناته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان

إنا لله وإنا إليه راجعون

كان يخشى أن تطول به رحلة المرض ورد أن لا يتقله الله على أرضه، إن الحياة لا تطاق إن اجتمع فيها الكبر والمرض، فعجل الله بمرضه.. فرحل بعد حياة حافلة بصراع مع الأفكار، وجهاد مع الأقدار، في بيئة غلبت عليها الأمية والفقر وقسوة الحياة في حال البلاد، لا يمكت فيها إلا النساء والأطفال وذوو العاهات وأصحاب الحرف الوضيعة، وفرص الكفيف كانت ضيقة قلبس له من الخيارات المتعددة، وليس له إلا العلم لكي يخرج من إطاره الضيق، وبدأ حيث كانت البداية في مدرسة بدائية للكتاب عند المطوعة صالحة الشمالى.. وانطلق برحلة العلم وخرج من أجواله الخاصة إلى أفاق المعرفة يحدوه فكر نير وشعور وطني متاجج، وروح عربية خالصة.. عابش ثلاثة أجيال وتعلق مع أبناء كل جيل وليس كغيره من أقرابه الذين هجروا الأدب والفكر لعدم انسجامهم مع الجيل الذي يصغروهم.. كان مع الجميع، يذهب لدعوة الطلبة الصغار في المدارس ويلقي عليهم كلمات النصيح والإرشاد ويشجعهم على القراءة، كما لا يتردد عن تلبية كل دعوة ويعتبرها تحية لأيد من الرد عليها رغم مشقة الذهاب والمجيء عنده.. بالإضافة إلى المجالس الخاصة «الدواوين» وما يتطلبه الرابطة الإجتماعي من زيارة الناس في كل مناسبة سارة كانت أو حزينة.

كان يتردد على المكتبات العامة وجمعته به كثيرا تلك المكتبة التي بجوار المعهد الديني في سوق مزدمح يربط بين ساحة الصرافين وشارع أحمد الجابر بين الصفاة ودرؤاة لعبد الرزاق، أمين المكتبة فيها المرحوم سهيل الزنكي، ومساعدته القارئ ناصر حسين محمد، ويجلس بقرب أحدهما بعد أن يطلب كتابا ويحدد فصله وصفحته وينبض ويصفي معه لقارئ الموضوع ونستفيد أكثر من القراءة العشوائية.. ويرشدنا إلى المراجع الفقهية وينصنا بقراءة المله والمهم والأهم ويوفر علينا عناء قراءة ما هو دون ذلك، ويرشدنا إلى المراجع في كتب الأدب، ولكنه كان يضع مذكرات طه حسين «الأيام» فوق كل مقام.. يتأثر بتلك البيئة الريفية الفقيرة التي خرج منها الدكتور طه، وشق طريقه من تلك الأجواء المظلمة إلى طريق النور ورحلة الإصرار من القرية النائية إلى العاصمة الكبرى التي يتيه فيها الميصرون الحذرون، فسلك طرقا قاتية وأسواقها إلى مركز المدينة القديمة حيث الأزهر ومقام الحسين والمساجد المترابطة في قلب العاصمة.. وبإصرار وجرياء شق طريقه نحو الأزهر، رغم عدم اقتناعه بالكتب الصغراء التي يرفض المتعلقون بها أن تجد، فرغم راية الاحتجاج على الأنظمة التقليدية في الدراسة والتدريس وطرح موضوع الشك في نواح عدة من البحث، وخاصة الشعر الجاهلي وبعض روايات الأدب الصطنعة.

ويشده كتاب الأيام بشدا إليه ويتمنى لو تصفح ويرفاته كل يوم ليكلف على زوايا دقيقة لا تكتمل صورها إلا في ذهنه عندما يقارنها بحياته الخاصة في صغره.. هناك قرية نائية في الريف المصري، وبيئته لا تبعد عن حال القرية حيث البساطة وحياة لا تبعد عن حياة الفلاح، منازل طينية يدهمها الليل مبكرا فتكف عن الحركة لتستقبل ليلا طويلا مملا بقضى معظمه بين البقطة والنوم ويتكور في لحافه ولا يبدي من جسده شيئا، ويحكم الغطاء على رأسه ويديه ورجليه حتى لا تؤذيه الغفاريات ولا يقرب منه الجن فيخرجون من مكانهم إلى عالم الأنس، وخاصة وأن الكل ينام فلا يجد من يدافع عنه.. هكذا كان حديث الناس وشاغله، وعمته الليل الطويل لعدم دخول الكهرباء في البلاد كانت تزال الإنسان وتجعله في خيفة من أمرا.

وفي الصباح بخرج ليتحسس حائط البيت ويسمع صخب الحي الضيق وتأتي اخته وتجرح بعنف إلى داخل البيت ليكون في مأمن عن مخاطر الطريق حيث الدواب التي تحمل أثقال الناس، ويسمع صخب الأطفال ويود الاحتجاج بهم ولكن كيف يكون له ذلك وهم يترامضون من شارع إلى شارع ويمارحون ويعاكسون الآخرين، ويجرون مصفقين وراء المعتوهين الهائمين في الطرقات.

أما سلامة البصر فلا يعيها وهو طفل صغير، أطراف متقطعة يحاول أن يجمع منها صورة فتتكسر عند الذاكرة، يقول إنني لا أعرف ما تكون الألوان ولو تصورتها لأشفت غليلي، عندما يصف لي مرافقي وأنا في الأسفار لا أتمتع إلا بروائح الورود، دون أن أعرف ألوانها وكيف ذلك وأنا الكاتب الذي لا تكتمل عنده الصور الجميلة إلا بمعرفة الألوان.

أم حنون بيكيها حالي فتخاف علي من الطريق ومخاطر المارة والعربيات والحمير والبغال ولم تألف السيارات بعد، وكانت تخشى علي من عنف الصبية حتى الذين يصغروني، فامات هذا الحرص في الشجاعة ولم أطق السير لوحدي في الطرقات لوحدي حتى الكبر..

ووالدي شديد علي إلى درجة القسوة لكن لا يشعرني بأنني أقل من غيري من اخوتي، وكل ذلك لم يترك في نفسي جرحا كما ترك امتناعه عن معالجة عيني حتى اكلمها الزمد، كان يأخذني إلى من يقرأ عليهما، كما يفعل الجبهة الآن، مع الفارق.. إن الأولين علموه بهجالة بلا علم إلا أن

فالتجاهل رغم علمهم لتصيد السذج والمغفلين.. ونصحوا والذي أن يذهب بي للأطباء في العراق أو إيران ولكنه فضل القراءة، حتى القاني في غيابها الظلمة وقدرى الظلم مدى الحبا.

هذا الأسى والإحساس بالمرارة جعلته في صراع مع نفسه ليتحدى واقعه ويخرج من سجنه إلى النور والحياة، وأسعفه ذكاؤه وهو يتلقى دروس حفظ القرآن عند الطلوعة صالحة الشمالي، غيره كان ينظر في لوجه الحجري وأجزاء من ربيعة القرآن وهذا يعتمد على صفاء ذهنه ورغبته في التعليم..

كبر الطفل عبدالرزاق بن إبراهيم وتلقى علوم اللغة والفقه حتى نبغ فيهما.. إلى أن صار أول كويتي ينلق دروساً في المجالس الدينية الحسينية.. كما عمل قاضياً.. ولكنه كان يميز ما يوافق العقل ويرفض ما يجافيه، عرف أن في هذه العلوم شوائب منها ما يطلق عليها بالإسرائيليات وأخرى تراكت منذ عهود التخلف، اطلع على التراث الديني حسب المذاهب واختلاف الملل فوجد التطرف الذي يوقع المسلمين في خلاف أزلي.. وتعلم الناس إلى أن جاء حاضرنأ فتالم أكثر لظهور التطرف رغم التقدم العلمي وكان الناس في عصرنا يعودون إلى جاهلية تفوق جهل الآباء الأئيين.

ترك الاكتساب بالدين لعدم قناعته به والناس في خلف وتفرق.. هجر ذلك ليتفرغ لأدب، دخل العمل الوظيفي سنة ١٩٥٦ كأمين لمكتبة إدارة المطبوعات حتى صارت وزارة الإعلام وبقي يرعى هذه المكتبة إلى أن عظمت وتحول مكتبه إلى منتدى أدبي.. يبحث ويقرأ ويكتب ويستعين به الناس متسائلين، انفرجت طرق سوية أمامه فابصر فيها نوراً بعد تلك المعاناة ولقى الفرج بعد المرارة وأدرك فكاراً ثيراً متحرراً من التعصب.. ومن الأدب عرف جوهر الدين وغاية الأديان الأخرى.

انشغل بالقضايا الوطنية من سنة «المجلس التشريعي» في ١٩٣٨ حيث كان عمره ٢٢ عاماً كان عضواً في لجنة التوعية وخطب مع الخطباء.. وكان يلبس «الدشداشة» ويعتمر بغترة زرقاء دون عقاب حسب رواية الأستاذ عبدالعزيز جعفر.

وبعد أن تازمت الأحوال في هذه الفترة احتجب إلى أن أسدلت الستارة على أحداثها. عاد بعد ذلك إلى النوادي الثقافية فاشترك في النادي الثقافي القومي الكويتي عام ١٩٥٢ وكتب في صحف الخمسينيات ومجلاتها، مجلة الإيمان، وصدى الإيمان، وكتب في الخارج بمجلة العرفان اللبنانية والرسالة المصرية للزيات وجريدة البحرين، وفي الكويت بجريدة الشعب التي أصدرها الأستاذ خالد خلف، ومجلة البعثة التي أصدرها طلبة الكويت في القاهرة سنة ١٩٤٦.

ثم تجلى في مجلة العربي، وانطلق بإبداعاته الأدبية في مجلة البيان الصادرة عن رابطة الأدباء منذ ١٩٦٦.

وكانت مقالاته تعبر عن إحساسه الوطني والقومي. قال عنه الأستاذ خالد سعود الزيد في كتابه أدباء الكويت في قرنين الجزء الثاني «إنه عربي الوجدان واللسان، حرمة نعمة الحياة البصر فاشرق ببصيرته عليها معطياً إياها العطاء الأوفى توقف أثرابه عن الكتابة فواصل هو يكتب في الصحف والمجلات...».

وقال عنه الدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه الحركة الأدبية والفكرية في الكويت - إصدار رابطة الأدباء - ١٩٧٣ «هو أسخى كتاب المقالة في الكويت، وما من حادثة إلا ويكون هو أول الكاتبين عنها» وجاءت سيرته مفصلة في كتاب الأدبية ليلي محمد صالح (أدباء وأدبيات الكويت أعضاء الرابطة) ١٩٦٤ - ١٩٩٦.

وهكذا شق حياته من وراء حجب الظلام لتشرق له الدنيا بعد مرارة العيش.. وينطبق على حاله ما تفرج من قول الشاعر محمد الفايز في مذكرات بحار قوله:

ومن الشמוש اللاهيات وجرما

ومن المرارة تُخلق الأفكار

قد علمتنا الشمس كيف تُضاء في

حلك الظلام مع السرى الأنوار

سر الحياة بأن تُعاكس ليلاً

وتشع حيث تحيطك الأستار

ولكل صقر رحلة وتنتقل

ولكل نجم قمة ومدار

والأرض كالإنسان فيه محبة

ويه جحيم الحقد والإبهار

رحم الله أستاذي عبدالرزاق البصير الذي ودعناه إلى ملواه الأخير وبجواربه الغافر الكريم في صباح الاثنين الخامس من أبريل سنة ١٩٩٩.

- كلمة البيان: تحية بعد الوداع عبدالله خلف
- في تكريم الأنصاري والبصير د. نجمة إدريس 7

■ الدراسات:

- المسرح التجريبي محمد عزام 12
- التجريب في المسرح العربي عبدالرحمن حمادي 21
- خطاب التجريب في المسرح العربي عبدالكريم برشيد 39
- اللدائن واستخداماتها في تنفيذ المناظر المسرحية د. عبدالرحمن الدسوقي 45

■ نصوص مسرحية:

- لاعب البراغيث د. عصام عبدالعزيز 63
- الزر/ برانيسلاف نوشيتش د. جمال الدين سيد محمد 82

■ قراءات نقدية:

- نماذج وصور للمرأة في القصة الكويتية فاطمة يوسف العلي 89
- السقاف والتراث الشعري العربي ياسر الفهد 98

■ عواصم ثقافية:

- حصاد «البيان» «البيان» 104
- القاهرة محمد الحمامصي 114
- دمشق علي الكردي 118
- موسكو د. أشرف الصباغ 122

كلمة أقيمت في الحفل التكريمي للأستاذين الأدبيين

عبدالله زكريا الأنصاري

عبدالرزاق البصير

• د. نجمة إدريس

يومكم إشراق وبهجة..
وحضوركم أجمل صباح أمدتنا إياه هذه الجلسة الحميمة.. هذا البوح
الآليف.. والعيون المزروعة وداً ورضى.
دعونا في البدء نستأنس بهذا الشعر الذي كتبه رجل رقيق الحاشية،
خفيض الصوت، هادئ الخطو والجلسة والإيماء، وكأنه يطأ قطن الغيم أو
أكؤس الزهر فيخشى أن يروّع عالمها. لذا يأتي صوته همساً، وحضوره خفة،
وإيماءه إشارة ملتفة بالحياة..

يقول عبدالله زكريا الأنصاري من نص بعنوان: «الأمر أمرك»:
الأمر أمرك ليس غيرك إن منعت وإن سقيت
الأمر أمرك ليس غيرك إن جفوت أو ارتضيت
الأمر أمرك ليس غيرك إن دنوت وإن نأيت
الأمر أمرك ليس غيرك إن أظعت وإن عصيت

يا ملهم الشعراء آيات البيان بكل بيت
يا مخزن الفكر المجنح كم سموت، كم اعتليت
يا خمرة الخلد المعتقة المشعشة الكمية
يا منبع الإلهام كم من نبعك الصافي احتسيت
وكرعت منه فرسخت عطفي خمر ك فازدهيت
كم رحت أرشف من لماك السلسيل فما اكتفيت
وطفقت أسبح في هواك وما ضللت وما غويت
ونهلث روح الشعر ملء مشاعري حتى بكيت

يا شعريا قبسا به وجهت وجهي واهتديت
وبصرت ألوان الرؤى ملء الجوارح واجتليت
ريح النبوة فيك تحيي من عبيرك كل ميت

عندما اقترحت لجنتنا الثقافية في قسم اللغة العربية هذا الحفل التكريمي لأديبينا الجليلين عبدالله زكريا الأنصاري وعبدالرزاق البصير وجدت نفسي مدفوعة برغبة قلبية للمساهمة في هذا التكريم، لا أشرح هذه الظاهرة الأدبية المتمثلة بضييفنا الكريمين بحيادية أكاديمية باردة، وإنما لأعبر عن شعور إنساني خاص يرطني بهما، شعور تكون ونما منذ سنوات صباي الباكر عندما كنت ما زال طالبة في السنة الثالثة في صف الليسانس في قسم اللغة العربية، طالبة لم تتعد العشرين، تروى بقلق وتردد إلى تلك الساحة المهيبة المغرية، ساحة الأدب والفكر والشعر. فتراها تارة أطول من قامتها، وأوسع مدى من عالمها الصغير المقفر، وتراها تارة أخرى قلعة شامخة بأبواب باذخة الطول يحرسها سدنتها، وترى أن الوصول إلى الحديقة يستلزم المرور بحراس بواباتها والاستئناس بقبولهم وبشاشتهم. ومن هنا بدأ التواصل المبكر، ممنزجا بالتحفظ حيناً وبالجرأة حيناً آخر.

كنت أرمق حينها ذلك الرجل المختلف(*) مرة ومرات في زياراتي القليلة إلى رابطة الأدباء... ذلك الرجل المشتغل بعباءته ونظاراته الغامقتين، المشرع ابتسامته الواسعة على الحياة، المرفف سمعه لذيبي صخبها وعنفوانها، يتشربه ببصيرته وحسه المتوهج. رجل يحفه البشر أينما حل، وتصاحبه الدعابة، وتضج أعطافه تفاعلا وانسجاما مع ما حوله ومن حوله، وكأنه بذلك أدرك للحياة سرا مكتونا مغريا يشخص نحوه بابتسامة سخية لا تنتهي... سرا لا يدركه أولئك المتجهمون من المبصرين!

لعل أستاذي البصير يتذكر تعرفه الأول بي عن طريق تلك المقالة التي نشرتها في البيان أواخر السبعينات عندما كنت ما زال طالبة على مقاعد الدراسة، أرد فيها على موضوعه المطروح للنقاش حول «وحدة الأدب العربي». ولعله يذكر أيضا تلك الروح المتحفزة المتحدية التي كانت تشمل مقالتي. روح فيها من حماس الشباب وفورته وتباهيه ما ظهر جليا في تلك الأسئلة المدببة، وفي المناكفة والمشاكسة واستعراض العضلات الفكرية. ألم أكن أجادل عبدالرزاق البصير؟

إذن لا بد من إثبات الوجود... وتطبيق مقولة: أنا أفكر، إذن أنا موجود. لقد كانت مجرد لعبة مبهرة عودتني السير على الحبال الصعبة، ثم مع مرور الأيام وجريان العمر بدأت أدرك بأن اللعبة غدت مسؤولية، وإنني متورطة جدا بهذه المسؤولية.

أما أستاذي الأنصاري فمازلت أحتفظ برسائله المطولة المرسلة لي بتاريخ 19 يناير 1979، وفيها من العناية والإكبار ما أدهشني وملأني امتنانا.. أنا الفتاة الغرة الملتحفة بصمتها وغموضها آنذاك، يتحفني أديب جليل مثله بكرمه وتواضعه. وقد دددت أن أستشهد ببعض مقاطع من تلك الرسالة الحميمة، لولا أنني وجدت فيها ما يشي بمدح الذات وتقريطها، وهذا مما لا يجوز في هذا المقام ولا في أي مقام آخر أيضا. وإنني إذ آتي على ذكر هذه الرسالة، فإن دافعي الأوحده الإشارة إلى ما تميز به عبدالله زكريا الأنصاري من تواضع جم، وإنسانية غامرة، ورغبة في بث الثقة والاعتداد بالنفس في

أرواح الناشئة، وأشعارهم بخيرية رؤاهم وغرسهم الغض.
وهكذا كان أديبانا الجليلان على جانب من الكرم والحنو، لا يسفهان رأيا، ولا يستهجنان التجارب الغضة والأعواد الطرية، في حين قد يلجأ غيرهما من الأدباء الكبار في تعاملهم مع الناشئة إلى أسلوب القسوة والزجر وتقليم الأجنحة، محتسبين الخير فيما يفعلون، ولكن كم لهم من ضحايا، ومواهب ذهبت بددا!
إن كنا نحتفي اليوم برجلين أحبا للأدب والفكر وروّضا نفسيهما على الخوض في غماره، فإننا بالأحرى نحتفي بمعلم من معالم حياتنا الأدبية، وبحقبة تنعكس فيها جهود التأسيس لحركة أدبية ناشطة تحمل مذاق التفتح والتحديث، وعنفوان الانطلاقة نحو التسابق مع عالم متغير، عالم يرفد المشهد الثقافي بشتى التيارات والرؤى، ويعيد صياغة القنوات القديمة، ويخلخلها، أو يصنع حولها الحروب الصغيرة، والشرارات الماكرة التي تحيل السماء إلى مهرجان للألعاب النارية.. يتألق بعضها ويبهز وينطفئ بعضها إلى هشيم.

وسط هذا الجو الثقافي الموار على امتداد الوطن العربي إبان خمسينات وستينات هذا القرن، كانت الأصابع المشاكسة الطموحة ترتعش بانفعال وجراءة راسمة لنا مشروع لوحة تستحق أن نحدق بها ونفك خطوط ألوانها: في العراق تنظّر نازك الملائكة لقصيدة التفعيلة، وترغد نظريتها بأراء نقدية رصينة في شكل ومضمون حركة الشعر الحر.. بينما يتألق السياب معها ويتجلى وهو يكابد الحنين والمرض والتمرد. وفي لبنان يقف خليل حاوي مبشرا بولادة حضارة أمة من رماذ قنينيقها المحترق. وفي سوريا يتحدى أدونيس الاعتيادية والحياد بالبحث عن لغة تركب صهوة المخالفة وتنخز جواد الدهشة. بينما كان نزار قباني يلعب بالألوان والموسيقى متمردا على آراء القبيلة في المرأة ومحرمات المجتمع والسياسة. وفي مصر كان صلاح عبدالصبور يغرق في أحزانه الصوفية الباهرة، ويلوب عبدالمعطي حجازي في شوارع الغربية ودروب مدينة بلا قلب. ماذا يجمع بين هؤلاء جميعا، وبين أديبينا عبدالله الأنصاري وعبدالرزاق البصير؟ ليسوا جميعا أبناء حقبة تاريخية واحدة، وجيل واحد؟ إن نظرة فاحصة لسنوات ميلادهم ترينا أنهم جميعا ولدوا في العقد الثاني من القرن العشرين، وإن شذ واحد أو اثنان فإن ذلك لن يبعد بنا عن مطالع العقد الثالث. فقد ولدت نازك عام 1923 والسياب ونزار عام 1926 و خليل حاوي عام 1920 وعبدالله زكريا الأنصاري عام 1922 وعبدالرزاق البصير عام 1923، ولو بحثنا عن الآخرين (عبدالله زكريا - والبصير) بين عامي 1950، 1960 وهي فترة تألق شعراء وأدباء الطليعة، وموران آرائهم التجديدية في الشعر ووظيفة الأدب، نقول لو بحثنا عنهما في هذا الجو الصاخب عربيا، لوجدنا عبدالله زكريا جالسا إلى مكتبته في بيت الكويت في القاهرة ينجز مهام وظيفته، أو ربما متجولا في شوارع القاهرة وأنديتها الأدبية، لاقطا بأذنيه وحواسه ما تضح به من أطروحات متقبلا حيناً، ومتحفظا أحيانا أخرى. تدفقه رغبة الشغف بالجديد تارة، ويصده تارة أخرى الخوف من ضياع هوية القصيدة العربية، والخشية على قنوات يؤمن بأنها أسس وركائز لفن الشعر وأنها ما تزال تمتلك حرمتها وقديسياتها. كان التجديد في شكل القصيدة خاصة يחדش في نفسه ذلك الإطار المألوف والحميم للقصيدة المتساوية الأسطر التي ما خرج يوما على ألفتها وتقليديتها شكلها فيما كتب من نتاج شعري. فقد

كان التجديد في نظره.. وهو مع التجديد دائما.. هو ما مس مضمون القصيدة، هو ما تتضمنه من تجليات واندياحات تخرج بها عن إطار المكروه والمعاد.. هو تلك الجرأة على إثارة المدهش والمختلف اللذين يتخلقان في رحم المعاناة، وأتون العاطفة الصادقة. وطالما أسهب عبد الله زكريا الأنصاري وأفاض في الحديث عن ارتباط النص المؤثر بالشعور الصادق والإحساس المتوافر بالاحتماد واللذة حين الدخول في عالم القصيدة.. وقد لا يطول استغرابنا إذا عرفنا بأن المنحني الأكثر بروزا في شعر الأنصاري، هو الحديث عن ماهية الشعر.. عن كيفية تخلفه في المخيلة.. عن غواياته وإغراءاته.. لذة وصله وعذابات صدوده... عوالمه المروعة وموسيقاه المهيبة الغامضة التي لا تهبط إلا على من «خصه الله بحمل رسالة الشعر الإنسانية» على حد تعبيره.

نعم كان عبد الله زكريا الأنصاري مع التجديد دائما لأن في التجديد تطورا ونماء وحياة. ولكنه كان يتحفظ إزاء التماذي وكسر القوانين، فهو يؤمن إيماننا راسخا بجملة من الشروط تحكم أي جنس من الأجناس الأدبية. وتلك الشروط.. في نظره.. لازمة للمحافظة على نسقه واستمراره وحضوره المشروع.

ولو التفتنا إلى رفيق دربه وابن جيله الأستاذ عبد الرزاق البصير في ذات الفترة الزاخرة بمخاضات التغيير على نطاق الأدب العربي عامة، لوجدناه عاكفا على تحرير مقالاته الصحفية وشذراته الفكرية والأدبية، أو منكبا على القراءة في كتب الشعر والتراث، مأخوذاً بشخصياتها المتجددة وزخم عصورها التي تملؤه إعجابا وتقديرا. وهو في غمر استجلابه لمكونات التراث وترنحه أمام لذة اكتشاف روحه المتجددة، ينطلق ببصيرته أيضا نحو ما يضيح به عصره من معطيات فكرية وأدبية، يقبس من رياضها ويسير في ركاب قطارها المنطلق إلى الأمام.

وكان له مع أعلام عصره من الأدباء والشعراء أكثر من وقفة واستجلاء، إن لم تكن صداقة قلبية وتامسا روحيا. ألم يرشحه طه حسين عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة؟ ألم يجالسه فهد العسكر، ويبهره بنكهة حديثه الطازج ورؤاه المختلفة؟ ألم يغره بمجالسته وصداقته وتلمس تلك الروح المختلفة في وسط كانت ما تزال تحكمه التقليدية والركود؟

ومن هنا أدرك عبد الرزاق البصير أن التقيؤ بظلال التراث فقط فيه خيانة للحياة ولسنة تجدها. وأدرك أيضا أن في التنكر لذلك الميراث الثرائيات غير محمود يعري روح الأمة من هويتها وسيمائها. ووجد أن التواصل بين الأصالة والمعاصرة هو الطريق الأكثر أمنا وسلامة.

لعل الملمح المهم في فكر البصير هو أنه فكر متنوع ملون يستوحي شجرة المعرفة الإنسانية وبيارك تفرعات غصونها وتلون أنساقها. فكتبه تكاد تكون مائدة عامرة بصنوف المشارب العقلية والمأكول الروحية، فهناك الأدب والاجتماع والفلسفة واللغويات، وهناك التاريخ والتراجم وشذرات من السير، وهناك أبو ذؤيب الهذلي والعباس بن الأحنف وحافظ إبراهيم وسومرست موم. إنه مشهد عامر للثقافة الإنسانية واندياحاتها، مشهد لا يزال أستاذنا البصير ملتزما بسبيل أغواره حتى يومنا هذا، عبر ما يسجل ويكتب من مقالات وموضوعات في الصحافة المحلية. ولعل هذا الاستمرار في التواصل والعطاء يشير إلى سمة التجدد والتفاعل والالتزام بدوره

الاجتماعي الذي قطعه على نفسه وأخلص له. ألم يقل في كتابه «تأملات في الأدب والحياة» ما نصه:

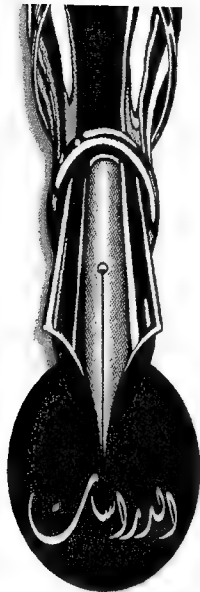
«إن الأديب الحق هو ذلك الذي يتأثر بالأحداث ويؤثر فيها. أما الفرد المنعزل عن الحياة لا يكاد يعرف عنها شيئاً فإننا لا نستطيع أن نسميه إلا أديباً مزيفاً. لأن الأديب الحق هو الذي يقوم بتأدية رسالته كما يجب حتى ولو أدى ذلك إلى إزعاجه أو اضطهاده لأن ذلك من صميم مسؤولياته».

ولعله من فضلة القول أن نشيد في ختام هذه الكلمة بما اشتملت عليه آراء أديبيننا الفاضلين عبد الله زكريا الأنصاري وعبد الرزاق البصير من تفاؤل ورؤية خيرية للأمور وروح طموحة وإخلاص للقيم الإنسانية والمثل العليا، ومن هدوء ورياسة في معالجة القضايا ونضج في التعبير عنها، مبتعدين عن مهارات استجلاب الشهرة والأضواء، أو معاداة الخصوم، أو إشعال الحروب الصغيرة والكبيرة. كان عصرهما وفسحة نتاجهما عامرين بالإخلاص لقضايا الإنسان، واحترامه، ومحاولة كسبه وإغناء روحه وفكره وعاطفته. وجهودهما وإن كانت متواضعة - كما يدعيان - فإنها بلا شك ترسم جزءاً مهماً من خريطة أدبنا المحلي وتؤسس لحقيقته الحديثة.

أيها الأعزاء ...

شكراً لحضوركم الجميل، في هذا اليوم الذي نهدي فيه وردة المحبة لرجلين جعلنا عالمنا أكثر خصوبة وبهاء.

(●) الأستاذ عبد الرزاق البصير



■ المسرح التجريبي

محمد عزام

■ التجريب في المسرح العربي

عبدالرحمن حمادي

■ خطاب التجريب في المسرح العربي

عبدالكريم برشيد

■ اللدائن واستخداماتها في تنفيذ المناظر المسرحية

د. عبدالرحمن دسوقي

المسرح التجريبي

محمد عزام

١- تعريف:

ما هو التجريب؟
هل هو التجديد في الرؤية
والمضمون؟ أم التقنية
والأسلوب؟ أم في كليهما معا؟
الواقع أن التجريب هو
إخضاع العمل للاختبار بغية
الوصول إلى نتائج يمكن الحكم
عليها. والتجريب هو امتحان
(الأدوات) للحصول على
(شكل) فني جديد، لا يفصل عن
(المحتوى). وعلمياً: إذا تغير
(الشكل) تغير (المضمون) تبعاً
له. والتجريب في المسرح يعني
اصطناع الوسائل التعبيرية التي
يملكها المسرح من تقنيات
إخراج وتمثيل، وتطوير
مكتسبات التقدم العلمي في
التقنية المسرحية، لتحقيق
التواصل مع الجمهور،

والارتقاء بوعيه المسرحي. فالمسرح التجريبي يحاول أن يقدم، في مجال (الشكل) أو (التقنية) المسرحية أسلوباً جديداً يتجاوز الشكل التقليدي، لا بقصد تحقيق نجاح تجاري، وإنما بغية الوصول إلى الحقيقة الفنية.

2- عن المسرح التجريبي الغربي:

نشأت التجريبية الغربية حين جدّت (أشكال) مسرحية نبذت المسرح التقليدي بعلبته الإيطالية، وبحثت عن (أشكال) (وتقنيات) جديدة للمسرح، نتجت عنها أنواع عديدة للمسرح: كالمسرح الوجودي، والرمزي، ومسرح العبث واللامعقول، والمسرح الملحمي (بريخت)، والمسرح الارتجالي (بيرانديلو)، والمسرح التسجيلي (بيسكاتور، وبيتر فايس)، والمسرح الشامل، والمسرح الحي، ومسرح القسوة، ومسرح الشارع، والمسرح الفقير.. إلخ. وكلها يمكن أن تنضوي تحت لواء (التجريبية).

وستتم مناقشة بعض هذه المسارح، وعلى الخصوص ما أثر منها في المسرح العربي المعاصر، كالمسرح الملحمي، والمسرح الارتجالي، والمسرح التسجيلي (أو الوثائقي).

3- المسرح التجريبي العربي:

إذا كانت التجريبية الغربية قد بدأت منذ مطلع القرن العشرين، وما تزال مستمرة حتى اليوم، والمستقبل، فإن مسرحيين لم ينتبهوا لها إلا في مطلع الستينيات، وبعد أكثر من مئة عام من ممارستهم المسرح التقليدي (الأسطوي).

وقد تقبل مسرحيوننا (التجارب)

المسرحية العالمية التي دعت إلى كسر حائط الوهم بين الممثلين والجمهور، وإشراك المتفرجين في الحوار والمناقشة، واتخاذ موقف مما يجري أمامه من تمثيل. ولعل ما زاد في قبولها أنها ليست جديدة على المشاهد العربي: فالمسرح الملحمي الذي عمد إلى كسر الإيهام المسرحي، وأشرك المشاهد، وطالب بالتغريب، يمكن أن نجد عناصره هذه في (الأشكال) والظواهر المسرحية التراثية: مسرح السامر الشعبي، ومسرح الحلقة، ومسرح القهوة، والحكايات.. إلخ. وهكذا تلاءمت (الحداثة) الغربية و(الأصالة) التراثية في المسرح التجريبي الجديد.

واقامت من أجل المهرجانات المسرحية (مهرجان المسرح التجريبي في القاهرة بدءاً من عام 1988) بالإضافة إلى المهرجانات المسرحية العربية التي تقام في قرطاج، ودمشق، وبغداد، وبيروت، والخليج.. إلخ.

كما أنشئت الفرق المسرحية التجريبية في معظم الأقطار العربية، ففي مصر أنشئ (المسرح العالمي) عام 1963 وقام بدور مهم في تقديم الدراما الغربية، حيث قدم أربعاً وثلاثين مسرحية غربية في أربعة مواسم هي كل عمره الوردي.

كما أنشئ (مسرح الجيب) في مصر عام 1962 من قبل جماعة من طلاب المسرح الذين درسوا في أوروبا، وجعلوا منه منتدى للمسرحيات التجريبية والطليعية، وقدموا فيه خمس عشرة مسرحية من المسرح الغربي خلال سبعة مواسم هي مدة بقلته. وعندما توقف ظهرت مسارح بديلة منها: (مسرح المئة كرسي) الذي أسس عام 1968 في مصر، و(مسرح القهوة) الذي أسس عام 1970 في مصر أيضاً.

الموسيقية.. وفي كل الأحوال كانت تلك الفصول مشاريع تمثيلية لبطل واحد. وهكذا طالما دأبت مخيلتي فكرة الكتابة لممثل واحد. وكانت لي تجربة في كتابي: سبعة أصوات خشنة (1978)، وهو يضم مجموعة من المسرحيات القصيرة، ثم هذا الكتاب حيث الفكرة الواحدة مقابل الشخصية الواحدة التي قد تكون في تناقضها الدرامي مع نفسها أو مع آخرين هي جوهر الأعمال القصيرة هذه، الفكرة المتمثلة في الإحباط الإنساني وهو يواجه الحياة، فالمقاومة الغريزية الداخلية لذلك الإحباط (5).

كما عرج ولید إخلاصي على مسرح العبث واللامعقول، فأظهر فقدان التواصل الإنساني، وعجز اللغة عن التوصيل، ففي مسرحيته: الليلة لنلعب (1972) يحاول إخلاصي تلخيص الوجود البشري من خلال الأجواء الغرائبية التي تلفها الفلسفة الوجودية بجوها العيبي، حيث تبدو الحياة حفرة قذرة تتم فيها الأحداث، ولا حل سوى الموت أو الحصار في الحفرة القذرة. أما الأمل فعبث لا جدوى منه. وفي مسرحيته: إطلاق النار من الخلف (1976) تفتقد اللغة توصيلها بين البشر. وكذلك الأمر في مسرحياته: حدث في يوم المسرح، والبكاء في غياب القمر، والثرثرة، وأيهما الحضور الكريم، وقريبا من ساحة الإعدام.. إلخ.

وتتكرر في مسرح إخلاصي إدانة الطبقة البرجوازية، ورفض أفكارها وعاداتها وقيمها السائدة، وإضافة إلى إدانة الاستبداد والعسف والكبت مهما كانت أشكاله، رغم أن إخلاصي هو ابن هذه الطبقة البرجوازية الصغيرة، إلا أنه بدلا من أن يكون لسانها الناطق باسمها فإنه تصدى لها ورفض قيمها الزائفة، ولا

وفي سورية عمل الكتاب المسرحيون ذوو الميل التجديدية في مجال التجريب المسرحي، أمثال ولید إخلاصي، ورياض عصمت، وفرحان بلبل، ولید فاضل، وغيرهم.

فقد كثر التجريب في مسرح ولید إخلاصي، وكثر انتقاله السريع بين (أشكال) مسرحية عديدة ومختلفة: فمن التزامه بأصول المسرح التقليدي في مسرحياته: أوديب مأساة عصرية (1978)، وهذا النهر المجنون (1980)، وكيف تصعد دون أن تقع؟ (1988)، ورسالة التحقيق والتحقيق (1989) حيث يعتمد الحوار المنطقي، والحبكة الأرسطية، والتمهيد والعقدة والحل.. إلى اللجوء إلى التعليمية وكسر جدار الهم كما في: عجايب إنهم يتفرجون (1988).. وإلى الخروج عن القاعدة والمألوف، في محاولة لتخطي مرحلة التعريب والحلم بالوصول إلى (شكل) عربي للمسرح (1) إلى الرومانسية، كما في: سبعة أصوات خشنة التي تعالج القضية الوطنية من خلال خلفية وجودية، باندفاع شديد نحو التجديد، والتجريب اللفظي حيث يصنفها مؤلفها بأنها: (مسرحيات تجريبية، من أجل مخيلة ذكية، ومن أجل مسرح الشباب على وجه الخصوص) (3) إلى دراما الممثل الواحد (و المونودرامي). وهو من أفضل الذين كتبوا بهذا الشكل من بين المسرحيين السوريين، على قلة من جَرَّبَ هذا الأسلوب، وأغزر من كتب هذا الشكل الدرامي (4) كما في أغنيات للممثل الوحيد (1984) التي يقول في مقدمتها: (وكما في الموسيقى، فالسوناتا التي كتبت لألة وحيدة أساسا، للكشف عن المهارة، لا تختلف أو أنها لا تقل أهمية عن البناء السيمفوني الذي تشارك في إظهاره عشرات الآلات

(روز = الثورة المجهضة). وهكذا يُقتل الأمل. تماماً كما هو الحال في مسرح العبث واللامعقول.

وفي مسرحية (الذي لا يأتي) يصرّح عصمت في مقدمتها بأنها مسرحية تجريبية، ينقل فيها تجربة مسرح العبث إلى المسرح السوري، وإلى جمهور لا يعاني ما عاناه المجتمع الغربي، راعياً في زرع نبذة غربية في أرض عربية، رغم اختلاف المناخ والحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية بين البيئتين، ورغم اختلاف المشكلات التي تطرحها هذه الحيوانات بين هاتين البيئتين المتناقضتين: تقدماً وتخلّفاً. وهو فيها يرسم خطى بيكيت في مسرحيته (في انتظار غول) المشهورة.

وفي مسرحية (الحداد يليق بأنتيغونا) يستخدم رياض عصمت عدة أساليب فنية مسرحية: التقريب البريختي، والجوقة، وهدم الجدار الرابع بين الخشبة والصالة، والرموز، والإشارات.. في خلطة عجيبة تتقافز فيها الأفكار كالأسماك.

لقد غرق عصمت في حمى التجريب لأنه يريد أن يلاحق ما يستجد في الغرب. وهذا ما جعله يجمع تقنيات متعددة ومتناحرة أحياناً مجرد أن يظهر معرفته لها، وليستعرض مخزونه الثقافي. وهو بهذا ضحية الاستلاب الثقافي الغربي. ولهذا تجمعت في مسرحه المدارس جميعاً، والأفكار جميعاً، بل يلجأ، على طريقة طلاب المدارس إلى الاستشهاد بالآيات الشعرية والكليشيهات الثقافية المحفوظة (6).

ويبقى رياض عصمت ابن شرطه الطنقي أولاً، فهو ابن البرجوازية الصغيرة التي نالت حظاً من الثقافة، فأرادت، وهذا حقها، أن تصل إلى الحرية والسعادة، عبر

عجب فإن البرجوازية السورية التي شهدت الخمسينيات والستينيات مرحلة صعودها، وقد شهدت السبعينيات والثمانينات مرحلة أفولها. وقد كان إخلاصي شاهداً على هذا السقوط، فصار يطلق على جثّة ميتة. ولما استنفدت هذه الطبقة شعاراتها (الثورية) في مرحلة صعودها، واستلمت السلطة، فأظهرت ديمagogيتها واستهتارها بالشعارات التي طرحتها، والتي لم تنجز منها شيئاً، وانقلبت إلى كايح يحد من عفوية الجماهير ومطالبها، فإنها حاولت أن تغطي هذا الجمود الفكري والضعف الذي انتابها، وفقدان ثقة الجماهير بها، بالاتجاه نحو (الأشكال) التي اعتقدت أنها تمّد في أجلها، أو تحاول اللهو بها فترة تجذبها نحوها الأنظار. ومن هنا اتجاه إخلاصي نحو العبثية، والعمية، والتجريدية.. إلخ. وهنا أصبح إخلاصي لسان هذه الطبقة المنهارة، والمعبّر عن سقوطها التراجيدي.

يشارك إخلاصي في تجربة التجريب في المسرح السوري الكاتب رياض عصمت الذي عاش تجربة المسرح ممثلاً ومؤلفاً، وناقداً مسرحياً. وقد أُلوع بتتبع التجارب المسرحية الغربية، وعلى الخصوص المسرح الوجودي والمسرح العبثي، ومسرح اللامعقول، في مسرحياته: النجوم واللبل الطويل (1971)، والسندباد (1981)، وهل كان العشاء دسماً أيها الأخت الطيبة (1979)، والحداد يليق بأنتيغون.. إلخ. حيث تسود الأجواء الغرائبية، وتكثر الرموز والإشارات..

في مسرحية (هل كان العشاء دسماً..)) حياة غريبة، وشخصيات غريبة، هي مجرد رموز يمثلها عجوز هرم يعيش في برميل قمامة، ويشير إلى المجتمع الهرم. بينما أخواته تقطن العروس وجنينها

العرض.

والعرض الثاني هو (رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة) وهو من إعداد سعدالله ونوس أيضاً، مأخوذاً عن مسرحية بيترو فايس المعروفة باسم (كيف يتم تخليص السيد موكينبوت من الآلهة)، وقد أثارت أيضاً الكثير من الحوار والمناقشة.

والعرض الثالث هو (ثلاث حكايات) وهي: حكاية ضربة الشمس، وحكايات صديقنا بانتشو، وحكاية الرجل الذي صار كلياً. والحكايات الثلاث من تأليف أوزوالد وديراكون، وإخراج قواز الساجر).

وتقدم الحكاية الأولى قصة بائع متجول يصاب بضربة شمس، فيقضي أوقاتاً صعبة بين عيادة الطبيب، ودار الأشعة، وزوجته التي تحته على العودة إلى العمل، حتى إذا استهلكت زيارة الطبيب دخله كله، عاد إلى العمل، ليسقط ميتاً عند قاعدة التمثال الذي نصب في إحدى ساحات المدينة، تكريماً للعمال الكادحين الذين لم ينل واحد منهم حقه حتى في العلاج.

وفي الحكاية الثانية قصة إنسان يعتبر نفسه مسؤولاً عن الطاعون الذي تفشى بين سكان أفريقية الوسطى، فهو يعمل في شركة عالمية لتعليب اللحوم، بأجر لا يحقق طموحاته المعاشية في مجتمع استهلاكي. ولكنه عندما يقدم عرضاً للشركة، وهو تسويق لحم الجردان المملب إلى أفريقية، يرتفع أجره أضاعافاً مضاعفة. ولثلاً يقع (بانتشو) في تأنيب الضمير فإنه يسأل المحامي والطبيب والعالم عن مشروعية إطعام لحم الجردان للزئوج، فيجيزون له ذلك. وعندما يتناول سكان أفريقية الوسطى لحم الجردان يتساقطون صرعى الطاعون، في الوقت الذي يُقصد فيه

حلول فردية. وهو ابن تكوينه الثقافي، لأنه لم يستطع التحرر من أسر الثقافة الغربية، فسيطر عليه، وسحرت تفكيره وطبعته بطابعها. فقد أراد أن يجمع كل شيء، فبدأ مسرحه خليطاً من الأفكار والأشكال، لا يضمها إلا اتجاه التجريب (7).

4. المسرح التجريبي عند ونوس؛

وفي سورية أسس ونوس في دمشق عام 1966 (فرقة المسرح) حيث تجمع عدد من المسرحيين والممثلين حول سعدالله ونوس العائد حديثاً من دورة تدريبية في فرنسا. وقد ساعد على إقامة هذا التجمع الناجح الذي لاقتته مسرحيته (حفلة سمر...)، وصرح عند تشكيلها: (نحن نريد قول الحقيقة كاملة. ونريد أن نخلص إلى شكل جديد للمسرح، وأن يشارك الجمهور في العروض بشكل إيجابي فعال، كما يشارك المؤلف والمخرج والممثل).

ولكن عمر هذه الفرقة الوليدة لم يطل، فقد قدمت مسرحية واحدة فقط، من تأليف ونوس وهي (مغامرة رأس المملوك جابر) التي منع عرضها لمدة عام ثم سُمح به.

وجديد هذه الفرقة يتمثل في كسر حاجز الإيهام المسرحي بين الممثلين والجمهور، ونزول الممثلين إلى الصالة، والاستفادة من المسرح الملحمي (بريخت) والأشكال المسرحية المعروفة في التراث وفي عام 1976 أنشئ في دمشق (المسرح التجريبي) واختير سعدالله ونوس مديراً له فقسام بإعداد ثلاثة عروض. إذ كان الجمهور مبهوراً بهذا العرض الذي يعتمد على ممثل واحد فقط، يشغل المنصة طوال

للمسرح، من خلال إلغاء جزء من المنصة، ووضع قسم من الممثلين في الصالة، من أجل إيجاد جماليات مسرحية جديدة.

وآخر عرض قدمه (المسرح التجريبي) كان في عام 1980 وفيه تم إلغاء خشبة المسرح (في صالة القباني بدمشق)، وراح الممثلون يؤدون أدوارهم بين ممرات مقاعد المتفرجين. ووزع على المتفرجين كراسا جاء فيه: (الغينا خشبة المسرح، هل هو تجديد شكلي وفذلكة؟ يقينا لا. فمشكلة المكان المسرحي هي واحدة من المشاكل الأساسية التي وجدنا ضروريا معالجتها في سياق عملنا التجريبي. إن هندسة مسارحنا التي نسخرها عن نموذج واحد من نماذج المسرح الأوروبي، ونعني المسرح على الطريقة الإيطالية، تشكل عائقا أمام تكوين علاقة حارة وفعالة بين الفرقة والمتفرج، بين العرض والجمهور).

ولعل أهم ما يميز ونوس من الكتاب المسرحيين الآخرين هو التصاقه الحميم بالمسرح، ومثاقفته إياه في فرنسا، وفي مسارحها التجريبية الجديدة على الخصوص. ومعايشته المستمرة لهذا الفن بحيث تحول هاجسا إبداعيا وقلقا مصيريا، وقد أخلص له فلم يكتب إلا فيه، في الوقت الذي تجد فيه كُتّابا آخرين وزعوا جهودهم واهتمامهم بين أجناس أدبية عديدة. كما أن اندماجه في العمل المسرحي، وتأسيسه لفرقتين مسرحيتين، ورئاسة تحرير مجلة (الحياة المسرحية) التي تصدرها وزارة الثقافة بدمشق، وإسهامه في المهرجانات والندوات المسرحية المحلية والعربية والعالمية، ومعايشة التجارب المسرحية في الوطن العربي والعالم، وتنظيره في (بيانات) من أجل مسرح عربي جديد. كل هذا جعله

(بانتشو) من عمدة المدينة وسام (الصحة العامة)، لأنه نظف المدينة من الجردان. والحكاية في ذروتها هي لحظة يقظة ضمير (بانتشو)، وافتضاح أمر الصفقة، ولجوء الشركة إلى طرده من العمل بحجة أنه أطعم الناس لحم الجردان. وهذا عمل (غير إنساني).

أما الحكاية الثالثة (حكاية الرجل الذي صار كلبا) فهي قصة رجل متزوج، يعيل أسرة، ويبحث عن عمل. ولكن أبواب العمل مسدودة في وجهه، فيعرض: عليه أحد أصحاب المصانع أن يعمل لديه بدلا من كلب الحراسة الذي مات. ولكن بشرط أن يعيش في الحظيرة المخصصة للكلب، رغم ضيقها، وأن ينبع كالكلب إبعادا للصوف، مقابل أجر وطعام زهيدتين. فيرضخ الرجل بدافع الحاجة والجوع، ويقضي معظم وقته في الحظيرة. ولكن زوجته تغضب من شناعة هذا العمل، وتترك زوجها، وهي حامل، خشية أن تلد كلبا، لأنها شعرت أن زوجها أراد أن يعضاها بدلا من أن يقبلها، وأنها حاولت عبثا أن تعيده إلى وضعه العادي ليمشي على قدميه، بدلا من أربع، فلم تفلح. وفي النهاية تلد الحامل كلبا.

والقاسم المشترك بين هذه الحكايات الثلاث هو نموذج الإنسان الكادح المسحوق في المجتمع الاستغلالي الاستهلاكي. والفرق الفاضح بين من يملكون كل شيء، ومن لا يملكون شيئا. وبين التعمس الذين يبحثون عن عمل فلا يجدونه إلا في شروط قاسية وغير إنسانية، وبين أرباب العمل الذين يريدون كل شيء لهم وحدهم فحسب.

والعرض فضح جديد للاستغلال في العالم، بأسلوب مبتكر في الإعداد والإخراج، حاول كسر الأطر التقليدية

يكتب والخشبة ماثلة في ذهنه، ويرى شخصياته تتحرك حية على خشبة المسرح، مما خلصها من الكثير من الاستطلاات والاستطرادات الأدبية.

ويرى ونوس أن مشكلة المسرح العربي بعد مرحلة الرواد الأوائل هي أنه ربط نفسه بالمفهوم (الأكاديمي)، وقد حركته بقوالبه الجامدة. فقد استوردنا مسرحاً جاهزاً وميتاً، وغرسناه في بلدنا، وكانت لدينا سذاجة الاعتقاد بأن هذا الشكل ليس إلا وعاء محايداً، يمكننا أن نضع فيه المحتوى الذي تلاءم مع حاجاتنا وقضايانا (8).

إن لم نجد بداً لنا نبحث عن المسرح العربي، بعد أن قيدنا أنفسنا بمسرح واحد هو الذي يعاني سكرات الموت - على حد تعبير جان جينيه - وحين أقيمت في عواصمنا مسارح مشيدة على الطريقة الإيطالية بدأت متاهتنا وبدأ الخطأ. والآن، كي نعود فنقوم بالمعادلة، لا بد من نبذ التعريفات (الأكاديمية) الجاهزة، والانطلاق من حقيقة أنه ليس مفهوم واحد للمسرح، بل مفاهيم متناقضة، بحيث لا يبقى لدينا أي تعريف للمسرح إلا أنه (ممثل، ومتفرج). وعند هذه النقطة يمكن حل الإشكال القديم. ليس (التعارض) بين هويتنا الثقافية والمسرح (بمفهومه الأوروبي)، وإنما من هو المتفرج؟ ما هي حاجته وقضاياه؟ كيف يمكن أن نتفاعل معه في احتفال (أو فرجة) بحيث يتبدل ويتبدل معه في سياق حركة المجتمع نحو التقدم. وإن مسرحاً (تجريبي) - يقول ونوس - هو وحده الذي يستطيع أن يقدم لنا تعريفنا الخاص للمسرح. تعريفاً يتجاوز التبعية ويضمن الخصوصية (9).

ويرغب ونوس، قبل كل شيء، في أن يزيل الالتباسات التي تحيط بكلمة

(تجريبي). وأول هذه الالتباسات هو تحديد الفرق بين ما تعنيه في أوروبا، وما تعنيه بالنسبة لنا. فالتجريب في أوروبا هو محاولة لإنقاذ المسرح الذي يموت، أو محاولة للخروج من الباب المسدود الذي يواجهه الثقافة البرجوازية.

أما بالنسبة لنا فإن (التجريب) يعني البحث عن المسرح أو خلق مسرح (أصيل) وفعال في المناخ السياسي والاجتماعي الراهن. إن نسخ التجارب المسرحية الأوروبية لا يفيدنا إلا في تعميق تبعيتنا للغرب، كما أن الانكفاء على الذات، والبحث عن (الأصالة) في أرشيف الفولكلور يبدو لنا ساذجاً وتبسيطاً سطحيًا للمسألة. فالفولكلور لا يستطيع أن يبني ثقافة على حد تعبير العروي. والبرجوازية التي ولدت مرتبطة ببرجوازية المتروبول والتي تبحث عن استقلالها الاقتصادي والثقافي والتي توهمت أنها تستطيع بدءاً من الفولكلور بناء شخصية ثقافية لها أصالتها. لكن كما فشلت في الاستقلال الاقتصادي فإن الفولكلور الذي سرقته من الطبقات الشعبية لم يسعفها إلا في أن تبدو مضحكة وهينة أكثر (10).

وعلى هذا فإننا في (المسرح التجريبي) نبحث عن مسرحنا، وبعيداً عن الحلول السهلة والجاهزة. وسنبداً - يقول ونوس - من المتفرج. وسنحاول دراسة استجابته وعاداته في التدفق. والقضايا التي يعاني منها. ثم سنجرّب بعد ذلك العثور على (الأشكال) أو المواد الفنية التي يمكن أن تحقق لنا التفاعل معه، والتي يستطيع المسرح هذا الاحتفال الجماعي الذي يبذل المتفرج، ويؤكد إحساسه بجماعية المصير والمستقبل (11).

وهكذا ينطلق ونوس، في تجريبه المسرحي، من الراهن، ومن وضع

بمسرح (السامر) الشعبي عند محمود دياب وغيره من ممثلي (المسرح التأصيلي) في جميع أنحاء الوطن العربي، هذا المسرح الذي يحاول المواءمة بين التراث (في توظيف الأشكال المسرحية)، والحدائق (في تصوير قضايا الواقع المعاصر)، ولم يقصر ونوس وظيفة (الحكايات) على القص وحده، وإنما منحه إلى جانب ذلك قدرة مستقبلية على استقراء الأحداث، فكانما جعله ضميراً للتاريخ، وبدلاً للجوقة في المسرح الإغريقي، وذلك في مغامرة رأس الملوك جابر.

خوامش:

1. وليد إخلاصي. النص المسرحي بين التعريب والتجريب. مجلة (الحياة المسرحية). ع2. خريف 1977. ص 112.
2. مجلة (الموقف الأدبي). ع 4. 5. آب. أيلول 1975.
3. وليد إخلاصي. سبعة أصوات خشنة.
4. د. غسان غنيم. المسرح السياسي في سورية. دار عملاء الدين. دمشق 1996. ص 290.
5. وليد إخلاصي. أغنيات للممثل الوحيد. ص 5. 6.
6. غنيم 296.
7. نفس 297.
8. الأعمال الكاملة 3 / 81.
9. نفس 3 / 82.
10. نفس المرجع والصفحة.
11. نفس المرجع 3 / 83.
12. نفس المرجع 3 / 459.
13. مسعد الله ونوس. مقدمات لدراسات في المسرح المعاصر. مجلة (المعرفة). آب 1970. ص 68.

المتفرجين، مستفيداً من عاداتهم في الفرجة وأشكال استجاباتهم لها. ومن هنا نشأت محاولاته البحث في (أشكال) الفرجة. ولم يكن مهماً بالنسبة له، أن يسمى التجربة: احتفالية، أو طليعية، وإنما أن يقدم مسرحاً قادراً على الفعل والتأثير، وقد سمى أول فرقة مسرحية أنشأها (فرقة المسرح)، أي أنه تحاشى النعوت الإضافية والتعريفية. (12)

ومن هنا انطلق ونوس يبحث عن (أشكال) التعبير أو الظواهر شبه المسرحية في التراث العربي، وعلى الخصوص بعد وعيه للطريق المسدود الذي وقف أمامه المسرح الغربي والعربي، وبعد أن اكتشف، في مثاقفته بفرنسا، ضرورة العودة إلى التراث، وتوظيفه (شكلاً ومضموناً) في المسرح الجديد. وهو ما يزال يذكر نصيحة المخرج الفرنسي (جان ماري سيرو) له: (إن من الخطأ أن تبني مسارح على الطريقة الأوروبية. بوسعكم أنتم بالذات أن تساعدوا التجربة المسرحية على الخروج من الأشكال المتجمدة التي وصلت إليها أوروبا. فهنا يتحول التراث المسرحي الثقيل عبثاً يجمد حركتنا، ويقيد قدرتنا على التفكير بأشكال وأساليب جديدة. أما في مناخ بكر، فإن الفرصة واسعة لأن تكون البداية حرة وعفوية ومليئة بسخونة الاحتفال الجماعي). (13)

لكن ونوس يرى أن استلزام بعض (أشكال) الفرجة التي عرفها العرب لا يكفي لتحقيق مسرح عربي واضح الهوية، ما لم تملأ هذه (الأشكال) المسرحية بمضمون معاصر. ومن هنا اعتمد ونوس على مسرح (الحكايات) المأخوذ من التراث، وهدفنا إلى إقامة علاقة بين جمهور الصالة والمتفرجين، مما يذكرنا

التجريب في المسرح العربي

.. أزمة تجريبية أم أزمة مسرح؟

بقلم: عبدالرحمن حمادي

ما زالت التجريبية في المسرح العربي تشير تساؤلات كثيرة حول جدواها وجدوى الاستمرار بها في ظل الأزمة التي يعيش فيها المسرح العربي، ولذلك تتعالى أصوات بعض النقاد مهاجمة كل المحاولات التجريبية في المسرح العربي، ومتهمة إياه بزيادة غربة المسرح العربي لأن المشاهد صار يحمل قناعة بأن المسرح العربي هو هذه الأشكال التجريبية التي تعادل الأشكال العبثية في الشعر الحديث، وبالتالي لا يسلم مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي مثلاً من حملات نقد شديد تطالب بإيقافه وتحويله إلى مهرجان مسرحي تعرض فيه مسرحيات

مقارنة
بين
التجريبيتين
العربية
والغربية

مفهومة ومقبولة من الجمهور على غرار مهرجان المسرح الخليجي.

وفي الجهة المقابلة يقف أصحاب التجريبية عاكسين الاتهامات، فالمسرح العربي برأيهم، هو فن مستورد من الثقافة الأوروبية، ولم يستطع أن يتحرك كثيراً في ظل تقديسه للشكل الأورو-عربي، وهو ما سبب أزمته الحالية، ولذلك يجب العمل على تحطيم الشكل المستورد للمسرح لاكتشاف أشكال جديدة تناسب ثقافتنا العربية، والوصول إلى تلك الأشكال الجديدة لا يمكن أن يتم إلا عبر التجريب.

من جهة أخرى.. إن المسرح الغربي الذي استوردنا مسرحنا منه لم يتوقف عن التجريب، فلماذا يحق للمسرح الغربي أن يمارس تجريبه ولا يحق لمسرحنا العربي بهذه الممارسة؟!

إنه في الحقيقة صدام حاصل ما بين دعاء التجريبية في المسرح ومناهضيها تقودنا إلى فهم التجريبية في المسرح كضرورة نقارن من خلالها التجريبية في المسرح العربي، وهل ظروف التجريبية المسرحية في الغرب مشابهة لظروف تجريبيتنا، وهل الأسباب واحدة ما بيننا وبينهم؟

تاريخ المصطلح

نبدأ من المصطلح (Experimental) فنجد أساسه علمياً اخترعه (داروين) في نظرية التحول في منتصف القرن التاسع عشر، وطرحه بمعنى ضرورة التحرر من النظريات العلمية القديمة كأساس لاكتشاف نظريات جديدة، واستطاع داروين تأسيس مدرسة علمية تجريبية كان من أعضائها كلود برنارد في بحثه

(مقدمة في دراسة علم الطب التجريبي). وفي نهاية القرن التاسع عشر انتقل المصطلح إلى الفنون التشكيلية عندما أسس مانيه ومونييه الحركة الانطباعية على أساس التحرر من طرق التصوير القديمة واستعمال أساليب جديدة، وبسرعة انتقل المصطلح إلى الأدب على يد أميل زولا الذي تأثر بنظرية داروين، فاستعمله تحت اسم (الرواية العلمية) داعياً إلى التحرر من النظريات القديمة في الأدب، وهي النظريات التي ارتبطت بالكلاسيكية والرومانسية، وفي نفس الوقت ظهر مصطلح التجريبية في الفلسفة عند ديكارت عبر مؤلفيه (مقال في المنهج) و(التأملات).

وهكذا أثار داروين حركة شملت جميع الفنون والعلوم الإنسانية والتطبيقية، وكان لا بد أن يصل تأثيرها إلى المسرح الذي كان يحافظ بنوع من القدسية على الشكل الإثني، ويرى في مسرحيات هوميروس مثلاً أعلى لا يجوز الخروج عن قواعده، ولكن في عام 1896 يعرض (الفريد جاري) مسرحيته (أبو ملكا)، ويدعو إلى عرض الافتتاح كبار المسرحيين والنقاد، وليفاجئهم بأنه قد خرج عن التقاليد المسرحية المتبعة، حيث لم يبدأ المسرحية من المقدمة، بل باشرها من الخاتمة، وكسر القيود الصارمة التي كانت تجبر الممثل على أن يبقى وجهه للجمهور، فجعل ممثليه يتحركون بحرية مديرين في معظم المشاهد ظهورهم للجمهور، وتخلص من صرامة الديكور بأن جعل ديكور المسرحية في أفقر حالاته، وكان جاري يتوقع انسحاب الجمهور بعد دقائق من بدء العرض، لكن المفاجأة كانت انشداد الجمهور إلى مقاعدهم لآخر لحظة، وانبرى النقاد في

أحد عناصر اللعبة المسرحية أو في جميعها كالنص المسرحي والإخراج والاداء وعلاقة الخشبة بالجمهور وغير ذلك من مفردات العرض المسرحي، ويجب بذلك أن نجد صيغة تتعدى الصيغ المسرحية المتعارف عليها منذ أرسطو حتى اليوم(1).

على هذا الأساس نجد أن التجريبية في المسرح الغربي ليست نقيضاً عادائياً للمسرح الكلاسيكي، بل هي محاولة إغناء له وتجنبه من الوقوع في الملل، وهو ما يعبر عنه (ايوجينيو باربا) أحد أعلام التجريبية في المسرح الغربي بقوله: «نحن ندين بالشكر لكل الأعمال المسرحية التي سبقتنا، ونحترم أسخيلوس وشكسبير، ولكننا نعتقد أن المسرحيين منذ أسخيلوس وهوميروس كانت لديهم رغبة بالخروج عن الأطر الصارمة للمسرح، ولكنهم لم يملكوا الجرأة على ذلك، ومهمتنا هي أن نحقق أمنيته الخفية تلك..»(2).

بهذا المعنى يمكن أن نفهم التجريب في المسرح الغربي نوعاً من الترف الذي يقدم على هامش المسرح الكلاسيكي، ودون التكرار التام لأدواته الفنية وأسسها، وهو أيضاً ما يعبر عنه (انتونين آرثو) بقوله: «لست زعيماً للمتمردين في المسرح كما يصفني البعض، ولكنني وغيري ينطبق علينا وصف المغامرين الذين إن فشلوا يتركون أدواتهم التجريبية بعيداً ويعودون إلى المسرح الأم نادمين، وإن نجحوا عادوا يزفون البشرى للمسرح الأم أيضاً، ذلك المسرح الذي مهما تمردنا عليه يبقى هو الذي أعطانا الأدوات لنمـارس مغامراتنا..»(3).

ومع ذلك، لا نستطيع تجاهل روح التمرد على المسرح القديم وتقسيماته، ليس عند التجريبين فقط، بل عند كبار المسرحيين الغربيين، فغارسيا لوركا مثلاً

اليوم التالي يشيدون بـ(تجربة) جاري، وبالتالي استمرت المسرحية بنجاح كبير، وصات بالتالي قدوة تحتذى في أعمال مسرحية أخرى قدمها مسرحيون آخرون، وكل مسرحي يتفنن من عندياته في الخروج عن التقاليد المسرحية وابتداع أساليب جديدة، وهكذا تكرر مصطلح (التجريبية) في المسرح الغربي.

فلسفة التجريب الغربي

يتفق التجريبيون الغربيون على أن التجريبية ذات منشأ علمي، وليست اختراعاً من اختراعات المسرحيين، وقد أثبتت نجاحها في العلوم الطبيعية وبرهنت على أن الإنسان يجب أن يجرب عندما يريد العثور على شيء جديد، حتى لو كان رديئاً، وعند اكتشاف هذا الشيء الجديد قد نكتشف أننا فعلاً بحاجة إليه لمرحلة ما نعيشها.

نفس الأمر ينطبق على المسرح، فالمسرح القديم ليس رديئاً، ولكن يجب أن نجرب لنكتشف مسرحاً لا نفترض مسبقاً أنه أفضل من المسرح القديم، بل قد يكون ما اكتشفناه رديئاً، ولكن مع استمرار التجريب لا بد أن نعثر على شيء جديد من جهة، ونكون من جهة أخرى قد كسرنا حاجز الخوف من أن يصبح المسرح مملاً دون تجريب.

ويؤكد التجريبيون على أهمية أن يستفيد المسرح في عصرنا من إمكانات لم تكن متوافرة في المسرح القديم، كالتلفزيون والسينما وأشعة الليزر والكمبيوتر، وما يعبر عن العصر باحتياجات العصر، كما يعبر عن المستقبل، وعلى هذا لكي يكون العمل تجريبياً يجب أن نجد له صيغة جديدة في

يقوم فيه المتفرج بالتعرف على نفسه، ويرتفع فيه فوق رغبات عقله الواعي وعقله الباطن ويتخطاهما حتى تكون لهذا المتفرج معرفة طبيعية الأشياء وجوهرها..»(6).

على أساس هذه القاعدة تحاول الفرقة تقديم أعمال مسرحية تقوم على إحياء العلاقة بين المسرح والواقع بتناول جديد لقضايا الفن والواقع، وتحقيق التواصل والتفاعل بين الممثل والمتفرج، فيتم استخدام التمثيل المرتجل، فهناك نص أساسي، لكن كلما ارتجل الممثل وخرج عنه كان ذلك أفضل، وكلما استطاع الممثل إشراك المتفرج في الارتجال والمشاركة كان ذلك مؤشرا على النجاح، وهكذا وصولا إلى تأليف نص مسرحي جديد وإخراج جديد، وربما بمضمون جديد.

على سبيل المثال: يقطع الممثل أداء دوره فجأة ويتجه للجمهور يسأله: المفروض حسب النص أن أنتحر الآن.. ما رأيكم؟ وعلى أساس هذا السؤال تتم محاوره الجمهور حول ضرورة الانتحار أو عدمه، والحلول البديلة والاحتمالات الممكنة.. إلخ، وللممثل الحرية بعد ذلك في أن ينتحر كما جاء في النص أو يعدل المشهد كما ألفه مع الجمهور، وللممثلين الآخرين تأدية أدوارهم حسب ما يستجد في التأليف الجماعي الجديد الذي أنجزه الممثل مع الجمهور، ولكل منهم الحق في محاوره الجمهور حول أفضل السبل لأداء دوره.. وهكذا يتم خلق مواقف جديدة على المسرح مطابقة للحياة تماما، ولا تنقيد برؤية المؤلف أو المخرج.

مسرح القصة

أسسه الكاتب والمخرج المسرحي

كان يعلن «إنه إذا كانت هناك مشاهد لا يدري فيها الجمهور، ما يفعل، هل يضحك أم يبكي، فإن ذلك يعني نجاحا له»(4) وهو تصريح لم يكن من الممكن الإدلاء به في أي قرن غير قرننا لأنه يعني تحطيما لقاعدة المسألة أو الملهة في المسرح، وهو ما يعبر عنه الناقد المسرحي (ج. ل. ستيان) قائلا: «إن المسرحية كبناء للعلاقات المتبادلة والمتبدلة بين الشخصية والمشاهد تدخل اليوم مجالات حسية غير محددة تماما، وتكشف عن نفسها في تنوعات لا تنتهي، ولم تعد مجموعة الاصطلاحات التقليدية تفي بالغرض لوصف أو تحليل العلاقات التي تنشأها تشيكوف وبراندلو وجان آتوي وبريخت وصاموئيل بيكت، وهؤلاء هم الذين يعطون أفضل مثال على اتجاه جديد في مسرح القرن العشرين»(5).

في المحصلة، يستمر التجريب في المسرح الغربي الآن، ولا نجد شكلا محددا أو طريقة محددة لممارسة هذا التجريب، بل تختلف كل تجربة عن التجربة الأخرى، وسنحاول فيما يلي التوقف عند نماذج من أشهر النماذج التجريبية في المسرح الغربي ونظرياتها لنعطي صورة عن الشكل العام لهذه التجريبية:

المسرح الحي

تأسس هذا المسرح عام 1947م في الولايات المتحدة الأمريكية على يد المخرجة المسرحية (جوديث مالينا)، وقدم حتى الآن عشرات المسرحيات التي لاقت شهرة كبيرة، وعن هذا المسرح تقول مالينا: «نحن نؤمن بالمسرح الذي يصبح مكانا للخبرة المكثفة، والذي يقف على حدود الحلم وحدود الطقس.. بالمسرح الذي

الفرنسي (انتونين آرتو) والذي بنى نظريته على ما يلي:

- الاتفاق على الدادائية والسريالية في مخصصتهما للحياة الصناعية الحديثة، ومعاداة قيم الحضارة الغربية، ولكن مع ضرورة القيام بعمل متطرف يتجاوز كل الحدود ويغير المعادلات القائمة، وقد افترق آرتو عن السريالية والدادائية فيما بعد لأنهما برأيه توقفتا عند حد التعبير عن الألم واليأس فقط.

- معاداة مسرح البولفار ومسرح الصفوة (كمسرح مولير) لأنها مسارح لا يفهمها الجمهور العادي الذي لا يمكن تغيير الواقع بدونه.

- إن الروح البدائية سابقة على منطقية الإنسان وعقلانيته، وبالتالي فإن البدائية هي جوهر الإنسان وحقيقته الأصلية، وإن كبست هذه البدائية عن طريق المفاهيم المنطقية جعلت العالم مقبلاً ومملأ.

على أساس هذه النقاط يرى آرتو وجوب استبعاد جميع المفاهيم الفلسفية والعلوم النفسية والنظريات المنطقية من المسرح، وحيث «يجب أن نستبعد الإنسان المقلب الذي يتصرف على الخشبة وفق مفاهيم مقروضة عليه مسبقاً، إن هذا الإنسان يتحدث للجمهور بمشاعر محسوبة بدقة وبكلمات منتقاة بعناية، مطيع للقوانين، يخجل من أي شيء، يخاف من أي شيء، يجيد التزلف والتملق... إنه إنسان غربي سيكولوجي بينما نحن بحاجة على خشبة المسرح إلى الإنسان الميتافيزيقي، الإنسان الذي لم يتم تشكيله ويرفض أن يتم تشكيله...» (7).

وهكذا يطالب آرتو بالإنسان البدائي على المسرح، والذي يتصرف بعفوية وغريزية في إطار من (القسوة)، وهذا الممثل. الإنسان البدائي - لا يجيد اللغة لإنها

لم تعد تساير حاجات المسرح، بل هي «جراثيم تحمل أمراض المدنية من النظريات والتعريفات والمفاهيم، وهي صيغ تؤدي إلى إنزال غير المفهوم إلى مرتبة المفهوم، وفي هذا تثبيت لغموض، وهذا التثبيت هو علة انحطاط المسرح وفقدانه للطاقة والنشاط» (8)، وهكذا يعادي آرتو لغة المسرح ويعتمد على لغة الإيماء والإشارة، كما يرفض المناظر المسرحية الواقعية المكتملة لأنها تحاكي الواقع الذي يرفضه، ويستعيز عنها بالتمثيل والأقنعة الضخمة والأشياء الغريبة، ويعرض الأدوات الموسيقية فيها كأشياء مرئية بدلاً من الموسيقى المسموعة.

إن هو مسرح يعتمد على المرنثات، ولا يعتمد على نص مسرحي ولغة وحوار، بل يهدف إلى توليد غيبوبة ونوبات حادة من خلال بث همجية الأحلام في غموض المسرح (9).

مسرح السافاري (10)

ظهر هذا المسرح في فرنسا عام 1969، وتحت اسم (Grand Magic Circus) وعلى يد الفنان (جيروم سافاري) الذي رأى أن القضايا التي تتحدث عن المسرح لم تعد نافعة، ولذلك يجب العمل على إيجاد مسرح مفيد للناس.

يقول سافاري: «يجب أن يصبح المسرح خشبة مسرح ومقراً للمتفرجين، مكاناً مقدساً، وشكلاً من أشكال التعبير التي ستصبح منذ الآن ولستقبل العالم الإنساني حاجة وضرورة، فالمسرح عهد تتزامن فيه كل الأطراف - الفنان والمتلقي - من أجل المحبة والخير والتغيير، فالمسرح هو طريق يمهّد لخلق التفاهم والتواصل

الحي بين الناس... المسرح ليس أدبا ولا ينبغي أن يكونه.

يجب أن نعود إلى مسرح ربما يتصف بالبداية ولكن لا تنقصه الأصالة، إنه مسرح الرغبات البشرية الجامعة وأدق الأسرار التي تزرع بها أعماقنا، مسرح الروابط البشرية التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان»(9).

ووفقا لهذا المفهوم كَوّن سافاري فرقة من ستين فردا معلنا أن ممارسة الطقس المسرحي المقدس والمشارك يمكن أن يحدث ويتم في كل مكان، تحت كل سقف، وتحت كل سماء عارية، في (كراج) أو اسطبل، وحيث يشترك الجميع في ممارسة هذا الطقس، فيكون المسرح بهذا المطلق عرضا وممارسة للعبة المسرحية معا، وبدأت الفرقة تقدم عروضها في أمكنة لا تخطر على بال أحد، ففي عام 1967 قدمت عرضا في مشفى للأمراض العقلية وأمام نزلاته، وفي هذه العروض يظهرون في قالب مجانين الفن وعشاقه من ممثلين وموسيقيين ولاعبي سيرك، ويخاطبون جمهورهم كما لو كانوا يخاطبون أنفسهم بلغة مفرداتها اللغة واللغة المسرحية الصادقة، ويسخرون من مختلف التقنيات والمدارس التي تقوم بتدريب الممثل تدريبا يحوله إلى آلة ناطقة معبرة فاقدة الروح والحياة.

ويمكن تحديد العلامات الأساسية لمسرح سافاري بما يلي:

1- استخدام أسلوب المفارقة المضحكة المقصودة، وبقدر كبير من الصخب المقصود والسخرية الشديدة من كل الأوضاع والتقاليد والأسوار التي تطوق الإنسان.

2- استخدام فنون الرقص ولتمثيل الصامت.

3- استخدام الملابس الزاهية المبالغ في درجاتها اللونية.

4- الهروب قدر الإمكان من الصالات والمسارح المغلقة إلى الساحات والشوارع والهواء الطلق، وفي حال الاضطراب لتقديم عرض في صالة فيجب قلب كل ما بداخل هذا البناء ليعبر عن فوضوية الحياة، وتوظيف المكان لما يقدمه المسرح.

5- رفض النص المسرحي الجاهز والاعتماد على الارتجال وإشراك المتفرجين مهما كانت سويتهم الثقافية والمعرفية، وبذلك يصبح المسرح واقعا فنيا حيا يشترك فيه المبدعون من الفنانين والجماهير معا.

مسرح اللاشكل

أنشأ هذا المسرح في بولندا (تاديور كانثور) عام 1945م تحت اسم (كريكوت). 2)، وكمحاوله تجريبية تسعى إلى التخلص من الموديل القديم لمسرح (البرتوار) الذي يعتمد على العروض المسرحية الجاهزة، وإلى خلق نموذج جديد لبنية المسرح الدرامية والمعمارية، ويقوم وجودها على الإبداع المنبثق من داخل بنية المادة المسرحية ذاتها، أي الإبداع في مراحل متعاقبة ومتتالية من المواقف المسرحية الجديدة التي تتصل اتصالا وثيقا بتطور العمل الفني ككل، ولا تنتهي عملية الإبداع لحظة تقديم العمل المسرحي ليلة الافتتاح الأولى.

بهذا المفهوم لا ينحصر دور المسرح في تقديم عدد من ليالي عروض مسرحية جاهزة، بل يتخلص هذا المفهوم وفق خطوات ومراحل تنبثق خطواتها وتتشكل مراحلها وصيغها بتمهل ودون تسرع، وهذا يتحقق باللاشكل المسرحي، أي بكم

يشبه الكراسي المطوية أو الخراف المذبوحة أو أي شيء آخر لا يخطر على بال المشاهد، والهدف هو التعبير عن النص بدون عرضه، ويتم ذلك بتحيد الممثل إلى الحد الأدنى لتتخلق عناصر المسرحية فوق الخشبة بداية من الصفر.

وفي المرحلة الأخيرة من تجربته المسرحي قدم كانتور مسرحيات عرضت الواقع بمفردات الواقع ذاتها، وجذب المشاهد ليمارس تشكيل الأحداث فوق خشبة المسرح مع الممثلين.

مسرح «فوسولي» (II)

ويعد من أهم الفرق التجريبية المسرحية في فرنسا منذ عام 1964، وتديره المخرجة آريان مانوشكين، وأهم معالم هذا المسرح أنه يمارس التجريب ببراعة على المكان المسرحي، فقدم عمله المسرحي الأول (المهرجون) فوق العربات وفي مكان واسع في الهواء الطلق، وقدم مسرحية (ما حدث في عام 1789) في مخازن قديمة بأطراف باريس، وفي المسرحية الأولى كان الجمهور يسير إلى جانب العربات، وفي الثانية تم استخدام خشبة المسرح والصالة بشكل طريف ومثير، إذ جلس قسم من المتفرجين بجوار مقر التمثيل، وقسم آخر وقف في الداخل محاطا بجسر على شكل مستطيل مكون من ست خشبات مسرح، وهكذا تم تهيئة المتفرجين لكيونوا ممثلين ومشاركين في إنجاز العرض المسرحي.

أما الممثلون فقد كانوا منتشرين بين المتفرجين، ومهمتهم هي تحريضه ليندمج في التمثيل، وتحديد دور الشعب الفرنسي في الثورة الفرنسية، وقليلًا قليلًا بدأ يتحقق ذلك إذ بدأ الجمهور يندمج وينفعل،

كبير من الإيماءات والمواد المسرحية المتباينة، وحيث يعامل الممثل والنص والحركة والزي المسرحي باعتبارها عناصر قد افترقت أشكالها، ومن ثم تنصهر جميعها في كتلة مصطخبة مختلفة تؤدي إلى خلق قوام متجانس من مادة متوحدة مشكلة في كيان منسقي، وهنا يتحدد مسرح (اللاشكل)، ويؤجج في خلاصة الواقع الذي يهيم ويعيد نظمه من جديد.

هذه هي الملامح العامة لنظرية مسرح اللاشكل، ومع ذلك لم يعتبر كافثور نظريته هذه نهائية، واستمر يحاول بلورتها عبر تجارب مستمرة، ففي المرحلة الأولى استغل كانتور العناصر والمواد الجاهزة وشكلها في هارموني متناسقة ومتناغمة، وأطلق على هذه المرحلة اسم (Assemblage)، ثم استمر في تجريبه، وأطلق مرحلة أخرى هي مرحلة (Amal-lage)، وفيها اشترك بغزارة الفنون التشكيلية في العملية المسرحية، وقد تلقف عدد من المسرحيين التجريبيين هذه المرحلة من كانتور واعتمدها لتأسيس ما عرف باسم (مسرح الصفر)، وفيه اعتمدوا على سيادة الرسم للتجريدي في العمل المسرحي، إلا أن كانتور تجاوز هذه المرحلة أيضًا، وأعلن عن مرحلة (Hap-pening) حيث نشاهد فيها تحطيمًا للشكل وسقوطه، فتتخذ فيها المواد الجاهزة سمة إنسانية، وفي هذه المرحلة قدم كانتور مسرحية (المجنون والراهبة) للفنان والكاتب (س. اي، وايهيكترال).

في هذه المسرحية تعمد كانتور أن يفصل النص عما يدور فوق خشبة المسرح من مواقف مسرحية، فالممثلون يزدحمون فوق الخشبة ويقومون بحركات غير متوقعة، كأن يشكلوا من أجسادهم ما

الحي في المسرح: (12)
والاتجاهات المهمة الآن في التجريب
الأمريكي على المسرح هو ما يسمى بـ
(فنون العرض)، ويتزعم هذا الاتجاه
الممثل الشهير (روبرت ويلسون)، والذي
يعتبر ما يقدمه على خشبة المسرح تلويها
للصور المسرحية عبر الإعادة والتكرار،
ففي أحد أعماله، وحين تفتح الستارة نجد
حائطا مائلا على خشبة المسرح، وعلى هذا
الحائط يقف ثمانية من الرجال بالملابس
العسكرية والإضاءة تسقط عليهم بشكل
جميل، ثم تتغير الإضاءة إلى حركة إظلام،
وحينما تسقط الإضاءة ثانية نجد الرجال
ممددين على الأرض بشكل يوحي
للمتفرج أن هؤلاء لم يكونوا سوى ثوار
وقد أطلقت عليهم النيران.

ويتكرر المشهد، ولكن بإضاءة مختلفة
كل مرة، والهدف كما يقول ويلسون هو
إفراغ توترات المشاهد عبر التشكيل
الضوئي والجسدي على المسرح وجعله
في حالة تركيز تام.

وكنموذج آخر لتجريب ويلسون نذكر
مسرحية (الغابة)، فقد جاء فيها بمشهد
فيه صف من الأشكال الغريبة التي تسير
على خشبة المسرح، كرجل له رأس هرة،
وآخر له جسد فيل، وثالث يقفز كالقرد...،
وجعلهم يسرون ببطء شديد لمدة نصف
ساعة، وهذا المشهد ليس مملا برأيه لأنه
يفرغ البشر من الكراهية التي يحملونه،
علمنا أن ويلسون يعلن عن بطاقات
المسرحية بأن العرض سوف يستمر سبع
ساعات، ويستطيع المشاهد إذا شعر بالملل
أن يخرج ويتناول طعامه، أو يتنزه قليلا،
ثم يعود دون أن يفوته شيء مما يحدث
على المسرح.

وتبرز أيضا في الولايات المتحدة
الأمريكية تجربة (كريس هاتمان) الذي

ويشكل أحال الصالة التي تتسع لسبعمئة
شخص إلى كرنفال قومي فرنسي حي،
فاقتحم الجمهور مع الممثلين سجن
الباستيل لتحريره، وأجرى محاكمات
لأعداء الثورة، واندفع إلى التمرد
والعصيان. وقد حققت هذه المسرحية
شهرة كبيرة عند عرضها، ووصفها النقاد
بأنها أضخم مسرحية في تاريخ المسرح
من حيث عدد الممثلين.

وما زالت هذه الفرقة تجرب البحث عن
أشكال جديدة تربط المسرح مع الجمهور
في علاقة ديكالكتيكية حية تخلق منه كيانا
حيا متفردا يتجاوب مع روح المتفرجين
وقضاياهم وروح عصرهم، مسرح يقدم
ذاته فوق أماكن مفتوحة يرتحل إليها
للوصل إلى مسرح تحتضنه فيها الأرض
والشمس بدلا من أن يقبع رازحا تحت
وطأة ظلام المسارح المغلقة.

كل شيء في أمريكا

على هذا النمط تستمر التجريبية في
المسرح الغربي، وحيث يمكن أن نشاهد
كل الأشياء الممكنة، فبعض الفنانين
يجربون باستخدام عنصر الارتجال،
وبعضهم يعملون بأشعة الليزر، والبعض
الأخر يجرب في خشبة فيزيها تماما، ولا
يمكن حصر كل هذه التجارب لأنها تبلغ
مئات الألوف.

ونفس الأمر ينطبق على الولايات
المتحدة الأمريكية، ففيها على سبيل المثال
عروض كثيرة تعتمد بشكل أساسي على
ممثل واحد، ومن جانب آخر نجد
العروض التي تعتمد على الرقصات
الكبيرة، وأعمال أخرى توظف الجنس
والرقص بمساحة كبيرة مما لا نجده في
الراديو أو التلفزيون أو السينما بالشكل

الكثير من النقاشات، ثم أصدرت كتابها (المسرح الحي) والذي كان بدوره محور نقاشات حادة في الصحافة الغربية.

النقطة الثانية الهامة أن هذه التجارب المسرحية ينظر إليها بجدية واحترام شديدين من قبل جميع المسرحيين وكبار الفنانين، وتعتمدها مدارس التمثيل كمادة تدريبية للممثل، ولا تتحرج مدارس التمثيل من تغيير مناهجها التدريبية كلما وجدت جديدا مفيدا في تجربة مسرحية جديدة، ففي الولايات المتحدة كان منهج المسرحي الروسي (قسطنطين ستانيسلافسكي) معتمدا بشكل رئيسي، ومن أشهر الذين تخرجوا من هذا المنهج نذكر جيمس دين، وجين فوندا، ودوستن هوفمان، ومارلين براندو، والباسينو، وكانت (ستيلا أدلر) مؤسسة هذا المنهج، وقامت بتدريسه في قسم التمثيل بجامعة (ييل) مع مارلون براندو، وفيه اعتمدت النظريات الكلاسيكية من حيث تطوير مهارات الممثل الخارجية، من قراءة النص إلى الغناء والإلقاء والرقص... ومع ذلك لم تتحرج أدلر من الاعتراف بأن منهج «رجل المسرح العظيم ستانيسلافسكي في الولايات المتحدة يوشك أن يصبح زيا باطلا، وقد آن الأوان للبحث عن مدارس مسرح جديدة تعتمد على ما أنجزته التجارب المسرحية المعاصرة».

أما النقطة الثالثة التي تلفت النظر، فهي تجاوب الجمهور الغربي مع كافة التجارب المسرحية وإقباله عليها بشغف، وتكلفه المال والوقت لإشباع هذا الشغف، ومعظم المسارح التجريبية في الغرب تعتمد على تمويلها على الجمهور، والذي يؤمن لها بحضوره سيولة مالية كافية لتواصل تجربتها من جهة، ولترفض من جهة أخرى التمويل الحكومي الذي تعتبره يقيد

يعتبر من أهم الفنانين التجريبيين الآن في أمريكا، وأساس مسرحة الاعتماد بشكل غريزي على التقنيات الحديثة، ففي إحدى مسرحياته استخدم مائة جهاز تسجيل موزعة على مائة حجرة، والمتفرج هو شخص واحد يدخل الغرف بالتتالي ويضع السماعات على أذنيه، وفي كل حجرة يسمع مونولوجا، ثم يأتي متفرج آخر ليعيد الكرة.. وفي مسرحية أخرى يدخل المتفرج نفس الحجرات ليجد كاميرات فيديو تصوره وتنقل صورته إلى شاشات موزعة على الغرف، وفي كل غرفة يسمع صوتا يطلب منه أن يؤدي حركات تمثيلية معينة..

وعي وجدية:

ثمة نقاط هامة تستوقفنا في هذه التجربة الغربية على المسرح، أولاها أن التجارب المسرحية في الغرب تعتمد على وعي تام من قبل ممارسيها، بمعنى أن أية تجربة لا تُلقى عبثا، أو كطفرة آنية، بل تسبقها عادة دراسات موسعة ومناقشات مستفيضة، وتصدر قبل وأثناء ممارسة التجربة كتب ومؤلفات يعرض فيها أصحاب التجربة نظريتهم ورؤيتهم المسرحية، فعلى سبيل المثال قدم (أنطونين آرتو) من عام 1925 وحتى عام 1930 م دراسات ومقالات كثيرة حول فكرته عن (مسرح القسوة)، ثم أصدر كتابه الهام: (Theatre de la)، عام 1932، وفي عام 1938 أصدر كتابه الشهير (المسرح وقرينه) الذي أثبت فيه نظريته حول مسرح القسوة.

وقبل أن تطلق «جوديت مالىنا» تجربة (المسرح الحي) نشرت في الأربعينات عشرات المقالات والدراسات، وخاضت

حريتها وحركتها.

التجريبية المسرحية في الوطن العربي؛

ظلت تتفاعل إلى أن بدأت تجد تطبيقاتها عبر الجماعات المسرحية العربية التي ظهرت بقوة، مثل الحكواتيين في لبنان، والاحتفاليين في المغرب.. وغيرها من الجماعات التي صارت تجرّب باحثاً عن مسرح عربي يستنبت من الثقافة العربية وتراثها، وقد عزز هذه الجهود بحثية واسعة في العالم العربي، وسنتحدث هنا عن بعض أشهر هذه الجماعات التجريبية^١ من جهة شهرتها عربياً، ومن جهة استنادها إلى تنظير واع في تجريبيها أيضاً.

السرداق؛

ظهرت جماعة السرداق في الثمانينات وهي تضم بين صفوفها صالح سعد وانتصار عبد الفتاح ونيل مرسي وأسامة الزناتي...، وأصدرت بيانها في عام 1984 في القاهرة، وقد سبق البيان كتابات غزيرة نشرها أعضاء الجماعة هاجموا فيها الشكل الأغريقي للمسرح، ودعوا إلى إيجاد مسرح أنثروبولوجي مصري يقوم على البحث في عادات وتقاليد وجذور الشخصية المصرية بإطارها القومي، واقترحوا الاستفادة من المعمار الشعبي - السرداق - الذي يستخدم كمكان للاحتفالات الشعبية ولفنون الأداء والصياغة المسرحية التي يمكن أن تصاغ وفق مفردات وقوانين الاحتفال الشعبي من خلال رؤية جديدة^(١٥) وقد حدد بيان الجماعة هذا المفهوم بشكل أكثر بلورة عندما دعا إلى رفض كل مفردات ومكونات اللغة والشكل المسرحي العربي القائم حالياً مثل مكان العرض والعلاقة بين الممثل والجمهور والمضمون المقدم والإخراج، واقترح الخروج بالعرض إلى

هذه هي الأسس والملامح العامة لحركة التجريب في المسرح الغربي، فماذا عن التجريب في المسرح العربي؟! إن الإجابة تقودنا إلى عام ١٨٤٧م عندما استنزع مارون نقاش الظاهرة المسرحية في الثقافة العربية كفن مستورد من أوروبا، وبالتالي بقي المسرح العربي تابعاً للمسرح الغربي طوال مائة عام تقريباً، أي إلى الدعوة التي أطلقها يوسف إدريس للتححر من قبضة المسرح الأوروبي وذلك بالعودة إلى مسرح السامر المصري كمنطلق لتطوير مسرح مصري أصيل. وهكذا كانت دعوة يوسف إدريس تعبيراً صادقاً عن الروح الطامحة للاستقلال عند المصريين وكل العرب ما بعد ثورة عام ١٩٥٢م المصرية من جهة، ومن جهة أخرى اعتبرته أول دعوة لخوض التجريب في المسرح العربي وصولاً إلى شكل مسرحي عربي الهوية. يقول: «إن النص ظاهرة اجتماعية إنسانية لا بد من بيئة معينة لإنتاجها تتبع شعباً معيناً وتنتج من أجل ذلك الشعب»^(١٦)، ثم يقيم مسيرة المسرح المصري ويرأها مسيرة عقيمة لأنها كانت تدور في فلك المسرح الأوروبي وتتأثر بتياراته المختلفة، ولهذا يرى العودة إلى مسرح السامر المصري الذي عرقه أبناء الريف والمدينة في مصر ثم تطوير هذا الفن الشعبي وإعادة هيكلته ليفرز شكلاً مسرحياً مصرياً متحضراً^(١٧).

وهكذا، بشكل أو بآخر تعود لـيوسف إدريس ريادة الدعوة إلى خوض التجريبية في المسرح العربي، وهي دعوة

وأشكال الاحتفال الشعبية في إطار الثقافة العربية المحررة من الهيمنة الغربية.

ينطلق المسرح الاحتفالي من تجاوز سلبيات المسرح الأرسطي، وعملية التجاوز هذه مرتبطة بفعل التأصيل، وهو فعل لن يتم إلا بالعودة إلى الذاكرة الشعبية التي هي تاريخ الأمة وسجل مآثرها، فالجمهور المغربي كما يقول الاحتفاليون يملك مخزوناً درامياً لا يمكن تجاهله في حركة التأصيل المسرحي هذه، ويتمثل هذا المخزون في تلك الظواهر الشعبية والاحتفالات التي مارسها الإنسان الشعبي بكل عفوية وتلقائية في مناسبات متعددة باعتبارها أداة من أدوات التعبير الفنية، فهذه الظواهر هي نفسها تمثل قدم المسرح المغربي والعربي لأن الاحتفالية لا تسعى إلى خلق مدرسة أو مذهب فني جديد ما دام الجديد ينطلق دائماً من أطروحة قديمة يتجاوزها ليؤسس الأطروحة الأنية والمستقبلية، وهذه العودة إلى ما تحتزنه الذاكرة الشعبية من إبداعات وجماليات تنتمي إلى فعل التأسيس، وبالتالي فعل التأصيل. (17).

فالاحتفالية تركز على الجوهري والحقيقي والثابت، وهو غير الأصباغ المتغيرة التي تلون السطح والتي قد توجد التغيير. في الوقت الذي لا وجود له للتغيير الحقيقي، ومن هنا ركز المسرح الاحتفالي على مفهوم الاحتفال لأنه أساس اللقاء، «فالمسرح ظاهرة احتفالية يقيمها الإنسان للإنسان بعدما كان في القديم مراسم يقيمها الإنسان للأكله، ففي الاحتفال تنتفي الأنا الفردية من أجل إثبات الأنا الجماعية، فالمسرح الاحتفالي حضور للأنا والآخر، ولا يمكن أن تتم عملية التواصل الحقيقية في غياب حيوية الحفل ومشاركة الكل» (18).

السرداق نظراً لارتباط هذا المعمار بمظاهر الاحتفال الشعبي والديني الجماعي، ويشترك الجمهور في صياغة هذا الاحتفال / المسرح.

المسرح عند جماعة السرداق إذن هو عمل تلقائي يقوم على العمل الجماعي لأعضاء الفريق والمشاهدين، ومن الإمكانات التلقائية للمثل في اكتشاف أدوات وإشارات التعبير الإنساني والتلقائي، أما فكرة العرض فتعتمد على دراسة مصادر الأدب المسرحي والمكتوب بشرط أن تقي بأغراض الجماعة، والاعتماد على مصادر الأدب الشعبي الشفاهي والمكتوب بالإضافة إلى التراث الأسطوري والشعبي والديني بغرض كتابة نص فني جماعي للوصول إلى لحظة التوحد والتماسك من خلال (المسرحية)، وقد عمل أفراد الجماعة على تطبيق هذا المفهوم في عروضهم القليلة التي شهدت النور مثل: (إعلان الدراويش بإعلان جمهورية زفتي)، و(عرس الدور)، و(يجدث في قريتنا الآن)، و(ياسين وبهية). (16)

جماعة الاحتفاليين:

تشكل جماعة الاحتفاليين في المغرب أقوى وأقع مسرحي عربي في الوقت الحاضر، ويعود السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- أ. فعالية نشاطها المسرحي على الساحة المغربية والعربية.
- ب. إنها تضم عدداً من المسرحيين الجادين والباحثين والنقاد والجادين.
- ج. اعتمادها على أسس فكرية وفنية وفعالية تلقى القبول والترحيب لدى العرب من حيث اعتمادها على التراث العربي

1967، والتي نجم عنها إنسان عربي مأزوم تأثر وغازب في أعماقه، ودليل في نفسه، وفي الوقت الذي لم يعد فيه المسرح العربي بشكله الذي استورد فيه من الغرب قادرا على التعبير عن تأزم وثورة وغضب وذل الإنسان العربي، فمن جهة لدينا كتلة متشابكة من المشاعر وتمتد على مساحة في أعماق المواطن العربي، في حين بدأ المسرح عاجزا عن استيعاب هذه المشاعر، ومن هنا بدأت عملية التجريب بحثا عن مسرح يستوعب كل هذه المشاعر.

جريت على الورق كافة التجارب المسرحية الممكنة، ودرست الجمهور ميدانيا من خلال اختلاطي اليومي معه، ولا أعني جمهور المثقفين، بل كافة فئات الجمهور، واكتشفت أن هذا الجمهور بشكل أو بآخر مل من تقاليد المسرح المستورد، هو لم يعد يرغب بحضور مسرحية ذات ديكور مكلف وممثلين كثر وعلى مساحة زمن لنقول له من خلال العرض فكرة واحدة، بل يريد مسرحا بسيطا، ولكن يعبر عن مجمل أفكاره الكثيرة، ومن هنا بدأنا التجريب عبر ما أسميناه مسرح الشوك.

إنه مسرح يرفض الديكور رفضا نهائيا، ويكسر بجرأة حاجز الخشبة المسرحية، ويلغي الموضوع المسرحي الواحد، مستبدلا ذلك كله بتتابع الأفكار، بمعنى أن نقدم في العرض المسرحي الواحد عشرين فكرة مستقاة من واقع الناس وهمومهم، وبشكل نقدي لاذع، وعلى هذا تصبح هموم الناس هي موضوع النص المسرحي، ويمكن أن نغير في النص كل ليلة، فنضيف ونحذف حسب حوارنا المباشر مع الجمهور، والذي كلما جذبناه للحوار والمشاركة مع

ويرى أصحاب هذه الاتجاه أن الاحتفال هو البديل الموضوعي للمسرح الأرسطي السائد، خاصة إذا ما علمنا أن هذا المسرح يقيد المبدع والجمهور معا بقيود لا تستجيب لمكونات الإنسان العربي الحضارية، حسب رأي الاحتفاليين، لذلك ينطلق المسرح الاحتفالي من الفضاء الاحتفالي ليحدد بنياته الجمالية، وأهم مواصفات هذه البنية يتمثل فيما عرفه الإنسان المغربي من أشكال الفرجة الشعبية، وهي أشكال تمثل قدم المسرح المغربي، لهذا فقد سعى الاحتفاليون إلى تجاوز مفهوم الخشبة الإيطالية، ورأوا أن التاصيل ينبغي أن يتم عبر اللقاء العفوي لما وراء الحواجز والجدران والكواليس، أي لا بد من تقديم الحفل المسرحي في الساحات العمومية والأسواق والملاعب وغيرها.

عموما نستطيع القول إن المسرح الاحتفالي نادى بضرورة الثورة على الفضاء التقليدي، بما فيه فضاء الزمن المسرحي، والنص المسرحي يجب أن يصبح مجرد مشروع ينطلق منه المؤلف إلى خلق عرض مسرحي، والجمهور ليس متلقيا فقط، بل هو مشارك ومحاور.

مسرح الشوك

أسس هذا المسرح في سورية الفنان عمر حجوج في بداية السبعينات، وقدمه مع دريد لحام عبر عدة عروض مسرحية حققت شهرة كبيرة في وقتها، وعن ذلك المسرح يقول عمر حجوج: (19)

- كان يجب أن نعتزف بأن المسرح العربي بدأ يدخل حالة التراجع والعجز في بداية السبعينات لأسباب كثيرة، منها ما يتعلق بالداخل العربي بعد نكسة عام

عندما نشاهد في إحدى المسرحيات التجريبية مجموعة ممثلين على مدى ساعة كاملة يتبادلون الصراخ بعبارة (الريح أكلت أختي)!! (20)

نحن بحاجة لتجريب ينطلق من خصوصيتنا المسرحية العربية، وبقدر ما يستند التجريب إلى وعي بقدر ما يحقق شيئاً مفيداً للمسرح العربي، فعلى سبيل المثال: نحن لم نتابع مسرح الشوك، ولكن بعد خمسة وعشرين عاماً تظهر فرقة مسرحية في حلب وتقدم مسرح الشوك من جديد وبجناح كبير، وبحيث يستمر العرض المسرحي عدة شهور متواصلة. إلا يعني ذلك أن التجربة المسرحية عندما تكون واعية تحتفظ بنجاحها معها حتى لو توقفت؟!؟

تجريبهم وتجربنا

لقد وقفنا على أهم النماذج في التجريب المسرحي الغربي والعربي، ومن المقارنة بينها نجد ما يلي:

1- إن التجريب المسرحي الغربي، وإن كان يعتبر نفسه حركة تمردية على المسرح الأثيني بقواعده الصارمة، يظهر احتراماً شديداً لهذا المسرح باعتباره جزءاً من الثقافة الغربية، وغالباً ما يرفض التجريبيون المسرحيون في الغرب اعتبار أنفسهم بديلاً عن المسرح الأثيني، بل يرون في أنفسهم إغناء وإكمالاً له، بينما التجريب المسرحي العربي ينطلق من رفضه المطلق للمسرح الغربي باعتباره فناً مستورداً وبخيلاً على الثقافة العربية، ويعتبرون أنفسهم بديلاً عن هذا المسرح.

2. التجارب المسرحية الغربية تستند إلى ثقافة مسرحية واسعة لدى أصحابها، والذين يمهّدون للتجربة بأبحاث

المثّلين، كلما حققنا الهدف من العرض. على هذا يمكن تلخيص نظرية تجربة مسرح الشوك بما يلي:

1- (لا) للديكور: إذ لا وجود للديكور نهائياً، ويجب على الممثل استعمال مهاراته ليوحى للمشاهد بوجود الديكور.

2- (لا) للملابس المسرحية: فبملايس الممثلين العادية يمكن الإيحاء بالأزياء المفترض أن الممثلين يرتدونها.

3- (لا) للخشبة المسرحية: لا أعني كسر الحاجز ما بين الخشبة والجمهور فقط، بل أعني إمكانية تقديم هذا المسرح في أي مكان... في الشوارع... في الساحات... في المعامل...

4- (لا) للنص المسرحي الجاهز: وهذا يعني أن مسرح الشوك هو مسرح الهم اليومي الأثني للمشاهد، الهم السياسي والحياتي، وكل فكرة هامة يمكن إدخالها في العرض.

5- (لا) للمخرج: فحركات الممثلين وتصرفاتهم يتفق عليها جماعياً من قبلهم ويتابع الفنان حججاً:

- للأسف لم تستمر تجربة مسرح الشوك طويلاً بسبب تحول شريك في الفنان دريد لحام لمسرح آخر، هو مسرح فرقة تشرين وتحوّل معه لذلك المسرح بعد أن اقتنعنا بأننا أطلقنا تجربة مسرحية عربية ومارسناها، وأقول (تجربة) ولا أعني (نظرية) فعلى الساحة المسرحية العربية كانت في نفس الوقت تُمارس عشرات التجارب، وكلها مثقنة كانت تهدف إلى اكتشاف مسرح عربي شكلاً ومضموناً، ولكن معظم تلك التجارب كانت طفرات هامشية متأثرة بالتجريب الغربي وتحاول تقليده، وقد انتقدنا عشوائية هذه التجارب وجسدنا انتقادنا في أحد مشاهد مسرح الشوك، (أي (تجريب!)) مثلاً يكون

العربية. ما عدا تجارب قليلة. تعامل كطرفة مملّة من قبل الجمهور، العازف أصلا عن حضور المسرح، ولذلك يقتصر عرض المحاولات التجريبية على النخبة المثقفة وفي المهرجانات المسرحية التجريبية.

في المحصلة، فشلت التجريبية المسرحية العربية في تقديم أي شيء مفيد للمسرح العربي، وصارت تدور في حلقة مفرغة باعتبارها أزمة على هامش الأزمة المسرحية العربية، وبحيث صار تجهيز وتهيئة عرض مسرحي تجريبي لا يحتاج إلا لعدة أيام فقط ليصبح جاهزا للمشاركة في هذا المهرجان المسرحي التجريبي أو ذاك.

ولندل أكثر على أزمة المسرح التجريبي العربي نحتكم إلى المهرجانات المسرحية التي تؤكد على أن المسرحيين العرب يدخلون في تجارب متواصلة، لكن هذه التجارب تشير إلى عجزهم عن الخروج من دائرة التبعية، بل تزيد هذه التجارب من دائرة غربة المسرح العربي وتراجعها، فعلى سبيل المثال، حفل مهرجان دمشق المسرحي الحادي عشر للفنون المسرحية بالعروض التجريبية المخيبة للآمال «والمسرحيون الذين قدموا عروضاً جيدة في الدورة العاشرة باتوا أقل جودة، والذين قدموا أعمالاً سيئة باتوا أسوأ، وأن من تقدم من الشباب بنضارة بدأ مترهلاً ممطوطاً باهتاً، كأنما بقي من كل هذه الزحمة المهرجان نفسه، كأن المهرجان كتقليد هو البطل الرئيسي هو الروح التي تستجمع شتات العروض وبقايا الشغف عند المسرحيين العرب» (21)

وهكذا خيبت عروض المهرجان الآمال، وعبر ثلاثين عرضاً مسرحياً عربياً لم نجد تقريباً إلا ترفاً في الديكورات وقفشات

ودراسات، وقلما يعتبر أحد التجريبيين الغربيين تجربته (نظرية) بينما يعتبر أصحاب أي تجربة مسرحية عربية أنفسهم (نظرية) في المسرح، مع أنهم غالباً لا يستندون إلى ثقافة مسرحية، وليست لهم تجارب وممارسات في المسرح المستورد.

3. المفارقة أن التجريبية المسرحية العربية تنطلق من رفض المسرح الأوروبي المستورد، وترى أنها تبحث عن أشكال جديدة لمسرح عربي خالص، ولكن أصحاب التجريبية العربية أنفسهم يستوردون مدارس التجريب الغربية يطبقونها، وكثيراً ما تتجسد هذه المفارقة في العروض التجريبية العربية، ففي عرض مسرحي تجريبي حضرته مؤخرًا في بيروت، وفي المناقشات التي أعقبت العرض تسأل أحدهم: لماذا تصرون على هذا التجريب المسرحي؟ فأجاب مدير الفرق: لنبحث عن شكل عربي مسرحي يناسبنا وينقذنا من هيمنة الشكل المسرحي الأوروبي الذي فرض وجوده علينا. عندها سألت: ولماذا اخترتم هذا الشكل التجريبي؟ (كانت المسرحية تتشكل من لوحات جسدية وموسيقى صاخبة)، أجاب مدير الفرق ببداية: هذا آخر شكل من التجريب المسرحي في فرنسا، ويتم تطبيقه الآن في إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية.

4. التجريبية الغربية كما ذكرت سابقاً تُعامل بجدية من قبل الجمهور والمسرحيين والنقاد، والعرض التجريبي يمارس نفسه أمام الجمهور بكافة شرائحه ومستوياته الثقافية، جمهور يرى في حضور المسرح طقساً حياتياً هاماً، فيقبل على حضور المسرحيات الكلاسيكية والتجريبية، بينما التجريبية

بالاشتراك مع المصري انتصار عبد الفتاح، ولكن العمل في نهايته فشل في تقديم عرض مسرحي، وإنما قدم سهرة موسيقية ركب عليها مشاهد نظيفة أنيقة الملابس بأداءات تقليدية عادية، مستعينا بتعبيرية أحيانا، وبرمزية أحيانا أخرى.

-(مسرحية الدبكة) باشتراك مجموعة المسرح الصوتي وفرقة الآلات الشعبية - مصر، وهي مسرحية من حيث نوايا أصحابها، من أفضل الأعمال التجريبية، فهي تنطلق من هاجس بحث تجريبي أصيل من الأدوات الموسيقية وفي التشاكيل وفي الفضاء المسرحي، ولكن العرض سرعان ما خرج عن نية أصحابه ليصبح (سهرية) غنائية موسيقية لا أكثر.

-(مسرحية الدالية) للمسرح العضوي التونسي، وتنتمي إلى ما يسمى: المسرح خارج المسرح، أو خروج العمل من مكانه المألوف والتقليدي (الخشبة التقليدية، وانطلاقه ليقدم في الساحات العامة والملاعب أو المنازل حتى، ولكن هذا العرض وكافة العروض المثيلة من نفس النوع في المهرجان، بدت وكأنها تتجه للنخبة، ووقعت في مازق البحث عن جمهور معين لمسرح معين.. (24)

من خلال هذه النماذج من العروض التجريبية وغيرها نلمس حماس أصحابها لتقديم مسرح عربي مغاير للمسرح الأورو-عربي، ويبدو ذلك واضحا في التسميات (مسرح الدالية - مسرح العربية الشعبية - مسرح الشارع.. الخ)، ولكن الحماس شيء، والنيات شيء، والتطبيق شيء مغاير للحماس والنيات، فمعظم العروض التجريبية تقشل في توظيف الموروث الشعبي والاحتفالي وغيره من التصورات المفترضة لمسرح عربي الهوية، وبالتالي ظهرت العروض التجريبية وما

تفريجية ارتجالية، وذلك للإقلال من غربة العروض عن الجمهور.. «فكان عرض (السندباد) مثلا من العروض التي لا يمكن تسميتها إلا بالعروض السانجة» (22) وطبعا هذا نموذج من التقييم الذي يمكن سحبه على معظم عروض المهرجان.

وحتى نعطي الأمر حقه نعود إلى الدورة الثالثة لأيام قرطاج المسرحية، والتي أقيمت ما بين السابع والخامس عشر من أكتوبر - 1987. وسنجد أيضا أن ذلك المهرجان قدم عروضاً بدت وكأنها مرآة تعكس واقع المسرح العربي بتعابيرهِ واتجاهاته المتعددة والمتراكمة منذ الخمسينات من التجارب المحافظة إلى التجارب المخضمة إلى التجارب الأكثر طليعية، وفي هذه العروض برز تراجع ملموس للتجريبية المسرحية العربية» (23) أما المهرجان الأكثر مدعاة للتوقف عنده فهو مهرجان القاهرة المسرحي التجريبي، وذلك لأسباب أولها أنه المهرجان الذي أريد له أن يكون تجريبيا عربيا في مسيرة إيجاد مسرح عربي الهوية خارج دائرة التبعية، وثاني الأسباب أيضا ضخامة عدد العروض التي تقدم في كل دورة منه، فقد بلغ عدد العروض في الدورة الأولى منه عام 1988 (116) عرضاً تجريبيا عربيا وأجنبيا، وقد مارست العروض كافة التصورات التي وضعها دعاء المسرح العربي المستقل عن الهيمنة الأوروبية (الساحر.. الأعراس... التراث...) فماذا كانت النتيجة؟!

الإجابة نستشفها من خلال تقييم بعض العروض التجريبية الهامة:

-(فرقة مسرح العربية الشعبية) استوحت عملا تراثيا (شهرزاد) عن مسرحية توفيق الحكيم بنفس الاسم، ومن إخراج الإيطالي فاني أفيوري

زالت تظهر في قوالب غرائبية وإيهامية غير مفهومة حتى من قبل النخبة المثقفة، وبالتالي فإن التجريبية المسرحية العربية لم تستطع الوصول إلى مسرح عربي، مع أن كل عمل تجريبي يفترض أنه الشكل المسرحي المطلوب لمسرح عربي، في حين أن هذا الشكل إما أن لا يكون له علاقة بالمسرح، أو يطرح نفسه كشكل ومضمون غرائبي يزيد من غربة المسرح.

غياب النقد:

في الظاهرة المسرحية العربية بشكل عام ما زال النقد الجاد غائباً عنها، ذلك أن النقد المسرحي لا عشييرة له من التراث النقدي، فهو ما زال حيوي، يؤسس، يرسم تقاليده بماء التجربة ونزوات البداية، وأن خطورة هذه النقطة تكمن فيما للنقد من أهمية بالغة التأثير على المسرح وجمهوره في الوقت ذاته.

صحيح أن هناك مؤلفات نقدية مسرحية، لكن معظمها يشتمل على معالجات تنسم بالكلاسيكية «لأنها تعالج الموضوعات المسرحية في صيغة (تيمية) وتعالج العروض المسرحية بحسب الصيغة الجمالية» (25)، والمقالات في الدوريات واليوميات التي تتناول المسرح في العالم العربي نصاً وتمثيلاً، لا يستند معظمها إلى المبررات الموضوعية والمقاييس العلمية، والسبب أن الناقد لا يلجأ لاستخدام ميزان دقيق يزن به أمور المسرح في علاقته بالجمهور، كما أنه لا يملك المعايير الدقيقة وتقاط الاستلام الصحيحة التي يحاكم على أساسها العمل المسرحي، وبالتالي لم يساهم النقد العربي حتى الآن في تطوير المسرح العربي بأي شكل، فكيف بالتأكيد لا فائدة

من الانتظار لو انتظرنا، فما زلنا حتى الآن نسعى لإيجاد مكان مناسب للنقد في ساحة المسرح الأورو-عربي، ومع ذلك جاءت التجارب المسرحية العربية لتزيد من غربة النقد عن المسرح العربي لأنها تجارب تقدم نفسها بدون منهج أو رؤية لناقد هو بالأساس يفترض للمنهج أو الرؤية، ناقد قد لا يعرف ما هي التجريبية، ولم يطلع غالباً على التجارب المسرحية الغربية، وبالتالي نلاحظ (ارتباك) النقاد في العروض أو المهرجانات المسرحية التجريبية، وبحيث يقتصر النقد على وصف مبهم لعرض مبهم، وضمن منحني المدح والذم بدون أن يعرف الناقد لماذا يمدح أو يذم، ودائماً يحاول إخفاء عجزه وراء كم هائل من المصطلحات النقدية الأوروبية غير المرتبطة، وهاكم مثلاً لنقد تناول أحد عروض مهرجان القاهرة المسرحي التجريبي لدورة عام 1995م، يقول الناقد حول أحد العروض:

«العرض حاول الالتفاف على الواقع المسرحي بميتافيزيقية أثنية التوجه يحدوها إيديولوجية غير واضحة على خريطة الأنا والآخر: الأنا - الجمهور + الآخر - الجمهور = تجريبية منطقة تستفيد من الغيرية دون أن تتقهقر باتجاه تشابك الذات مع التقوقع...» (26) أي نقد هذا؟! اللهم إلا إذا نجحنا بتصنيفه كنقد تجريبي غرائبي موجه لتجربة مسرحية غرائبية زأدها هذا النقد غرائبية!!

والنتيجة التي نصل إليها هي أن التجريبية في المسرح العربي لا تزيد حتى الآن عن توصيفات وتجارب وافتراسات تتوالى دون أي منهج محدد، ويمارس معظم هذه التجارب ما يمكن أن نسميه بجرأة (غرائبية) لا علاقة لها بمسرحنا العربي الذي نبحث عنه، وإن إخفاق هذه

التجريبية شكل وما يزال يشكل سببا رئيسيا في تعزيز مكانة الشكل الاوروبي والإيمان في التبعية وتفاقم نظرة الإعجاب للمسرح الاوروبي والغربي.

ما العمل؟

يجب أن نعترف بإنصاف أن إخفاق التجريبية المسرحية العربية وضياها لا يمكن فصله عن الإشكاليات الكثيرة التي يعاني منها المسرح العربي، وكلما نجحنا في حل هذه الإشكاليات كلما خففنا من قتامة التجريبية.

وأبضا يجب أن نعترف بأن بعض الجماعات المسرحية التجريبية مارست تجربتها عن وعي وثقة، وقد ذكرنا بعض هذه الجماعات، وهؤلاء لم يسحبوا اعترافهم بتقديم سيادة المسرح الغربي، ولكنهم سعوا إلى مغامرة وأعية له من خلال تطوير ويلورة فكرة العودة إلى التراث والاحتفال الشعبي وإعادة تركيب مفردات الموروث الشعبي العربي الصافي غير المشوب بتأثيرات الثقافة الغربية، ومن هذه النقطة يمكن أن ننطلق لوضع مقترحات للتجريبية المسرحية العربية وهي:

1. إدراك حقيقة أن التجريبية المسرحية الغربية لها أهداف تفاير أهداف تجربتنا الساعية لإيجاد مسرح عربي، وهذا يعني أن ما يطبق من تجارب مسرحية في الغرب لا يصلح معظمه للتطبيق عندنا، وبالتالي، نحن مطالبون بالاطلاع على تلك التجارب ولكن دون اعتبارها مقياسا قاعديا يجب نقله إلينا.

2. يجب أن يكون اتكاء أية تجربة مسرحية عربية على الجمهور، أي أن

يمارس التجريب بهدف التوجه للجمهور واعتمادا عليه، لا أن يكون التجريب فقط للنخبة المثقفة وليعرض في المهرجانات المسرحية حصرا، ومدى تفاعل الجمهور مع أية تجربة وإقباله على مشاهدتها هو المقياس لجدية هذه التجربة وموقعها من عملية البحث عن مسرح عربي أصيل.

إن مئات التجارب المسرحية تعرض في إطار المهرجانات ولا يسمع بها أحد، بينما عروض الاحتفاليين في المغرب في الشوك في سورية ما زالت محفورة في ذاكرة الجماهير بحب وحنين.

3. يجب وضع أسس وقواعد واضحة للمهرجانات المسرحية (التجريبية منها بشكل خاص) تحدد مواصفات لأي عمل تجريبي يرغب بالمشاركة، وبشكل تكون فيه هذه المواصفات لصالح التجريبية الفعلية ولصالح مستقبل المسرح العربي بشكل عام، وبحيث يكون العمل المشترك مستندا إلى رؤية واضحة وهدف واضح، وإلا ما فائدة أن يشارك (125) عملا تجريبيا في مهرجان القاهرة المسرحي التجريبي الثاني، ثم نكتشف أن تسعين بالمئة من هذه الأعمال هي استعراضات بهلوانية لبعض الممثلين، وسهرات وغرائبيات وتهريج وكل ما يخطر على البال من أشياء لا علاقة لها بالمسرح ولا بالتجريب!!

ويبقى أن نقول إن جميع التجارب المسرحية التي تبحث عن شكل ومضمون لمسرح عربي مستقل ما زالت تحتاج إلى التقعيد بالممارسة المكثفة عبر الساحة العربية بأكملها، وعلى خلفية ثقافية مسرحية وعامة تعي مشاكل مسرحنا الحالية، وأسباب أزمتها، وسبل الخروج من هذه الأزمة.

16. نفس المصدر.
17. مصطفى رمضان. الحركة التجريبية في المسرح المقربي المعاصر. مجلة الكويت. العدد (77). الكويت. 1989.
18. نفس المصدر.
19. حوار خاص لهذا البحث أجريته مع عمر حجرو في حلب.
20. هذا المشهد الذي يسفر عن غرائبية التجريبية المسرحية العربية ورد في أول مسرحية قدمها مسرح الشوك.
21. بول شاؤول. مهرجان دمشق المسرحي. مجلة المستقبل. العدد (616). باريس. 1988.
22. صبحي كردي. حول مهرجان دمشق الحادي عشر للفنون المسرحية. مجلة الوحدة. العدد (53). الرباط. 1989.
23. بول شاؤول. الدورة الثالثة لأيام قرطاج المسرحية. مجلة المستقبل. العدد (563). 1987.
24. للتوسع في تقييم عروض مهرجان القاهرة المسرحي التجريبي الأول نشير إلى بحثنا: جوانب من قضايا وأشكاليات المسرح العربي. مجلة الوحدة. العدد (94-95). الرباط. 1992.
25. د. مشهور مصطفى. المسرح العربي والبحث عن صورة الذات في صورة الآخر. مجلة عالم الفكر. المجلد (25) العدد (1). الكويت. 1996.
26. جريدة الأنوار. 75-7. 1995. بيروت.
1. أحمد سحسوح. فلسفة التجريب المسرحي. مجلة الكويت. العدد (84). الكويت. 1989.
2. التجريبية بين الممارسة والنظرية. ندوة. مجلة الراية. العدد (76). بيروت. 1982 وكان قد أعدها وأدارها كاتب هذا البحث.
3. ج. ل. ستيان. الملهاة السوداء. ترجمة منير الأصبحي. وزارة الثقافة. دمشق. 1996.
4. نفس المصدر.
5. نفس المصدر.
6. التجريب بين الممارسة والنظرية. مصدر سابق.
7. أنتوني آرثو. المسرح وقرينه. ترجمة عمران الزايدي. دار الأمل. بيروت. 1990.
8. نفس المصدر.
9. نفس المصدر.
10. د. محمد هناء عبد الفتاح. سافاري وسيركه السحري. مجلة الكويت. العدد (5). الكويت. 1987.
11. د. محمد هناء عبد الفتاح. من اللاشكلى وصولاً إلى مسرح الموت. مجلة الكويت. العدد (84). الكويت. 1989.
12. حوار مع مارتين أوصلو. أحمد سحسوح. مجلة الكويت. العدد (92). الكويت. 1990.
13. نفس المصدر.
14. نفس المصدر.
15. مفيد الحوامدة. المسرح العربي ومشكلة التبعية. مجلة عالم الفكر. المجلد (17) العدد (4). الكويت. 1987.



خطاب التجريب في المسرح العربي

للدكتور عبد الرحمن بن زيدان

ليس كتاباً واحداً وإنما هو كتب في كتاب

التجريب ضرورة ملحة

• بقلم: عبد الكريم برشيد

نحن الآن أمام كتاب، وأمام كاتب. أما الكتاب فهو «خطاب التجريب في المسرح العربي»، وأما الكاتب فهو الدكتور عبد الرحمن بن زيدان، هذا الرجل الباحث الذي ارتبط اسمه بالمسرح، وعاش للمسرح، وأنتج للمسرح كتباً متعددة في النقد المسرحي، وشارك في مهرجانات عربية، وفي ملتقيات عربية ودولية متعددة والذي ساهم في تأسيس الاتحادات والجمعيات ذات العلاقة بالبحث المسرحي.

لا بد عندما نتحدث عن هذا الكتاب، أن نضعه في إطار الكتب التي سبقته، لأن هذا الكتاب جزء من كل، وجزء من تجربة

في الرؤية لدى الباحث، ولدى الناقد، ولدى المؤرخ المسرحي، إنها قفزة من مساءلة المسرحي العربي في إطار التأسيس والتأصيل إلى مساءلة التجريب كضرورة ملحة أملت لها مرحلة أخرى من تاريخ المسرح العربي.

في البدء كنا نريد - فقط - أن يكون هذا الشيء الذي نبدعه ونتجه ونقدمه للناس أن يكون منهم ولهم، وأن يكون مشابها لما كتبه الجاحظ، وكان هاجس التأسيس وهاجس التأصيل والهوية منسجما مع الكتابات الفكرية التي كانت تدعو إلى التراث وكنا فيها نتساءل: أيهما نختار «الأصالة» أم «المعاصرة»؟

هذه الأسئلة - الآن - يمكن اعتبارها أسئلة وقع الحسم فيها وأصبحت في ذمة التاريخ لأنه ليس من المعقول - الآن - أن نتساءل: هل المسرح العربي عربي؟ أو نقول «المسرح في الوطن العربي» لأن هذا الشيء الذي نمارسه «نحن - الآن - هنا» مطبوع بطابعنا، وموسوم بميسمنا، وبالتالي فيه شيء من روح المكان، وروح الزمن، وروح الموروث الثقافي، لذلك نجد أن كتاب «خطاب التجريب في المسرح العربي» يشكل انعطافا مهما وطفرة نوعية مهمة في تاريخ المسرح العربي، لأنه كتاب ينتقل من سؤال الهوية وسؤال التأسيس وإعادة التأسيس، وسؤال التأصيل إلى سؤال التجريب، والتجريب كما نعرف يعد مرحلة مهمة من تاريخ البشرية.

عندما انتقلنا من البحث النظري إلى البحث التجريبي الميداني انفجحتنا على تجارب لبريخت، ويونسكو، وبيكيت وأداموف، وجان جونييه، وغروتوفسكي فانتقل خطاب التجريب إلى المسرح العربي من أمريكا وفرنسا، وعرفته مصر مع مهرجان المسرح التجريبي في القاهرة،

الدكتور عبد الرحمن بن زيدان. هذا الكتاب جاء بعد كتاب «من قضايا المسرح المغربي» في أواخر السبعينيات، وجاء بعد كتاب «المقاومة في المسرح المغربي»، وجاء بعد كتاب «كتابة التكريس والتغيير في المسرح المغربي»، وبعد ذلك جاء كتاب «أسئلة المسرح العربي» ثم «قضايا التنظير في المسرح العربي من البداية إلى الامتداد»، ولا أقول أخيرا جاء هذا الكتاب ليتوج بعد هذا العطاء المتعدد والغزير عطاء في الكتابة النقدية، وفي التاريخ للكتابة المسرحية، لا أقول المغربية ولكن العربية أيضا.

في كتابات الناقد عبد الرحمن بن زيدان نجد دائما أن المحور الأساسي هو «القضية» كما تبرز ذلك تلك الكتب التي ظهرت مع مجموعة من المسرحيات، ومع المسرح التجاري الذي ظهر في الثمانينيات، وهو الآن مسرح ينتعش، ويعرف نوعا من الانتفاضة في النصف الثاني من التسعينيات من خلال مسرحيات ذات طابع تجاري، الشيء الذي استوجب أن يكتب الدكتور عبد الرحمن بن زيدان كتابه «التكريس والتغيير».

بعد هذه المرحلة دخل الناقد تجربة جديدة أوسع وأشمل من حيث الطرح، ومن حيث الاشتغال، ذلك أنه خص كتاباته الأولى بالمسرح المغربي، وبعد هذا التوجه سيوسع نطاق اشتغاله وسيطينا كتبنا تشتغل على تجربة المسرح العربي تنظيرا وممارسة فيها سيخوض في كل الأسئلة الكائنة والممكنة التي طرحها المسرح العربي والتي يطرحها وهي في السبعينيات والثمانينيات كانت أسئلة حول الهوية، وحول التأسيس، وحول التأصيل، لذلك سنجد هذه القفزة النوعية

شيء ممكن بطبيعة الحال لأن مناهج في العلوم الإنسانية ربما غامرت كثيرا ووصلت في النهاية إلى الباب المسدود، لأن الفن هو الذوق، والذوق زئبقى، شيطاني لا يخضع للقواعد أو القوانين، وبالتالي فالدكتور عبد الرحمن بن زيدان اتخذ مجالات صعبة وغامر في المجالات الصعبة، والصعبة جدا تتمثل في المقاربة النقدية للتجارب المسرحية العربية.

هذه التجارب سايرها الدكتور علي الراعي في مصر، وكتب كتاب «الكوميديا المرتجلة» ودعا إلى الارتجال، وبالتالي ضرب النص، وضرب الكتابة المسرحية، والدكتور عبد الرحمن بن زيدان كان واعيا بهذه التغيرات في المسرح العربي، وكان واعيا بمكونات التجارب التي عرفها المسرح العربي، وكان ملما بكل التفاعلات والأسئلة التي طرحها المسرحيون في العالم الغربي، وبالتالي عرف بأنه لا يمكن إطلاقاً أن يؤسس مسرحاً عربياً إلا بالنص، لأن المخرج يمشي ويذهب، وتبقى الكتابة، ذلك أن النص المسرحي هو بذرة المسرح، فهنا «الزرع» وهناك «الزريعة» وهناك «الزراعة» ولا يمكن أن تكون هناك زراعة بدون «زريعة».

الواقع أن النص هو روح المسرح، فبريخت ذهب ولكن نصوصه لا تزال، مات موليير المخرج والممثل لكن ما زال موليير يقدم في العالم بأشكال مختلفة ومغايرة.

لقد ساير الدكتور عبد الرحمن بن زيدان ميلاد مهرجان المسرح التجريبي في القاهرة 1988، وشارك في اللقاءات والندوات وتابع السؤال / الإشكالي: «كيف يمكن أن نكون تجريبيين؟».

الإجابة عن هذا السؤال تجعلنا نؤكد على الحقيقة التالية التي نفتنح بوجودها

وهو ما يقبض عليه الدكتور عبد الرحمن بن زيدان في هذا الكتاب الذي هو في الواقع ليس كتاباً واحداً، وإنما هو كتب في كتاب: هناك كتاب خطاب التجريب في المسرح المغربي، وخطاب التجريب في المسرح الجزائري، وخطاب التجريب في المسرح العراقي، وخطاب التجريب في المسرح الخليجي، وبالتالي يمكن أن نقول إن هذا الكتاب هو موسوعة للمسرح العربي تقوم على أساس الشمول والتعدد والتنوع والغنى الكامل.

يمكن أن نطرح سؤالاً يتعلق بمفهوم التجريب في كتابات الناقد عبد الرحمن بن زيدان: أو كيف يفهم هذا الناقد التجريب؟

النقد والذوق الزئبقي في التجريب المسرحي

نحن نعرف أن التجريب في الغرب له منظوره، وله أدوات اشتغاله، وبالتالي لا يمكن أن نتحدث عن التجريب عربياً إلا بالقبض على مميزات هذا التجريب، وهذا الكتاب يحدد لنا مفهوم الناقد لهذا المصطلح لأنه يقول خطاب التجريب في المسرح العربي تخصيصاً، ولا يقول خطاب التجريب عند غروتوفسكي، أو في المسرح الأمريكي، أو في المسرح الفرنسي. قد يتساءل متسائل: لماذا التجريب في المسرح العربي، قد قيل ذلك، وتم التساؤل حول ذلك في المهرجانات العربية؟.

الإنسان هو حالات، والحالات قائمة على أساس التغير والتبدل، وبالتالي ما أقوله الآن قد لا أقوله بعد قليل، وبالتالي الإنسان هو هذه الكيمياء النفسية القائمة على التحول، وبالتالي هل يمكن أن يكون التجريب في العلوم الإنسانية مشابهاً للتجريب في العلوم البحتة؟

السابق، وكنا نقول نحن جيل بدون أساتذة، وفي الواقع ليس هناك جيل بدون أساتذة، كما أنه ليس هناك جيل بدون أب، إننا أبناء الطيب العلي، وأبناء القرى وكل الرواد الذين أرسوا قواعد هذا المسرح المغربي والعربي، وبالتالي فإن التأسيس هو حجر على حجر، إنه أساس، وبالتالي فإنه تلك النزعة التجريبية ينبغي أن نحتاط منها، وأن نحذر قتل الأب لأنه لا بد أن تراكم التجارب، لذلك نجد الكتاب يدرس الطيب الصديقي، والأستاذ عبد الله شقرون من الرواد، ويدرس كل الذين أرسوا قواعد المسرح المغربي أو العربي، يدرس نعمان عاشور في مصر الذي يعد مؤسس الواقعية الاشتراكية في مصر، هذا المبدع الذي جاء بعد توفيق الحكيم الذي كان في حيرة من أمره، جاء الحكيم فوجد فنا أسمه المسرح وتجارباً غير ناضجة، بعد ذلك ذهب إلى فرنسا ووجد تجارب ناضجة، ومكتملة، ووجد أن المسرح الغربي فيه مدارس، وفيه تيارات، وفيه أجيال متواصلة، هناك الكلاسيكية القديمة، والكلاسيكية الجديدة، ووجد الرمزية والواقعية والعبث، فحاول أن يأخذ من كل هذه التجارب، وأن يكون عبثياً، وأن يجرب في كل الاتجاهات، أما نعمان عاشور فقد جاء بعد الثورة الناصرية فحاول أن يكون مرتبطاً بالواقع وأن يركز على العمالية، وأن يعبر عن التغيرات التي تقع في مجتمع يخرج من مرحلة، ويدخل مرحلة جديدة، كذلك سنجد في هذا الكتاب دراسة توخى من وراثتها الناقد عبد الرحمن بن زيدان ضبط آليات اشتغال في المسرح الخليجي، هذا المسرح الجديد / الحديث الذي كان في البداية - كما هو الشأن في المسرح المغربي - مسرحاً مدرسياً تطور إلى أن أصبح

وبشرعيتها وهي كالتالي: «ليس هناك تجريب يقوم على التقليد»، وأن ما يقع عليه التجريب لا يمكنه أن يكون - في المجال الفني - قاعدة قادرة لا تحتل النظر: ولذلك ننتقد كثيراً المسرحيين العرب الذين لم يجربوا، ولكنهم قاموا بإعادة التجريب، أو جربوا ما حسم فيه التجريب، لذلك فالدكتور عبد الرحمن بن زيدان طرح مفهومه للتجريب بطريقة جديدة، وهي المسائرة لوجهة النظر التي قدمها الاحتفاليون في العالم العربي، القائمة على أساس أن التجريب في الوطن العربي ينبغي أن يكون تأسيساً، أو هو تجريب للتأسيس وهذا ما يمكن أن يميزه عن التجريب في المغرب.

في أوروبا هناك مسرح قائم الذات له تاريخ. المؤلفون لهم أسلاف، المخرجون لهم شيوخ، وبالتالي هناك مسرح قائم بالذات يجعلنا نقول إذا كان الشباب في الغرب يثور على أسلافه، ويتمرد عليهم لأنهم يشكلون أمامهم عقبة في وجه التجريب فنحن لا نتوفر على هؤلاء الذين يشكلون عقبة، في الغرب هناك ما يمكن تسميته بعمود المسرح - كما هو الأمر في عاود الشعر العربي.

القصيدة العربية لها تاريخ، ولها محددات لا يمكن الخروج عليها، وبالتالي وقع التجريب فيها، وفي المسرح ما هو عاود المسرح العربي حتى يمكن اختراقه والثورة والتمرد عليه؟ نحن - إذن - محكومون بأن تؤسس، ولذلك فالدكتور عبد الرحمن بن زيدان - مع كل المسرحيين العرب - أكد على أن التجريب في المسرح العربي ينبغي أن يكون تجربياً للتأسيس، والتأسيس يقوم على المواقفة، وهذا شيء ربما تكرر كثيراً في السبعينيات، ويمكن أن نعترف أنه لدينا نوع من العداء للجيل

الظلال والتركيز على الممثل باعتباره أساساً وليس لما يقول النص الجاهز المكتوب سلفاً، ولكنه هذا الكل في العرض المسرحي وفي اللقاء بين الممثلين والجمهور الشيء الذي يحيله إلى خطاب للصورة كالسرح العراقي.

إن الدكتور عبد الرحمن بن زيدان لم يرسم المسرح التونسي من خلال القراءة فحسب، أو دراسة النصوص المسرحية، أو من خلال دراسة البيانات أو الكتب لمؤلفين تونسيين مثل الأستاذ محمد المديوني أو عز الدين المدني بل كتب كتابات تجريبية وميدانية عن المسرح التونسي والعربي عموماً من خلال ما عرض أيام قرطاج المسرحية بتونس في دوراتها المتعددة، وفي ملتقيات عربية، وفي ربيع المسرح العربي في المغرب، وبالتالي فهو في كتاباته لا يكتب اعتماداً على السماع، ولكن انطلاقاً من الميدان، كتابة ميدانية قائمة على أساس تأسيس رؤية إبداعية جديدة في النقد.

مزائق التجريب في الشكل

إن كتاب «خطاب التجريب في المسرح العربي» هو مرحلة أخرى. لا أقول في تجربة الدكتور عبد الرحمن بن زيدان، ولكنه مرحلة أساسية ومهمة في تاريخ المسرح العربي وهو يمثل آخر صيغة وصل إليها المسرحيون الآن في آخر دورات الملتقيات والمهرجانات وبالتالي فهو يقبض على أكثر الأسئلة حرقاً وراهنية وأكثرها علاقة بالمعيش واليومي، وأكثرها ارتباطاً بالمرور الثقافي للإنسان العربي. إن الدكتور عبد الرحمن بن زيدان لا يقدم دراسات تجريبية محضة عن ضوء وعن ظلال وعن أشكال بدون مضمون أو

مجموعة من الفرق، ولا يمكن أن ندرس المسرح في الخليج دون دراسة التغيرات الاجتماعية التي حدثت بعد اكتشاف البترول، مجتمع كان قائماً على أساس الغوص والبحث عن الجواهر واللؤلؤ في البحار، مجتمع تجاري يتحول فجأة - غنياً. هذا المجتمع كيف يمكن أن يكون تجريبياً؟ وهل من المنطقي أن نتحدث عن التجريب في الكويت أو في البحرين أو في قطر، أو في الإمارات العربية المتحدة دون مراعاة السياقات السياسية والثقافية والاقتصادية للخليج؟

كذلك سنجد في هذا الكتاب حديثاً مركزاً عن مسرح الصورة في العراق، واعتقد أن مسرح الصور هو من أكثر التجارب العربية تجريبية عند الدكتور صلاح القصب، هذا المخرج المجنون بكل ما في الكلمة من معنى حيث مسرحه عبارة عن صورة جميلة ورائعة تعتمد على أقل ما يمكن من الكلمات للاعتماد على ما يرى، وهذا المخرج يؤمن بأن المسرح هو ما يرى، وهذا ما جعله يقدم مسرحية «الملك لير» لشكسبير، ولكنه قدمها بطريقته الخاصة القائمة على أنها لوحة بصرية متحركة، فيها حركة، فيها أذواق، وألوان وإيقاعات سريعة، وفيها دينامية داخلية، والدكتور عبد الرحمن بن زيدان واكب مجموعة من الأعمال التي قدمها الدكتور صلاح القصب منها مسرحية «الحلم الضوئي»، وقام الناقد بعد ذلك بدراسة مانيفيستو أو بيان مسرح الصورة، وبذلك أعطانا رؤية عن المسرح العراقي في جانبه التجريبي.

في هذا الكتاب نجد حديثاً عن المسرح التونسي وهو تجربة يكون فيها التجريب على حساب المضمون وذلك في بحث هذا المسرح عن اللغة البصرية، وفي لغة الجسد، في الحركة، في الأضواء، في

المائة، وأن يكون هذا الشكل على حساب المضمون، فتوفيق الحكيم سقط في هذا المأزق حين انخدع بمسرح اللامعقول، وأراد أن يكون لا معقولا من حيث الشكل. قال: «أنا أؤمن باللامعقول من حيث الشكل، ولكن المضمون معقول» هذا غير منطقي لأن الشكل ليس بريئا، والذين لا يؤمنون بالإنسان كانوا من أصحاب اللامعقول.

هذا التجريب إذا لم يحتز منه المسرح العربي سيسقط في نفس خطاب التجريب الغربي لأنه خطاب وهو ما كان واعيا به الدكتور عبد الرحمن بن زيدان وهو يقارب تجارب المسرح العربي، وكان على بيئة من أمر هذا المسرح الذي ينبغي أن يؤسس وفق معايير أخرى، ووفق معطيات مغايرة. وهو ما أبرزه الناقد في هذا الكتاب الذي هو إحاطة شاملة بقضايا التجريب في المسرح العربي في كل الوطن العربي وذلك بوعي قومي يحسه كل المسرح العربي، وهذا في الواقع ما كان ينقص. دائما. الكتابات المشرقية، فالشاركة عندما كانوا يكتبون عن المسرح العربي فإنهم - في الواقع - كانوا يقصدون المسرح في مصر ولبنان وربما سوريا، هذا هو المسرح العربي، وهذا هو الشعر العربي في مصر ولبنان والعراق، إننا - في المغرب - نمارس الكتابة - نحن / هنا من أقصى العالم العربي نمارسها بشمولية وبرؤية مفتوحة على كل التجارب بدون مركب نقص وفي انفتاح على كل العطاءات المتعددة التي تشكل في مجموعها ما نسميه بالمسرح العربي وهو ما عمل على تحقيقه الدكتور عبد الرحمن بن زيدان في كتابه: «خطاب التجريب في المسرح العربي» وهو ما يجعلنا نقول: إن هذا الكتاب ليس كتابا واحدا وإنما هو كتب في كتاب.

دلالة تاريخية، بل يربط هذه الحركة بشروطها التاريخية والجغرافية والسياسية والمعرفية والحضارية العامة، لأن التجريب في الخليج ليس هو التجريب في تونس، والتجريب في المغرب ليس هو التجريب في موريتانيا، إن الجغرافيا ليست محايدة والتاريخ لا يمكن أن يكون محايدا أو بريئا، والزمن ليس مجرد أرقام، وبالتالي فعام 1970 ليس هو عام 1990، وجيل النكسة الذي عايش هزيمة يونيو وكتب الفن المسرحي ليس هذا الجيل الذي عاش حرب الخليج، وبالتالي الزمن ليس مجرد أرقام. هذه القناعات وهذه المعطيات، وهذه التفاعلات في الذهنية العربية وفي الواقع العربي السياسي والاجتماعي كلها قضايا ألم بها هذا الكتاب وحاول أن يقبض على خيوطها وهي خيوط متشعبة ومتداخلة حاول هذا الكتاب الاشتغال على هذا التشعب وهذا التداخل فيها.

إن كان يقال إن المسرح أبو الفنون، وأبو الصناعات، وأبو المؤسسات، فالمسرح مؤسسة مثلها مثل المدرسة، لأنه يعلم، ولأنه يعطي، ولأنه فلسفة أيضا، ومن هنا لا يعقل - إطلاقا - أن يكون هناك إبداع مسرحي وتكون هناك كتابة مسرحية إذا لم يكن للكاتب خطاب ما، رسالة ما. كان الطيب الصديقي يقول ساخرا من نفسه «إنه ليس بساعي بريد». المبدع ليس ساعي بريد حقا، ولكنه رسول وصاحب رسالة، وساعي البريد قد يحمل رسائل الآخرين ولكن المبدع ينبغي أن يرسل رسالة ما، وإذا كانت هذه الرسالة لا تحتوي على مضمون ما، على خطاب ما، فإنها ستكون مجرد لغو وتزويق ولعب بأذهان الناس، ولذلك فهذا هو مأزق التجريب.

كيف يمكن أن نجرب على مستوى الشكل من غير أن نكون شكلانيين مائة في

الدائنة

واستخداماتها في تنفيذ المناظر المسرحية

• د. عبد الرحمن الدسوقي

إذا كان أول استيعابنا للسينوغرافيا هو الإلمام بمفردات المنظر الأساسية، فإن إدراكنا الأول يتمثل في المادة التي نفذت بها هذه المفردات، ثم المضمون التعبيري. هذه المادة هي التي تساعدنا على ازدياد فهمنا لما نسميه، بالبعد الابتكاري للحوار في خلق الدلالات والعلامات القائمة على خشبة المسرح، لذا تمثل الخامة محورا هاما في علاقتها بالعملية الإبداعية في تصميم وتنفيذ المناظر المسرحية، فهي الوسيط المادي الذي به ومن خلاله يتم التعبير والتشكيل بكافة تقنيات التنفيذ المتاحة، ومن خلالها (الخامة) أيضا يتم تجسيد واستشعار القيم والمعايير الجمالية.

فدراسة الخامة تعتبر أساسا يقف من خلاله الباحث على مدى تقدم الفكر العلمي في إيجاد مواد وتقنيات جديدة في تنفيذ المناظر والمهمات المسرحية، يستهدف بالدرجة الأولى، إيجاد وسائل علمية تساعد سينوغرافي المسرح على تحقيق أقصى قدر ممكن من تصوراتهم في العرض المسرحي.

وإذا كان التقدم العلمي قد أحدث تحولات في الشكل والمضمون في الفن

من حيث قابلية الاشتعال لعملية التشكيل والانشاء.

وخاصة بالمواد ثنائية التركيب وما ينتج عن ذلك من غازات سامة وخائفة، ومع ذلك فقد أضافت اللدائن أشكال ابتكارية لم تكن معهودة من قبل، ومن هذا المنطلق يسعى الباحث إلى هذه الدراسة.

وبداية وجب على الدارس التفريق بين كل من المواد التقليدية، وهي مواد استقر تناولها في تصنيع وتنفيذ المناظر والمهمات المسرحية ★ إلى أن ظهرت اللدائن فحددتها بالمواد التقليدية، بيد أن المواد الحديثة، وما تندرج إليه من معنى ومفهوم نحو المواد اللدائنية، أصبحت في كثير من الأحيان بدائل للمواد التقليدية، فإن هذا التصنيف من الخطأ أن نسلم به واعتباره أمراً واقعاً، ففي الحقيقة عندما نطلق على المواد اللدائنية مواد حديثة، فليس معنى ذلك أننا نغفل بقية المواد الأخرى واعتبارها مواد غير حديثة انتهى التعامل معها، فقد سبق أن أشار الباحث إلى أن التناول التقني المتنوع والوسائط المستخدمة فيه قد أضفى على المواد التقليدية أبعاداً تقنية وجمالية جديدة، الأمر الذي يجعلها لا تقف عند حد القدم بل صعد بها إلى الحداثة.

ميدان البحث:

يضم عالم السينوغرافيا عدة فنون مجتمعة، فهو فن تنسيق فضاء خشبة المسرح والتحكم في شكله، بغرض تحقيق أهداف العرض المسرحي، أو الغنائي، أو الراقص، الذي يشكله إطاره الذي تجري فيه الأحداث (١) ... ويهدف

المعاصر، فإن من شأن المناخ التشكيلي على خشبة المسرح، أن يستحوذ على أكبر قدر من المعاصرة، باعتباره أن السينوغرافيا أكثر الفنون تأثراً بهذا التقدم التكنولوجي، فمع العقد الرابع من القرن العشرين تمكن العلماء من إيجاد مواد حديثة استخدمت كبداية للمواد التقليدية من بينها ما يعرف بالمواد اللدائنية ★ التي استفاد منها الكثير من سينوغرافي ومنفذي المناظر المسرحية عالمياً، بالإضافة إلى التطور الهائل في تقنيات آلية كل من المناظر وخشبة المسرح، وكذلك تناول المواد التقليدية باستخدامات وتقنيات حديثة.

ومعنى ذلك أن هناك ثورة فعالة في إمكانية تحقيق صور ابتكارية جديدة على خشبة المسرح، ليس فقط لما قدمه العلم الحديث من مواد لدائنية ★ ذات إمكانات خلاقية في التشكيل، وإنما أيضاً لحداثة تناول الخامات التقليدية بمفهوم جديد.

وبمراقبة الحركة الفنية في مجال السينوغرافيا في مصر يتضح للباحث مدى فاعلية استجابة كثير من الفنانين لروح العصر، ليس فقط في استخدام المواد المخلفة الحديثة في تنفيذ المناظر والمهمات المسرحية، بل أيضاً في إعادة صياغة المواد التقليدية على نحو جديد، وكان من بين هؤلاء الفنانين عمر النجدي، وسمير أحمد، وفتحي فؤاد وآخرون.

لقد دفعت المواد اللدائنية بفناني السينوغرافيا المصريين إلى تحقيق صور جديدة خلاقية لم تكن موجودة من قبل على خشبة المسرح، وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت بعض الصعوبات التي لم تكن في مشاكل استخدام هذه المواد

إلى صياغة تصوير وتنفيذ تصميم لمكان العرض، وكذلك لعرض المكان الخاص بالعمل الفني المطلوب تقديمه على المسرح (2).

وتصميم المناخ التشكيلي للمنظر المسرحي والتفاعل معه من ناحية المظهر، يعتمد على استثمار كافة الأشكال والأحجام والمواد والمهمات والألوان والضوء، وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن عملية التصميم هذه تقوم على أربعة محاور أساسية هي: عمارة المكان المسرحي، مع تصور فضاء المنصة والقاعة، ثم ديكور العرض مع سائر العناصر التي يتشكل منها، ثم المهمات المادية والتجهيزات التقنية التي تتعلق بالمكان، بالإضافة إلى الجانب الصناعي الذي يرتبط بذلك (3)، والحديث على هذا النحو كثير ومتشعب، إذ أننا لا نستطيع أن نتناول بالدراسة جميع هذه المحاور كلاً على حدة، لذا يرى الباحث أن تقتصر الدراسة على استخدام اللدائن وأمكانياتها الابتكارية في تنفيذ ديكور العرض والمهمات والاكسسوار الخاص به.

موضوع البحث:

يتعلق موضوع البحث بالخامات اللدائية وأمكانياتها الابتكارية في تنفيذ المناظر والمهمات والاكسسوارات المسرحية، وهو الجانب الموضوعي، لا يمس المادة كحالة منفردة بذاتها فقط، وإنما سنتناول علامة المادة وأمكانياتها الابتكارية في تنفيذ المناظر والمهمات المسرحية، وسنذكر الباحث كل ما يحتاجه من معلومات شتى في أي مجال من شأنه أن يثري البحث بشكل مباشر

في ابتكارية المادة من الناحية التشكيلية والتقنية.

لذا فإن موضوع البحث يرتبط بعدة جوانب لها أهميتها في إبراز دور المادة بشكل حسي ديناميكي، فمنها ما يتعلق بتقنيات استخدام المواد المختلفة من اللدائن، ومنها ما يتعلق بالامكانيات الابتكارية للخامات المحققة لتصورات سينوغرافي المسرح ومنها ما يرتبط بالأساليب المتنوعة التي لها مفعول كبير في توجيه مدركات المشاهدين لما هو قائم على منصة التمثيل ومن ثم الاحساس بالرسالة التشكيلية ككل، فضلاً على الجانب الانساني المتمثل في السينوغرافي بوصفه المحقق لدور المادة، فهو انسان يعيش واقع الحياة ونتاج طبيعي للزمان والمكان، ومن هنا تكمن مهمته في انشاء تصورات بوسائطه المتاحة، بهدف تحقيق التوحد بين ما يستشعره تجاه الموضوع الدرامي من ناحية، وبين الخامة من ناحية أخرى، باعتبارها جهداً ابتكارياً، فمن خلال الفهم الدقيق لامكانيات المادة يستطيع السينوغرافي أن يوظف مادة «الفغل» في تكوين يحقق رؤيته الذاتية، بهذا المعنى تصبح مهمة السينوغرافي شبيهة بما يقول هربرت ريد عن منحوتات هنري مور «تربية المادة حتى ينتقل بها (الفنان) من حالة وجود مختلط تعسفي إلى وجود منتظم عقلي» (4).

وقد أشار هربرت ريد في كتابه فن النحت، إلى القدرات الابتكارية للمواد في تحقيق أبعاد فراغية، وقد أوضح أن السمة المميزة في فن النحت تتمثل في أنه فن ذو أبعاد ثلاثة، وهدفه الفراغ، الأمر الذي ينطبق تماماً على التشكيل في الفراغ المسرحي، ونستطيع أن ندرك

تأثير ضار جدا، لذا يفضل تنفيذ مثل هذه الأعمال في الهواء الطلق(5) إلا أنه عندما يؤخذ في الاعتبار الاهتمام بوسائل الأمان بشكل كامل أثناء التنفيذ يصبح استعمال اللدائن ذا فائدة كبيرة، إذ تعطى أشكالاً واسطح بملامس متنوعة يصعب الحصول عليها من المواد التقليدية، ويعد البوليستر والأكريليك والبولي سترين من أهم المواد اللدائنية التي لجأ إليها بعض فناني السينوغرافيا محققين بها نتائجهم الفني على خشبة المسرح.

تعرف المعاجم التكنولوجية المتخصصة اللدائن بأنها «مجموعة كبيرة من المواد المؤلفة والصعبة والمضوية بصفة عامة، وتكون عادة ذات أساس من الراتنجيات التخليقية أو البوليمرات Polymers الطبيعية المحورة والبوليمرات(6) أقرب إلى الدقة لمعنى البلاستيك★، فهذه الكلمة تستخدم لوصف الجزئيات الكبيرة بوحدة متكررة، متحدة كيميائياً ببعضها على هيئة سلسلة أو شبكة، كما أن البوليمرات تكون إما طبيعية أو صناعية، أو بمعنى آخر عضوية أو غير عضوية(7).

يعرف م.ج. كزتز، اللدائن بأنها مواد عضوية يمكن أن تنساب في إحدى مراحل تكوينها، ويمكن حملها على الانسياب واتخاذ الشكل المطلوب باستخدام الحرارة والضغط المناسبين، وهي تحتفظ بهذا الشكل إذا ما أزيل عنها الضغط والحرارة المستخدمين في تشكيلها(8).

كثيراً ما يطلق على هذه المواد اسم البلاستيك، ولعل الباحث هو أن تلك الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية بلاستيكوس (بمعنى قابل للتشكيل)(9)

ونستشعر بحجم الفراغ فوق منصة التمثيل من خلال الانشاءات النحتية التي يقوم بها كل من السينوغرافي ومخرج العرض.

وحينما نأمل من تطوير كل ما هو قائم على خشبة المسرح، فإننا ندرك أن الفراغ ملازم لها، بل ملاصق معها، سواء كانت عروض تقدم داخل قاعات تقليدية أو تجريبية أو في مسارح الهواء الطلق.

سرعان ما دخلت اللدائن في حياتنا اليومية، وأصبحت جزءاً جوهرياً في كافة مجالات المعيشة فحلت بالتالي محل المواد الأولية والخام، مثل الأخشاب والمعادن التي ارتفع ثمنها بشكل كبير وانخفض إنتاجها بطريقة تقلل من المنتج إلى حد بعيد، الأمر الذي دفع بفناني السينوغرافيا ومنفذي المناظر إلى استخدام وسائل جديدة لها من الامكانيات والمواصفات، ما يساعد على تحقيق تصوراتهم التي وقفت عند حد التسطيف والتجسيم بالمواد التقليدية.

ومن هنا اتجهت الأنظار إلى العناية باللدائن واستخدامها في تنفيذ المناظر المسرحية، لما لها من قابلية التشكيل ومحاكاة المواد والعناصر والأشياء على نحو أفضل، واللدائن على هذا النحو تخلق تحدياً فنياً حقيقياً للسينوغرافي، ولكنها في نفس الوقت جاءت بمشاكل أخرى لم تكن موجودة من قبل، فالترافعات الناتجة عن المركبات ثنائية التكوين، تنتج أبخره وأدخنة★ خطيرة جداً بالإضافة إلى ارتفاع في درجة حرارة المركب نفسه، وهناك بعض أنواع من اللدائن ومذيباتها ومصلباتها الكيميائية، ينتج عنها أبخرة تسبب التهابات واستنشاق هذه الأبخرة أو ملامستها قبل خمول تفاعل المركب له

للذوبان إلى كتلة غير منصهرة وغير قابلة للذوبان بعد التصليب (14). ومن أنواع البوليمرات المستقرة بالحرارة الفينوليك Phenolic، ويوريا فورمالدهيد Urea Formaldehyd، والميلامين Melamine، واللاكيد Alkyd، والكازين Casein، وفيران Fu-rane، وبولي يورثان Poly Urethane. وسوف يعرض الباحث لأهم أنواع اللدائن التي تستخدم في تنفيذ المناظر والمهمات المسرحية المتينة بالحرارة والمستقرة بها.

١- بولي ستيرين Polye Strene

يعد البولي ستيرين أحد اللدائن المستخدمة بكثرة في تنفيذ المناظر المسرحية والتلفزيونية والسينمائية على حد سواء، إذ وجد مصممو المناظر ومنفذوها في هذه المادة صفات جيدة للتشكيل على خشبة المسرح لما لها من سهولة في القطع والتركيب والنحت، وأكساب هذه الأشكال والتكوينات ملابس متعددة بواسطة الأدوات الحادة وآلات النشر والبرد والصنفرة.

والبولي ستيرين مادة رغوائية تتشكل بالحرارة والضغط، ويطلق عليها عادة ستيروفوم، وستيريوبور وهي أرخص اللدائن التي تقبل مختلف المعالجات على سطحها.

وهذه المادة غير مسامية (15)، فهي عبارة عن بناء من الكرات المجوفة، كل منها محتوية على نسبة من الغاز، ويعطى ذلك خاصية ممتازة للتمدد، ولكنها تعوق عملية القطع بالأدوات العادية، فعندما يستخدم سراق التمساح، أو سراق الظهر، أو السكين

وكلمة بلاستيك تطلق على المواد التي لها خاصية اللدونة، إلا أن هذه الكلمة لا تصلح لتعريف اللدائن التي تمتلك فعلاً هذه الخاصية في إحدى مراحل تكوينها، إذ أن كثيراً من المواد وعلى رأسها «الزجاج»، تمتلك خاصية اللدونة ولكنها لا تنتمي إلى عائلة اللدائن.

وأقرب اللدائن المعروفة هي البوليثين Polythene، وسلسلة جزئي البوليثين المركب تتكون من ذرات الكربون التي تتصلب الواحدة بالأخرى، كما تتصلب في الوقت نفسه بذرتين من الأيدروجين (10). ويوجد مجموعتان من اللدائن من حيث التلين بالحرارة وهما، اللدائن المتلينة بالحرارة Therme Plastics، واللدائن المستقرة بالحرارة Therme Sitting Plastics.

١. اللدائن المتلينة بالحرارة: وهي تلك التي يمكن تليينها وإعادة هذا التلين إلى ما لا نهاية باستخدام الحرارة والضغط (١١)، ومن هذه المجموعة البوليثين Polyethene، وبولي فينيل كلورايد Poly Vinyl Chloride، وبولي ستيرين Polye Styrene، والاكريك Acrylic، والنايلون Nylon، وبولي بروبيلين Polye Prolylene، وبولي فينيل فلورايد Poly Vinyl Fluoride، وبولي تترافلور واثيلين Poly Tatra Fluoroethylene، وإسيتال Ace-ital، وسيليلوزيكس Cellulosics (12).

٢. اللدائن المستقرة بالحرارة: وهي على النقيض، إذ تعاني تغييراً كيميائياً عندما تقع تحت فعل الحرارة والضغط، فلا يمكن بعدهما حدوث أي تغيير في شكل هذه الأنواع باستخدام مزيد من الحرارة (13)، وهي من مواد مخلقة متجمدة تتحول من كتلة منصهرة قابلة

يستخدم في تنفيذ المناظر السينمائية والتلفزيونية أكثر منه في المسرح، لضرورة تنفيذ قوالب محددة يتم التشكيل بموجبها، والمنتج المتوافر من البولي ستيرين المضغوط في الأسواق عبارة عن بانوهات زخرفية وتحشيات لنهايات الجدران والأسقف بمقاسات متعددة، بالإضافة إلى بلاطات للأسقف الشائع منها مقاس $0,60 \times 0,60$ م تستخدم للتغطية وأعمال تجليد الأسقف والحوائط وكبدل للأسقف والتحشيات المصنعة من الجبس، كما ينتج منه مسطحات ذات أبعاد متعددة لتحاكي أشكال الجداريات المتنوعة من الحجر المنتظم والعشوائي وكذلك أشكال الجداريات الحرارية والصور ناجا.

ب- بولي ستيرين غير مقاوم للحريق «الاستريوبور»

يعرف بولي ستيرين غير مقاوم للحريق في مصر تحت عدة أسماء أشهرها الاستريوبور والغوم ربر، وينتج بكميات متعددة تبدأ من ثلاثة عشر كيلوجرام للمتر المكعب، وحتى ثلاثين كيلوجراماً، ولون هذه المادة أبيض شامق ★ والانتاج الشائع منها يظهر في صورة بلوكات «كتل من متوازي مستطيلات أبعادها 1×2 م وارتفاع 50 سنتيمتر، ويمكن تقطيع هذه الكتل الصماء إلى ألواح بتخانات متعددة تبدأ من اسم وبتخانات متعددة وفقاً للسك المطلوب.

2. بولي إيثيلين

توجد عدة أشكال من البولي إيثيلين، أهمها ما يستخدم في تنفيذ المناظر المسرحية هو:

أ- غشاء البولي إيثيلين:

ويأتي هذا المنتج في صورة رقائق من

المشرشرة، فإن الخامة تتحول إلى قطع صغيرة، خاصة في البولي ستيرين الأقل كثافة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المادة تتأثر بالعديد من المذيبات خلال التكوين، وأفضل نتيجة يمكن الحصول عليها بواسطة استخدام المستحلب المائي فينيل Vinyl.

يتكون البولي ستيرين من الكربون والأيديروجين وحدهما، وكل من هذين يعرف بالجزئيات المركبة (المطاوعة للحرارة) حيث إنها تنصهر بالتسخين، ويعني ذلك أن الجزئي المركب يمكن تشكيله في قالب بعد تكوينه من الجزئيات البسيطة (16) ومنه الآتي:

أ- بولي ستيرين المضغوط:

ينتج البولي ستيرين المضغوط على هيئة ألواح رقيقة تتشكل بالتسخين، مقاومة للحريق، ولونها أزرق، أو رمادي، أو أبعادها $1 \times 1,8$ م، كما ينتج في صورة رولات بأطوال مختلفة، وبعرض 1 م، وبتراوح سمك المنتج من 0,1 بوصة إلى 0,02 بوصة.

يتم تشكيل ألواح البولي ستيرين المضغوط عند تعرضها لدرجة حرارة $150/200$ درجة مئوية وذلك بوضعها في القالب، أو العنصر المراد تنفيذه، وتأخذ مسطحات البولي ستيرين تشكيلاتها النهائية بعد التبريد في درجة الحرارة العادية. وأفضل الطرق المتبعة في هذا المجال هي التشكيل بقالب من خلال آلة تشكيل بالتفريغ، ويقبل البولي ستيرين المضغوط جميع الدهانات فيما عدا الصمغ الجاف، كذلك تضيف دهانات الرش (الاسبراي) المعدنية من المينا، والـك، شكلاً نهائياً لامعاً.

يستخدم هذا النوع من اللدائن في أعمال الديكور والتشطيبات الداخلية، كما

ب- غرواني بولي ايثيلين:
يعرف تجاريا باسم بايثوفوم، وهو غرواني مرن قابل للحط، صلب وسطحه الخارجي زلق، يمكن تقطيعه بالسكين ومقاطع الماكيت العادية، ويقبل اللصق بالغراء الأبيض، وشموع الغراء الساخن المستخدم بواسطة المصهرات الخاصة، ومرونة هذا النوع من غرواني بولي ايثيلين تجعل منفذي المناظر المسرحية يستخدمونه في عمل الزخارف الخاصة بتيجان الأعمدة، وفي التشكيلات التي تتطلب انحناءات وتوريقات خاصة تلك التي تحاكي أشغال الحديد الزخرفية (الغورفورجية)، ولاعطاء تأثير السطح المعدني تستخدم دهانات أرموكوت، فوق سطح هذه المادة الغروانية، إذ تضاف ملمسا معدنيا ناعما مصقولاً، أو مطوقاً للتصميم المطلوب.

3. الاكريليك

يعد الاكريليك أحد نظم خامات التريبلاستيك، وهو متوافر بنطاق واسع من الشفافية والألوان المعتمدة، ويشمل الاكريليك على أنواع البيرسبيكي Perspex والأوروجلاس Orglas، والبليكس جلاس Plexiglas. وجميع أنواع الاكريليك تلين عند درجة حرارة ما بين 334 فهرنهايت، وفي هذه الحالة يمكن استخدامها في تشكيل العديد من الأشكال بالوصل أو باللحام، وبمداومة تسخين هذه الخامة بعد تبريدها يصل معدل تطريتها عند درجة حرارة 1765 فهرنهايت، ويتميز الاكريليك بنفاذيته للضوء، وهو براق عن الزجاج وسطحه أكثر لدونة، ومن المعروف أن الاكريليك يكتسب حالة مطاطه عندما يسخن، وفي

اللداخن، تستخدم في الحياة العادية لتغطية أسطح الأحجام الكبيرة وللتغليف، كما يستخدم لتكسية بعض الأرائك، والوسادات للمحافظة على الكسوة الأصلية لها. ويأتي غشاء البولي ايثيلين شفافاً أو معتماً وبألوان متعددة كما ينتج بتخانات مختلفة منها 0,08 مم وحتى سمك 100 قدم وبعرض يبدأ من خمسة أقدام وحتى عشرين قدم.

وفي مجال استخدام المناظر المسرحية تدخل أغشية البولي ايثيلين لتغطية أرضية خشبة المسرح والمصاطب والدرج لتكسية الشاسبيات وفقاً لطبيعة العرض وتجدر الإشارة إلى أن غشاء البولي ايثيلين يمكن وصل عروضة مع بعضها البعض بواسطة مصهر متوسط الحرارة وذلك بعد وضع رقائق من الألمنيوم للفصل بين المصهر وسطح الغشاء المراد الوصل به، تجنباً لالتصاق المصهر بالغشاء.

كذلك يمكن أن تستخدم أغشية البولي ايثيلين في تنفيذ الستائر والكواليس بعد عمل الجيوب اللازمة للشيكاكات الخاصة بعملية الشد والاستقامة لهذه الستائر، ويعد غشاء البولي ايثيلين بديلاً مناسباً لمحاكاة زجاج النوافذ، نظراً لخفة الوزن وعدم قابلية الكسر.

وتجدر الإشارة إلى أن الدهانات المائية المستخدمة عادة في تنفيذ المناظر المسرحية لا تلتصق بأغشية البولي ايثيلين، نظراً لمرونة السطح ولمسه الزلق والدهان الوحيد الذي يلتصق بهذا النوع من الأغشية هو دهان روسكوم الفينيل الصناعي.★

فعند تسخين لوح اكريليك إلى درجة 600 فهرنهايت يمكن كسبه فوق لوح آخر، إذ يتم الالتصاق نتيجة الحرارة المرتفعة، كما يمكن تثبيت ألواح الاكريليك مع بعضها أو مع الشاسيهات بواسطة ثقوب الشرائع بالبنط الخاصة بالدلائن، وربطها بواسطة مسمار سن صاج، أو مسمار بصاموله، ويمكن قطع الاكريليك بالأدوات والأسلحة الخاصة بتقطيع النحاس والألمنيوم.

4. السيليولوز

ينتج الفيبير المفلكن بتفاعل السيليولوز مع محلول كلوريد الزنك، والفيبير المفلكن مادة متينة، وناعمة. وهو يستخدم في صناعة الصناديق والأدوات الكهربائية والتروس والأختام، وعندما يعالج السيليولوز بمحلول الصودا، وثاني كبريتيد الكربون، يتكون محلول سيليولوزي يسمى الفسكون، وإذا أُمِرر في ثقوب إلى أحواض ترسيب يكون أفرخا شفافة تسمى بالسولوفان، والسولوفان أفرخ شفافة كالزجاج، وينتج بألوان متعددة ومنه بلا لون، ومن صفات السولوفان، مقاومة القطع والحماية من الرطوبة.

وللحصول على أفرخ شفافة تحضر نترات السيليولوز بمعالجته بحامض النتريك وتتحد نترات السيليولوز مع الكافور لتكون السيليوليد (18). وهذه المادة شفافة ومسرنة يمكن تلويينها بسهولة، وهي قابلة للتشكيل بالتسخين، بيد أن لها قابلية شديدة للاشتعال بسهولة.

يستخدم السولوفان الملون كمرشح لأجهزة الإضاءة المسرحية الصغيرة،

هذه الحالة يمكن ثنيه بسهولة سواء بالمط، أو الثاني على أكثر من مره أو كبسه، ثم يترك ليحف ويتصلب مرة أخرى دون أن تصيبه أي شروخ (17).

تعد خامة الاكريليك البديل الحقيقي للزجاج على خشبة المسرح، وهو يعد على هيئة ألواح أبعادها 2 × 1م وبتخانات تبدأ من 1,5م وحتى 12م، ويظهر في صورة أفرخ شفافة أو مدخنة، ومنها ما هو مزخرف بأشكال هندسية أو نباتية، كذلك يتوافر الاكريليك في شكل أنابيب مصممة ومفرغة ويشكل الاكريليك بثلاث طرق هي:

أ- التسخين الموضعي: يستخدم فيه سلك حراري (نيكل كروم) مثبت على خلفية من الاسبستوس الحراري بحيث تكون القوة المطلوبة واحد كيلواته لكل 2م/1م بحيث يوجه شرائع الاكريليك في اتجاه الحرارة لتسخين الجزء المطلوب لإجراء عملية الثني، ويستخدم في هذا النوع شرائع الاكريليك التي لا يتراوح سمكها أكثر من 3م، حيث يتم التسخين من الجهتين حتى تتم عملية الثني والتشكيل بحرية كاملة دون أن تكون هناك أي إعاقة تؤثر على سطح الاكريليك وتفقده نقاءه.

ب- التسخين الكلي: وهو ما يتم داخل أفران تسخين معدة لذلك ومزودة بكنترول حراري.

ج- التشكيل بتفريغ الهواء: وهو ما يتم أيضا داخل غرف معدة لذلك مجهزة بتقنيات تتخلص من المسخن الحراري، وصندوق الثني (قالب التشكيل) ومضخة الهواء لسحب الهواء من داخل صندوق الثني. وأخيرا برواز القبض.

وتجدر الإشارة إلى أن الاكريليك يمكن تجميع شرائحه باللصقات أو بالحرارة،

درجات الحرارة العادية، كما أنها غير قابلة للذوبان، وتنتفخ في الاسيتون، والفينول. وعند التسخين مرة ثانية، تنفصل كمية أخرى من الماء، وفي هذه المرحلة الأخيرة يتكون «راتنج» Resit الذي لا ينصهر ولا يذوب ولا ينتفخ.

واللدائن المصنعة من هذا النوع من الراتنجيات قسيفة، وازيادة متانتها يضاف معجون مواد مثليفة مائه، أثناء عملية التصنيع، كما يضاف إليها بعض المحاليل، كموا تدشيع وربط بين طبقات الألواح المصنوعة من الألياف، لعمل رقائق تتحمل الضغط المرتفع، ويعرف تجارياً هذا النوع تحت اسم الفورمايكا (19).

تنتج ألواح الفورمايكا بتخانات 1م، 2م، وبمساحات 1 × 2م، 1,25 × 2,8م، و3,05 × 1,25م، ويكون أحد السطحين خشناً لسهولة عملية اللصق فوق الأسطح المختلفة، أما الوجه الخارجي فيكون إما مصقول أو نصف مصقول أو مط، وتتميز ألواح الفورمايكا بألوانها المتعددة، وبأسطح تحاكي كافة الخامات التقليدية من أخشاب الماهوجني والبلسندر والقرو والجوز التركي، بالإضافة إلى أسطح تحاكي كافة أشكال الرخام والجرانيت.

تستخدم الفورمايكا في تنفيذ المهمات المسرحية، وخاصة في الأثاث، كما تستخدم في تغطية الأسطح بعد عمل العلف والتجليد اللازمين للصق الفورمايكا عليه، ويفضل في هذه الحالة أسطح الفورمايكا الخط تجنباً لانعكاسات أجهزة الإضاءة على العناصر المصنعة منها. وتتميز الفورمايكا برخص ثمنها وخفة الوزن وسهولة التشكيل والقطع، كما أنها لا تحتاج إلى دهانات أو

ويحدث فور الاستخدام تقلص المادة نتيجة تأثرها بالحرارة الناتجة من تشغيل الكشافات، كما تستخدم أفرخ السيليويد في أجهزة العرض الخلفي التي تسقط أشعتها على السيلكورا ما أو شاشة العرض الخلفي لاعطاء التأثيرات المطلوبة بعد رسمها على أفرخ السيليويد وفقاً للتصميم المطلوب، وتجدر الإشارة إلى أن الجيلاتين وهي الشرائح الملونة المستخدمة في مرشحات ألوان أجهزة الإضاءة المسرحية هي إحدى أنواع مادة السيليويد.

5. الفينوليك

هو أول ما اكتشف من اللدائن، مثال على الجزئيات المركبة. المقاومة للحرارة، حيث يتحول الجزئي البسيط إلى مركب في القالب، وما أن يتم التحول حتى لا يكون في المقدور إعادة صهره، والفينوليك يتكون من نوعين من الجزئيات البسيطة، يرتبط ببعضها بالتبادل، النوع الأول هو وحدة البناء، وهي مادة تعرف بالفينول ★ Phenol، والنوع الثاني هو وحدة الارتباط، وتتكون من الفورمالدهيد Formaldehyde ★★.

تصنع هذه اللدائن عن طريق تكثيف الفينول مع الفورمالدهيد، ثم يقلب الخليط الناتج ويسخن في فرن حيث يتصاعد الماء على هيئة بخار، وتجدر الإشارة إلى أن اللدائن الفينولية تنتج على مرحلتين، الأولى رائتج الفورمالدهيد الفينولي، وهو يتصلب عند تعرضه لدرجة الحرارة المنخفضة، وهو قابل للانصهار والذوبان، والمرحلة الثانية عند تسخين الخليط السابق لفترة طويلة، يتحول إلى مادة صلبة وقصيفة في

Peroxid Catalyst، لكي تبدأ عملية البلمرة، فيتحول السائل إلى الحالة الجيلية وبالتدرج يتصلب الجيل حتى يصل إلى الحالة الصلبة، وهذا التفاعل مستمر عادة ساعات قليلة إلى أيام، ويعتمد في ذلك على كمية المصلب المضاف إلى البوليستر وعملية التصلب

هذه تتحكم فيها ثلاثة عوامل هي:
أ- القوام الذي سيكون عليه البوليستر.
ب- درجة حرارة الطفس الجوي.
ج- الزمن الذي تتطلبه هذه العملية (21).

وهناك عدة أنواع من المصلبات منها،
ميثيل ايثيل كيتون - بيروكسايدي Methyl Peroxide Hi. Poilt 50.
Ethyl Kotone، بالإضافة إلى كيتون بيروكسايدي Ke-
ton Peroxidos in Plasticiser وميثيل ايثيل كيتون بيروكسايدي ومواد أخرى،
وبجانب المصلبات السابقة هناك مواد مساعدة لعملية تصلب راتنج البوليستر،
وهي مواد تضاف إلى البوليستر على هيئة سائل كيميائي، تعمل على الإسراع في عملية التصلب والجفاف ومنها:

● دايمثيل - بارا - توليويدين Dime-
thyle - Para - Tobuidine
● دايمثيل أنالين Dimethyle Anl-
line

● هوبليون Hobilon
ويهدف الباحث إلى تقنيات التشكيل بمادة البوليستر لما لهذه المادة من إمكانيات ابتكارية عالية في مجال تنفيذ المناظر والمهمات والاكسسوارات المسرحية.

أ- التجهيز والصب (التشكيل):
قبل البدء في عملية التشكيل يفضل تجهيز الصوف الزجاجي حسب المساحات المطلوبة لتسهيل عملية التنفيذ

إعداد خاص سوى عملية تجهيز اللصق بالغراء السريع والغراء الأبيض (البلاستيك). كما أن الفورمايكا لا تتأثر بالتقلبات الجوية أو الحرارة والرطوبة.

6. راتنج البوليستر Polyester Resin

البوليستر عبارة عن «بوليمر» وحداته التركيبية متصلة بواسطة مجموعات استيرية يتم الحصول عليها بتكثيف حمض أو أكثر من الأحماض البولي كربوكسيل ونسبة ضئيلة من حمض مونوكربوكسيل عند اللزوم، مع واحد أو أكثر من الكحولات متعددة الهيدروكسيل ونسبة ضئيلة من كحول أحادي الهيدروكسيل (20)، أما الراتنج فهو عبارة عن استرات غير مشبعة تنفتح فيها الرابطة المزدوجة عندما يضاف إليها المصلب بالقدر المطلوب لتتحد الجزيئات المفتوحة ببعضها مكونة راتنجاً قوياً صلباً شديداً التماسك.

هناك نوعان رئيسيان من البوليستر، يعرف الأول بالبوليستر المشبع★، ويتوافر هذا النوع على هيئة راتنج سميك القوام، ويجوز تكسيه سطح هذا النوع بالبوليستر غير المشبع وهو أكثر أنواع اللدائن استخداماً في تنفيذ المناظر والمهمات المسرحية والاكسسوار، وغالباً ما يدعم بالاليف الزجاجية★، كما يجوز استخدامه كغراء أو وسيط لتجميع أنواع كثيرة من الضامات، بالإضافة إلى استخدام البوليستر غير المشبع كدهان تحضيري، ونهائي لبعض أنواع من الأسطح.

وللحصول على مادة من البوليستر قابلة للعمل لساعات طويلة، فإنه في العادة يستخدم مصلب البيروكسايدي

التي تتلخص في الآتي:

تنفيذها وخاصة ذات الأحجام والمساحات المتوسطة والكبيرة، ومعظم عمليات ونظم الوصل واللحامات تعتمد على وصل قطعة بوليستر بأخرى بطريقة محكمة ودقيقة، وهناك عدة وسائل ممكنة تعتمد كل منها على طبيعة التشكيل ومدى ملائمة تقنية الوصل وطبيعة القوة (الجهد) المطلوبة، بالإضافة إلى المظهر النهائي بالنسبة لحجم العمل، وتقنيات الوصل تتلخص في الآتي:

• الوصل باستخدام البوليمرات: وتعتمد هذه الطريقة على استخدام الراتنج نفسه كمادة للحام، وتستخدم في المصبوبات الصغيرة الحجم ثلاثية الأبعاد، وأيضا في المسطحات المتوسطة والكبيرة ثنائية الأبعاد.

• الوصل برقائق الصوف الزجاجي: وفي هذه الطريقة توضع طبقات من الصوف الزجاجي المشبع بالبوليمرات، بوضعه فوق الأجزاء المراد وصلها ببعضها من الداخل بمسافات مناسبة تقاوم جهد الارتكاز بين الوصلتين.

• الوصل بالوسائل الميكانيكية: تقوم هذه العملية على استخدام الوسائل الميكانيكية للرقائق المتصلة من البوليمرات والمعادن والأخشاب، وذلك بعمل ثقوب بين الوصلات، ويتم التثبيت واللحام باستخدام المسامير المعدنية والبرشام بالإضافة إلى المسامير المصنعة من مادة P.V.C.

• عمليات التشطيب: تحتاج العناصر التي تم تنفيذها بمادة البوليستر إلى عمليات تهنيت خاصة للأسطح الخارجية، وذلك باستخدام بوليمرات لماء الثقوب واللحامات والفوارغ الناتجة عن عمليات الصب، وبعد تمام عملية الجفاف تجري عمليات الكشط والتجليخ،

• تحضر كمية مناسبة ومقننة من البوليستر مخلوط بالصلب ثم توضع من القالب المجهز والعزول بالمواد العازلة ★ المناسبة باستخدام فرشاة ناعمة مع الأخذ في الاعتبار إزالة تجمعات المواد العازلة الموجودة بالقالب، ويسبق ذلك إضافة المواد المائلة أو اللون إلى البوليستر وفقا للتصميم المطلوب. • عندما يصل البوليمير إلى الحالة الجيلية دون التصلب، يوضع طبقه من الصوف الزجاجي.

• تجهز طبقة أخرى من البوليمر، ثم يوضع عليها طبقة من الصوف حتى تنسج تماما.

• تتكرر هذه العملية حتى يتم الحصول على سمك مناسب للشكل.

• يترك القالب وبه البوليمر حتى يجف تماما، ويصل إلى حالته الصلبة ثم تستخرج النسخة (22).

وأثناء عملية التشكيل هذه يجب مراعاة الحرص على عدم تراكم البوليمرات في المناطق الغائرة، وعند تقابل أركان القالب مع مراعاة تحريك الكميات الزائدة إلى الأماكن المجاورة والخالية من البوليمر، كما أن استخراج النسخة من القالب قبل التصلب قد يسبب التواء في الشكل أو تغييرات أخرى، ويراعى الحرص في عدم خدش النسخة بعد التصلب وأن استخدام الهواء المضغوط لفصل القالب عن النسخة مع تمرير الماء، يسهل عملية الفصل.

ب - عمليات الوصل والتسليح والتشطيب:

• عمليات الوصل (للحامات): بعد الانتهاء من التشكيل بمادة البوليستر، يستلزم إجراء تسليح للعناصر التي تم

● يقاوم البوليستر الزيوت والدهون والأحماض والقلويات.

● كما أن التشكيل يكتسب قوة وصلابة شديدة، حينما تضاف إليه المواد المائلة أو الألياف الزجاجية.

● إن مدة صلاحية الراتنج تبدأ من ستة أشهر إلى عام (في مكان بارد).

● إن المنتج منه بعد تمام الجفاف والصلابة يكون أخف وزناً إذا ما قورن بالمواد التقليدية الأمر الذي يسهل عملية النقل والتشوين.

● لا يحتاج البوليستر إلى أدوات خاصة في عملية التشكيل الأمر الذي يعطي للمنفذين حرية الأداء.

7- راتنج الايبوكس:

ينتج راتنج الايبوكس من تكثيف مادتي بيسفينول و ايبكلور هيدرين، ويتميز هذا الراتنج بقوة ربط متعامدة، شديدة الجهد، كما أنه يقاوم التمزق والكيمائيات بدرجة كبيرة، بالإضافة إلى قابلية الالتصاق العالية بكافة الأسطح، لذا، فهو يعد من مواد الربط الصناعية الهامة التي تستخدم على الأسطح الناعمة (المعدن على المعدن)، المعدن على الزجاج، الزجاج على الزجاج، كذلك يستخدم راتنج الايبوكس في إصلاح المصبوبات المستهلكة، وفي أعمال تشكيل المصبوبات بشكل عام (24)، كذلك يستخدم راتنج الايبوكس في المجالات الهندسية كمادة عازلة، كما يضاف إلى الخلطات والركام بأنواعه المتدرجة مع الاسمنت والماء للحصول على حبات خرسانية باستخدام العامل «المصلب» بنسبة معينة للتحكم في زمن الشك الأمر الذي يقاوم الضغط بعد يوم واحد على العكس من الخرسانة

ثم الصقل لإعطاء الشكل النهائي للعناصر التي تم تنفيذها.

● عمليات التسليح: تحتاج الأحجام والأشكال الكبيرة المنفذة بمادة البوليستر إلى اجراء عمليات تسليح وتدعيم داخلية للمحافظة على الشكل النهائي، وذلك باستخدام الحبال في المنحنيات والأسطح المستديرة، بالإضافة إلى استخدام ورق الديوفيليت Dufaylite Honecomb للأسطح المستوية، ومادة البولي بوريثان للأحجام ثلاثية الأبعاد بالحقن والدعامات الخشبية.

يقبل البوليستر المدعم بالألياف الزجاجية كافة عملية التشكيل والقطع والتجهيز، الأمر الذي دفع بفناني السينوغرافيا إلى استخدامه في تنفيذ المناظر والمهمات المسرحية فالعدد والآلات والقطع اليدوية والكهربائية المخصصة لتشكيل المعادن، يمكن استخدامها بكفاءة تامة، كذلك يقبل التشكيل بالبوليستر إضافة شتى أنواع الخامات الصلبة شفافة كانت أم معتمة إلى الراتنج أثناء عملية التحضير لتحقيق أقصى غايات التصميم، وتصبح هذه الخامات جزءاً من التكوين.

خواص البوليستر:

● يمكن التشكيل بهذه المادة في درجة الحياة العادية، لذا فهي قابلة للاستخدام في تنفيذ المناظر والمهمات والاكسسوارات المسرحية.

● إن مادة البوليستر صفات كيميائية تجعلها مقاومة للحرارة (23) حتى درجة 250 فهرنهايت وبعض الأنواع تقاوم الحرارة حتى 500 فهرنهايت.

● تعدد الألوان بدءاً من الأصفر الباهت إلى القرمزي إلى النقاء الكامل.

العادية والمسلحة التي تقاوم الضغط بعد 28 يوما ومن خواص هذه المادة الراتنجية الايبوكسية:

● يمكن التشكيل والمعالجة في درجة الحرارة العادية.

● تعطى صفات كيميائية تجعلها مادة مقبولة في التشكيل ثلاثي الأبعاد.

● مقاوم للحرارة والزيوت والدهون.

● يكتسب الايبوكس قوة وصلابة بإضافة الألياف الزجاجية كما يمكن تقوية التشكيل باستخدام طبقة خارجية من تكسية جيل Gel Coat (25)، وهي عبارة عن مادة مقواه من راتنج ملون تكسب سطح التشكيل المصبوب لمعة جديدة وتكون حاجزا ضد السوائل والأشعة.

لقد اتضح لنا من خلال العرض السابق للمواد اللدائنية التي يمكن أن تستخدم في تنفيذ المناظر والمهمات والاكسسوارات المسرحية، أن لهذه المواد من الامكانيات الابتكارية ما يمكن أن تصبح مواد أساسية في عمليات التنفيذ، وقد قدم لنا عدد من السينوغرافيين المصريين أعمالا متميزة على خشبة المسرح معتمدين في ذلك على الامكانيات الابتكارية للمواد اللدائنية، فمادة البولي سترين غير المقاوم للحريق (ستريوبور) استطاعوا أن يضمونها أبعادا تكتيكية لتحقيق المناخ التشكيلي اللازم للعرض الدرامي، ويعد السينوغرافي سمير أحمد أول من استخدم هذه المادة على خشبة المسرح المصري، فقد استطاع من خلال ادراكه لأهمية الملمس في ابداعاته المسرحية، أن يحقق بعدا جماليا على أسطح أشكاله الخارجية، فأحدث بذلك تأثيرات حسية وبصرية فائقة للعرض المسرحي، ففي

مسرحية «هاملت»★ التي أخرجها محمد صبحي في إطار ستوديو الفن، استطاع سمير أحمد أن يحول جدران صالة المشاهدين وجوانب منطقة التمثيل إلى جدران قلعة حقيقية بكل ما فيها من تنوعات وأركان ومعابر.

لقد فهم سمير أحمد الأبعاد المادية والابتكارية لمادة الاستريوبور، ملمسا بتقنياتها من حيث عمليات الوصل والتجسيم، وإنتاج أسطح ذات ملامس متعددة الخشونة، الأمر الذي جاء متطابقا مع الموضوع الدرامي، وتجدر الإشارة إلى أن التصميم الضوئي، مع تلك الملامس الخشنة لجملة التشكيلات، قد أكد على تلك التأثيرات الحسية والبصرية لدى المشاهدين منذ لحظة الدخول الأولى لقاعة العرض.

وفي مسرحية الجوكر التي قدمت على خشبة مسرح الموسيقى العربية وأخرجها جلال الشروقوي، قدم السينوغرافي سمير أحمد حولا تكتيكية لانهايات الجدران على خشبة المسرح، مستخدما في ذلك مادة الستريوبور، فقد أقام الفنان جدارا مرتفعا في وسط عمق المسرح، تقتحمه سيارة ربع نقل يوميا في إطار العرض المقدم، فينهار ذلك الجدار ويحدث تأثيرا بصريا يلقي استجابة واسعة لدى المشاهدين، فلو لملم الفنان بإمكانات هذه المادة ومواصفاتها من حيث الكثافة المطلوبة ليتحقق، تلك المحاكاة لكثك البناء الذي ينهار يوميا، ما كان يتحقق ذلك المؤثر.

وتجدر الإشارة إلى أن د. سمير أحمد، أول من أدخل مادة الستريوبور في إطار تنفيذ المناظر المسرحية والتطبيقات، وكان للباحث فرصة الاشتراك مع استاذ المادة في تنفيذ

عظمة الحضارة المصرية القديمة ونقوشها الجدارية على نحو مبسط، وذلك نتيجة لاختلاف نوعية المادة والمعالجة التشكيلية.

كما قدم د. سمير أحمد في إطار تنفيذ المهمات والاكسسوارات المسرحية عدة نماذج للملابس الحربية وأغطية الرأس والدروع التي كانت تنفذ من المعدن لعدة عصور مختلفة، مستخدما في ذلك مادة البوليوستر المدعم بالألياف الزجاجية.

أما الفنان السينوغرافي فتحي فؤاد، فقد كان أيضا من بين من استخدموا المواد اللدائنية على خشبة المسرح، ففي مسرحية الجنس الثالث، استخدم شرائح طويلة من غشاء بولي إيثيلين، وقام بالرسم عليها مستفيدا من إمكانيات هذا الغشاء الشفاف، لظهار ما هو قائم خلف هذه الشرائح.

وتتضح الإمكانيات الابتكارية لغشاء البولي إيثيلين في محاكاة أشكال الزجاج على خشبة المسرح، باستخدام الجيلاتين الملون، أو ألوان الزجاج مع ورق الكانسون الأسود.

كما استخدم الفنان فتحي فؤاد خامة الاكريلك في تنفيذ مناظر مسرحية روض الفرج التي أخرجها على خشبة مسرح الحكيم، كرم مطاوع، متخذًا بذلك بعدا تكنيكيا يختلف في ذلك عن ما قدم سابقا على خشبة المسرح المصري، فقد سعى إلى إيجاد حالة تشكيلية تتسم بالشفافية داخل الفراغ المسرحي، يتحرك الممثلون داخلها، فقد أنشأ الفنان الهيكل الأساسي لمجموعة المستويات والدور العلوي للمنتظر من الحديد، وغطى كل من أسطح المستويات والدرج والدور العلوي بمادة الاكريلك بسمك يتناسب مع الأحمال التي تتحرك على

العديد من التشكيلات، منها ما هو يحاكي أعمال الحفر البارز، لبعض الأعمال الجدارية، ومنها ما هو مجسم لبعض الأواني الاغريقية، وعصر النهضة.

ومن السينوغرافيين الذين كان لهم سبق في استخدام المواد اللدائنية على خشبة المسرح المصري، الفنان عمر النجدي، فمن خلال المامه بمادة البوليوستر استطاع أن يضفي على عناصره التشكيلية في مسرحية أقوى من الزمن، والتي أخرجها على خشبة المسرح القومي، نبيل الالفي، بعدا جماليا، لم يكن معهودا من قبل، فقد أنشأ الفنان مزيجا من الأشكال ثنائية وثلاثية الأبعاد، نفذت كلها بمادة البوليوستر، فجاء بنمط تشكيلي مليء بالجرأة، محطما بذلك كافة القواعد التقليدية في صياغة المناخ التشكيلي على خشبة المسرح، فعلى جوانب منطقة التمثيل أقام الفنان تشكيلات جدارية لها ملامح مصرية قديمة، ترتفع إلى ما يقرب من 2م، جاءت مصنعة من البوليوستر المدعم بالألياف الزجاجية ذات قدر من الشفافية، وبأسطح غير مستوية، حيث تبدو هذه التشكيلات وكأنها تقاوم سخرية الزمن بها، بينما ينتشر في الفراغ المسرحي عدد من الوحدات التشكيلية ثلاثية الأبعاد، تحاكي تماثيل مصرية قديمة أو أجزاء منها، نفذت هي الأخرى من البوليوستر المدعم بالألياف الزجاجية، بارتفاعات تتجاوز بعضها 2,5م.

لقد حقق الاختيار اللوني لمادة البوليوستر على سطح هذه التشكيلات ملمسا جاء متوافقا مع المضمون الدرامي لأحداث المسرحية أعاد لأذهاننا

المسرح من الاعتماد عليها مستقبلا.

مراجع البحث العربية:

1. أحمد سعيد الدمرداش: اللدائن في خدمة الانسان، القاهرة دار المعارف. 1981.
2. أحمد علي الريان: البلاستيك في التكنولوجيا الحديثة. القاهرة، دار الفكر.
3. مارسيل فريد فون: مجلة السينوغرافيا، القاهرة. منشورات مهرجان المسرح التجريبي 1993.
4. م. ج. كنتنر، ف. أ. يارسلي، البلاستيك في خدمة الانسان: ترجمة يوسف مصطفى الحاروني. القاهرة، مكتبة الشرق، بالجمالية، بدون تاريخ.
5. محمد فتحي عوض الله: الانسان والثروات المعدنية: الكويت سلسلة عالم المعرفة.
6. مصطفى أحمد: خامات الديكور. القاهرة. دار الفكر العربي 1989.
7. هلموت ستايف: الكيمياء الصناعية. ترجمة محمد اسماعيل عبداللطيف. القاهرة. مطابع الأهرام 1969.
- ★ المعاجم التكنولوجية التخصصية تكنولوجيا البلاستيك. المؤسسة الشعبية للتأليف: اشرف د. انور محمد عبدالواحد. الفنون والانسان ترجمة مصطفى حبيب. القاهرة. دار مصر للطباعة. بدون تاريخ.

مراجع البحث الأجنبية:

- David Ress: Creative Plastics, by Studio Vista, 35 Red Lion Square London WC1R 4 SG 1973.
- 2- Gillette S.A. Gillette Michael J.

هذه الأسطح، وقد استطاع المخرج أن يوظف ذلك كله لخدمة حالة الشفافية المرغوبة، فالضوء لم يكن له مصدر تقليدي واحد، وإنما جاء من جميع الاتجاهات من أسفل لأعلى ومن اليمين إلى اليسار وبالعكس أي أن شفافية الاكريك لم تقف حائلا للضوء والرؤية. بعد استعراضنا للمواد اللدائنية وأبعادها الابتكارية، وتصنيف هذه المواد واستخداماتها في تنفيذ المناظر والمهمات والاكسسوارات المسرحية يمكن حصر النتائج في الآتي:

1. إن المواد اللدائنية تمتلك الامكانيات الابتكارية لتحقيق رؤى سينوغرافية ومنفذ المناظر المسرحية.
2. إن هذه المواد خفيفة الوزن إذا ما قورن المنتج منها بالمواد التقليدية.
3. إن هذه المواد لها القدرة على مقاومة الرطوبة وأن المنتج منها لا يتأثر بالعوامل الجوية.
4. إن لهذه المواد ملابس متعددة ما بين المصقول والخشن.
5. يتميز البعض منها بالشفافية، وبألوان متعددة.
6. يمكن تنفيذ المجسمات بأحجام كبيرة.
7. رخيصة الثمن مقارنة بالمواد التقليدية.

الخاتمة:

لقد تعرض الباحث إلى المواد اللدائنية وامكانياتها الابتكارية في تنفيذ المناظر والمهمات والاكسسوارات المسرحية بالإضافة إلى الألام بالأساليب والتجارب التقنية ونأمل أن نكون بذلك قد ألقينا الضوء على أهمية هذه المواد في مجال تنفيذ المناظر، حتى يمكن لغناتي

الفينيل-بولي سترين أو سترين-نايلون-
بولي أميد- ميلامين- فورمالدهيد-
بوليستر- بولي اثيلين- سليكون بوكس-
راتنج الاسنبدال- بولي بروبيلين-
كلورينيد بولي اثير- ص 10.

★ ظلت المناظر المسرحية المنفذة
بالخامات التقليدية لا تتعدى أكثر من
كونها خلفية مرسومة، يقع عليها
تفاصيل منظورية رسمت بعناية على
مساحات ثنائية الأبعاد، وبالتالي كان
النتائج لا يتفق وطبيعة الفراغ المسرحي
من ناحية، وعدم تجاوب الخلفية
المرسومة مع الحركة والزمن المستمر من
ناحية أخرى.

(1) مارسيل فريد فون: فن
السينوغرافيا، السينوغرافيا اليوم-
القاهرة منشورات مهرجان المسرح
التجريبي الخامس 1993 ص 7.

(2) مارسيل فريد فون: السينوغرافيا
ومجالات الخبرة. المرجع السابق ص 8.
(3) المرجع السابق ص 9.

(4) Herbert Read: The Meaning
of Art Apelian book, London 1954
P. 180.

- Herbert Read: The art of Sculpture.
Faber and Faber Limited,
London 1954 P.P 46-68.

★ مستحضرات اللدائن مثل
فورمالدهيد، الفورلينا الغروبي من
مسببات السرطان وأبخرة تسخين
البولي يوريثان سامة والاسيتون
والكحول وهما مستحضران يستخدمان
كمذيبات لشتى أنواع اللدائن شديد
الاشتعال.

(5) Gillette S. A. Gillette Michael J.
Stage Scenery its Construction and Rigging,
Harpr and

Stage Scenery its construction and
Rigging, Harpr and Row New
York, 1981.

4- Herbert Read: The art of sculpture
Faber and faber limited London
1954.

5- John Panting: Sculpture in Fiberglass.

6- Tager A.: Physical Chemistry of
polymers, Mir publishers, Moscow.
1978.

* Specification Building methods
and products the press Ltdg queen
Anner's gate London 1975.

الهوامش:

★ عرف المصريون القدماء أنماطاً من
المواد اللدنة، مثل شمع العسل والراتجات
الطبيعية التي تفرزها الأشجار،
واستخدمت هذه المواد في التحنيط، كما
عرف الآشوريون والبابليون الزفت
والقطران، فصوروه حتى يصبح لدينا
واستخدموه في دهانة المراكب والقوارب
لمنع تسرب المياه، وعرفت الحضارة
الهندية الشيلاك «الجمالك» وهي مادة
تفرزها بعض أنواع الحشرات
واستخدمت في الدهانات (انظر د. أحمد
سعيد الدمرداش اللدائن في خدمة
الانسان، القاهرة، دار المعارف 1981).

★ حدد د. أحمد علي الريان في كتابه
البلاستيك في التكنولوجيا الحديثة،
أنواع اللدائن على النحو التالي، وفقاً
لاكتشافها: نترات السليولوز- فينول
فورمالدهيد- الكازين- الالكيد- خلاط
السيليولوز بولي كلوريد الفينيل-
بوريا فورمالدهيد- إكريليك- بولي خلاط

Specification Building (12)
methods and products the Press
Ltd. g. queen Anne & Gate Lon-
don 1975. p. 460.

(13) م.ج. كزنز البلاستيك في خدمة
الانسان - مرجع سابق ص 16.

(14) هلموت ستايف الكيمياء
الصناعية - ترجمة محمد اسماعيل
عبد اللطيف - القاهرة - مطابع الاهرام
1969 ص 173.

Nicholas Roukes: Sculpture (15)
in Plastique Waston - Guptill publi-
cations, New York - London
1978, p. 134.

(16) د. مصطفى أحمد: خامات
الديكور، مرجع سابق ص 321.

★ تستخدم هذه المادة القروانية في
الحياة اليومية بالاماكن التي تتطلب عزلا
للصوت والحرارة فضلا عن استخدامها
في تغليف الاجهزة والآلات الكهربائية
والادوات والاواني الزجاجية، لما لها من
قدرة عالية لتلقي امتصاص الصدمات،
إلا أن مصممي المناظر المسرحية
والتلفزيونية والسينمائية وكثير من
الفنانين التشكيليين «خاصة النحاتين»
وجدوا فيها مادة تحقق لهم الكثير من
تصوراتهم التي تتطلب إنشاءات ثلاثية
الأبعاد، من قبيل اقامة الأعمدة والتكناات
والمعابر والهيكل والتماثيل والصخور
والاحجار والأعمال النحتية البارزة
والغاثة، لما تتميز به هذه المادة من خفة
الوزن وسهولة القطع والتشكيل، إذا ما
قورن هذا الانتاج بالخامات التقليدية.

★ علامة مسجلة انتاج معامل شركة
روسكو بالولايات المتحدة الأمريكية.

David Rees: Creativ Plas- (17)
tics by Studio vista 35 Red lion

Row New York 1981. p. 167.

(6) المعاجم التكنولوجية التخصصية:
تكنولوجيا البلاستيك: الموسوعة الشعبية
للتأليف: لايزج اشراف د. أنور محمود
عبدالواحد، «الفنون والانسان» ترجمة
مصطفى حبيب، القاهرة، دار مصر
للطباعة ص 155.

Tager A.: Physical Chemistry (7)
of Polymers Mir Publishers, Mos-
cow. 1978. pp. 22-47.

(8) م.ج. كزنز، ف.أ. يارسلي:
البلاستيك في خدمة الانسان، ترجمة
يوسف مصطفى الحاروني، القاهرة
مكتبة الشرق بالفجالة بدون تاريخ
إصدار ص 15.

(9) د. محمد فتحي عوض الله:
الانسان والثروات المعدنية - الكويت،
سلسلة عالم المعرفة ص 321.

★ تحتوي مكونات البلاستيك على:
الراتنجيات وهي مواد من أصل عضوي
أساسها الكربون وتوجد في الطبيعة في
زغب القطن، وتصنع من مواد كيميائية
بإجراء اتحاد كيميائي. ب- الموائع وهي
مواد تضاف إلى الراتنجيات لتزيد من
دقتها أو تخفف من ثمنها. ج- الملدنات
وهي مواد لينة تستخدم كمشحوم
للراتنجيات ف تساعد على سهولة تشكيلها
أو تعديل قوامها كالزيت والصابون
ومقاومة الماء والجو العفن، انظر عاصم
عبدالرحمن جعفر: البوليمتر وتشكيل
المعادن - رسالة دكتوراه القاهرة - جامعة
حلوان ص 67 - 69.

(10) د. مصطفى أحمد: خامات
الديكور، القاهرة، دار الفكر العربي - ط
3، 1989 ص 203.

(11) م.ج. كزنز: البلاستيك في خدمة
الانسان، مرجع سابق ص 16.

الشمع وفي أثناء معالجته غيرتفع الشمع للسطح ليكون غشاء رقيقاً جداً، وهذا الغشاء يتيح للراتنج الالتصاق بسطح صلب أملس لا يعوق سطح الصنفرة.

5- راتنج التغطية، ويحتوي على عوامل تسوية وكذلك إضافات للحصول على سطح أملس غير مسامي صلب كما يحتوي على إضافات لتأخير الاغلال بالأشعة فوق البنفسجية لسلسلة جزئي البوليستر، Ibid. p 49.

David Ress: Creative Plastics, p. 94.

★ الألياف الزجاجية هي الوسيط المدعم للدائن وخاصة البوليستر، وتأتي في عدة أشكال، أما في صورة نسيج متشابك يمكن فصل تكويناته المتعامدة عن الأخرى، قبل التدعيم، كما يمكن إضافة طبقات فوق بعضها، كذلك تأتي الألياف الزجاجية في صورة خيوط أو مسحوق، ومن خلال هذه الأشكال المتعددة من الألياف الزجاجية يمكن إنتاج أي شكل مسطح أو مجسم طبقاً للتصميم الموضوع.

★ من المواد المستخدمة في عزل القوالب والمصنعة بمعرفة شركة SCA-DO، هوبيلون 3 (Hobilon 3)، كما يمكن استخدام أنواع من الصابون السائل في هذا الشأن.

John Panting: Sculpture in Fiberglass.

Nichola Roukes: Sculpture in Plastics, p. 18.

(24) د. مصطفى أحمد: خامات الديكور، مرجع سابق ص 206.

(25) انظر تكنولوجيا البلاستيك. المعاجم التكنولوجية التخصصية، ص 66.

Square, London we R 4SG 1973, p. 10.

(18) د. مصطفى أحمد: خامات الديكور، مرجع سابق ص 204.

★ هذه المادة موجودة في قطران الفحم.

(19) انظر د. مصطفى أحمد: خامات الديكور، مرجع سابق، ص 224-228.

★★ غاز قديري مذاباً في الماء، فيكون المادة المطهرة المسماة بالفورمالين Formalin.

Nicolas Ronkes: Sculpture in Plastics, p 49.

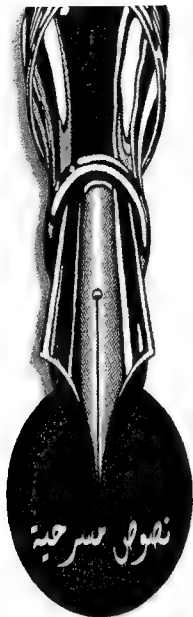
★ هناك خمسة أنواع من البوليستر غير المشبع المدعم بالألياف الزجاجية:

1- لثكسوتروبيك بوليستر Thixo-tropic Polyester وله مظهر بترولي ذو قوام سميك، لزج وعادة ما يكون فيه من الموائع مثل السليكا القروانية Coll-bida Silica ونوع آخر من الموائع باسم Cob-O-Sil ويمكن وضع الثكسوتروبيك داخل قوالب بواسطة ملعقة، ويلتصق الراتنج دون انزلاق بسبب قوامه السميك يستخدم هذا النوع في الصب المعدني.

2- البوليستر النقي يستخدم في صناعة المصبوبات الشفافة، ويمكن إضافة موائع ذات ألوان لإعطاء مظهر جمالي، والبوليستر النقي راتنج طبيعي بدون إضافات يستخدم في التغطيات مثل دعم وتطبيق اللدائن المدعمة بالألياف الزجاجية.

3- الراتنج الرقائقي، وينتج في صورة رقائقي ذات سطح مسامي لزج بحيث تلتصق عليها الطبقات التالية من الراتنج.

4- الراتنج الحبيبي ويدخل في تكوينه



■ لاعب الببراغيث

د. عصام عبدالعزيز

■ الزور

برائيسلاف نوشيتش

ترجمة: د. جمال الدين سيد محمد

نصوص

«لاعب البراغيش»

تأليف

د. عصام عبدالعزيز

إهداء

إلى الفنان شارلي شابلن...

الذي تعلمت منه الكثير...
والى عمى وأبى الروحي
الأستاذ/ عبدالعزيز توفيق
جاويد...

الذي كان وما زالت كلماته
تشعل في قلبي النار...
والى أستاذي العزيز
الدكتور/ علي فهمي...
الذي حرك إحساسي
وعقلي بفن الممثل...

إليك... «لاعب البراغيش»...

حبا وتقديرا...
شخصيات المسرحية:

الفتى...
الفتاة...

هذا كل شيء...

(شارع.. يدخل الفتى ومعه بطارية)

ويبحث عن شيء صغير في الأرض...
رقعة رقعة.. ثم تظهر الفتاة تنظر إليه..

تتأمله.. يثيرها ما يفعله.. تقترب منه لكي
ترضي فضولها.. تحملق فيه.. تحملق عما

يبحث عنه على الأرض.. تقترب أكثر...)

الفتاة: عما تبحث أيها الفتى.. (صمت)..

أتبحث عن شيء ما أيها العزيز.. هل فقدت
شيئا؟.. هل ضاع منك شيء يا سيدي!!

الفتى: وما شأنك أنت.. أبحث عما أريد
أن أبحث عنه.. ما شأنك أنت.. دعيني..

الفتاة: أه.. أنت عصبي... عصبي جدا..

ما رأيت إنسانا هكذا قط!

الفتى: أين ذهب هذا الملعون.. أين ذهب
المتنمر المتغير.. هذا الخائن... اللعنة على

هذا العميل المزدوج..

الفتاة: ملعون.. متنمر.. خائن.. عميل
مزدوج.. ما معنى تلك الكلمات..

فلنفكر قليلا.. تلك كلمات سياسية بلاربيب.. أجل... كلمات تؤكد نظرتي العميقة الواعية.. إنها كلمات ذات أبعاد ومضامين استراتجية.. بل إنها أكبر وأخطر وأبعد مدى من تلك الكلمات التي ينطق بها هذا الفتى في بساطة تامة.. إن أبسط الأشياء تقود حتما إلى أخطر العواقب.. ليس محتملا أن هذا الفتى ينتمي إلى حزب ما أو إلى خلية سياسية جديدة.. أو ربما كان عضوا نشطا في حركة ثورية محظورة.. أو ربما كانت موجة دينية متعصبة.. أو ربما كان خطرا على الأمن العام.. أو على أقل تقدير رجلا في جهاز المخابرات لدولة ما.. لا بد أن أعرف وبشكل قاطع كل شيء عن هذا الفتى.. العصبي المزاج.. أه.. فما أحوجني اليوم إلى موضوع جديد مثير شائق.. يهز الرأي العام.. ويعيد لي مجدي الصحفي وشهرتي اللامحدودة.. أيها الفتى لاتجهد نفسك هكذا في البحث.. الفتى: أنت.. مرة أخرى.. هذا شيء لا يطاق..

الفتاة: أستحلفك بكل عزيز لديك.. إلا واستمعت لرجائي.. فلنني أريد أن أساعدك.. هذا كل ما أرجوه...

الفتى: تساعدينني!!

الفتاة: نعم.. هذا كل شيء..

الفتى: كيف؟

الفتاة: بأن أبحث معك عما تبحث عنه..

الفتى: وهل تعرفين ما أبحث عنه؟

الفتاة: لا.. بالتأكيد..

الفتى: هذا أفضل.. فإن هذا محظور.. إنه سرى للغاية..

الفتاة: ولكن يبدو أنك سوف تخبرني بلاشك.. ليس كذلك!!

الفتى: ما الذي يجبرني على ذلك.. من ذا الذي يضطرنني إلى هذا!!

الفتاة: إحساسك الرقيق.. وداعة قلبك.. رهافة مشاعرك.. سماحتك غير المحدودة..

الفتى: في الواقع..

الفتاة: أيها الفتى.. واسمحي أن أناديك هكذا.. اتعرف إنك لاتشبه أي شاب قابلته في حياتي إن بك شيئا مميزا.. منفردا.. شيئا يوحي إلى كل من يراك بأنك لست ككل البشر إنسان غير عادي.. بل ربما تكون سليل القياصرة.. أو سليل الملوك والنبلاء.. أو العباقرة على أقل تقدير..

الفتى: في الحقيقة..

الفتاة: انتظر.. لاتتكلم.. دعني أتأملك قليلا.. أه.. من من النساء لاتنتظر إليك ثم تحجم عن مساعدتك.. إن بك شيئا مميزا لا مثيل له.. شيئا يجعل البدن يقشعر.. إنك تهزني من الداخل.. تكلم.. عما تبحث؟

الفتى: (إن المرء.. مهما كان قويا.. كتوما.. فلا بد من أن يضعف أو يسقط لإغراء النساء.. وخاصة هنا.. وفي هذا المكان الحر.. لا بد أن أقاوم...).. أنا يا سيدتي.. الفتاة: تكلم.. أرجوك.. (لقد نفذ صبري)..

الفتى: أه.. لا أريد سوى الحقيقة.. إنني أبحث عن الحقيقة.. إنني أعشق الحقيقة..

الفتاة: إنني أعيد الحقيقة.. تكلم.. لاتخف من شيء.. عما تبحث؟

الفتى: إنني أبحث عن.. في الواقع إنني لانتكلم كثيرا عن أسرارتي.. وخاصة إذا كانت

أسراراً خاصة..

الفتاة: آه.. الأسرار.. الأسرار الخاصة.. وخاصة إذا كانت خاصة.. إنني أعشق الأسرار.. إنني أعبد الأسرار.. إنني على استعداد لأن أشنق نفسي من أجل هذه الأسرار.. تكلم يا عزيزي.. ما هي الأسرار؟..

الفتى: إلى هذه الدرجة وإلى هذا الحد يعنيك أمري!!..

الفتاة: يبدو لي أنك لاتدري ما هو الأثر الذي تركته في نفسي منذ أن رايتك.. منذ أن وقعت عيني عليك.. لاتخس قدر نفسك يا سيدي..

الفتى: سيدتي.. سوف أتكلم..

الفتاة: أجل.. أجل.. تكلم.. تكلم سريعاً.. أيها الفتى العزيز جداً.. أستحلفك بالسماء والأرض أن تتكلم.. (إنه يقاوم.. وكأنني سوف أنتزع منه الاعتراف أنتزاعاً.. إن نهمي إلى روحه شديد.. وسوف أرغمه على الاعتراف وبمحض إرادته التامة على التكلم.. إن لي طريقي الخاصة.. مجدي يناديني.. وشهرتي الخالدة تسير في طريقها منذ صباح هذا اليوم السعيد.. إن العملية كلها أصبحت سهلة في يدي وسوف يكون سقوطه وشيكاً.. لامحال ومع ذلك... تكلم يا صديقي العزيز...

الفتى: إنني أبحث عن.. عن.. برغوثي..

الفتاة: ماذا؟

الفتى: برغوثي..

الفتاة: برغوثي!!..

الفتى: (صائحاً) لا.. لا.. بل برغوثي أنا يا سيدتي.. إنني أشم رائحة الخطر.. ومع ذلك فقد تكلمت لابأس.. لم يعد هناك شيء يستحق أن أبقى عليه الآن.. أو أخاف عليه.. لقد ضاع مني كل شيء.. إنه برغوث..

الفتاة: برغوث.. برغوث.. (ما معنى هذا.. آه.. حراكاً يا دماغى.. حراكاً.. آه.. إنه ينطق الآن بأخطر الأشياء.. إنه ينطق بالأسرار.. إنه يتكلم بالرموز.. بالألغاز بالشفرة لقد بدأ يصبح سهل المثال.. إنه يذكر بلا شك الاسم الحركي لرئيس الخلية.. أو ربما كان اسماً لإرهابي كبير... أو ربما لجاسوس من جواسيسه... وهذا محتمل أيضاً.. أو لرجل من رجال المافيا.. اللعبة تغريتي بالاستمرار...)... قلت لي يا سيدي.. أنك تبحث عن برغوث! أليس كذلك!!..

الفتى: نعم.. برغوث صغير.. ولكنه جيد التدريب..

الفتاة: الله.. ماشاء الله..

الفتى: لقد استغرق تدريبه أكثر من خمسة عشر شهراً.. ليلاً نهاراً.. حتى أصبح يتقن كل ما يقوم به من أعمال.. وكل ما يؤمر به أيضاً..

الفتاة: طبعاً.. طبعاً.. (الكتابة بالحبر السري.. إرسال الرسائل بالراديو واللاسلكي.. تسجيل الأشرطة بالساعات المسجلة للصوت.. تصوير أفلام الفيديو.. وضع ذبذبات التسجيل في كل مكان...).. وبعد.. استمر..

الفتى: لقد أظهر نبوغاً مبكراً منذ حداثته..

الفتاة: آه.. عظيم.. ولكن دعنا نتصارع أكثر.. فائت ومهما كنت.. لابد من أن تحترم ذكائي أيضاً أليس كذلك؟؟

الفتى: طبعاً.. وبكل تأكيد..

الفتاة: حسن.. والى أي معسكر ينتمي..

الفتى: من؟

الفتاة: البرغوث.. طبعاً..

الفتى: معسكر!.. أنا لا أقهم هذا.. فمعتزة أرجو مزيداً من التوضيح ولو قليلاً..

الفتاة: أقصد.. المعسكر الشرقي أم الغربي.. فأنت تعرف أن العالم منقسم بين المعسكرين.. إما هذا أو ذاك..

الفتى: أه فهمت.. إنه يميل إلى المعسكر الغربي.. وهذا الميل واضح عليه جداً.. ولكنه في الواقع يا سيدتي.. وبصدق شديد.. ينتمي إلى الاثنين.. ليس تمشياً مع المناخ الدولي ومع السياسة العالمية السائدة الآن بل لأن ظروف حياته جعلته ينتمي إلى الاثنين..

الفتاة: الاثنين.. أه.. إن هذا لجد خطير.. إنه شيء لا يصدق.. (ربما يكون جاسوساً مزدوجاً.. وهذا أخطر أنواع التجسس.. ياله من عميل!.. اللعبة تسير قدماً إلى الأمام..).. قلت الاثنين..

الفتى: نعم الاثنين..

الفتاة: وكيف هذا!.. أه.. لا بد إنه بارع الذكاء وأسع الحيلة كالثعلب.. كي يتقاضى من الجانبين!

الفتى: من هو؟..

الفتاة: البرغوث طبعاً (تضحك)..

الفتى: نعم يا سيدتي.. إنه ينتمي للمعسكرين.. بحكم الوراثة!..

الفتاة: من؟

الفتى: برغوثي!

الفتاة: رائع.. رائع.. ومن أين يا ترى قد حصلت عليه؟

الفتى: من القاهرة.. ولكن هذه قصة أخرى طويلة.. بل قد يطول شرحها.. سيدتي سامحيني.. إن الوقت يمر وأنا أقف وأثرثر وأعطل بذلك عملية البحث هذه.. والموعد قريب.. فلدي اجتماع هام.. لقاء.. عمل.. عروض.. ستارة سوف ترفع..

الفتاة: أي موعد.. وأي لقاء!!

الفتى: أه.. لقاء القمة.. (لقد حصلت على منيتي.. أشكرك يا ربي.. ما أجمل الصبر.. إنها بلا شك أخطر وأصعب عملية أقوم بها في حياتي.. كل شيء يسير قدماً وبصورة طيبة.. اللعبة تتفتح وتكشف عن أوراقها..).. وهذا اللقاء بين من ومن!! روسيا.. أمريكا.. فرنسا.. إسرائيل.. المنظمة والدول العربية.. ألمانيا..

الفتى: سيدتي.. لا أستطيع أن أجيبك الآن.. فسامحيني.. لا وقت لدي.. كنت أظن أنك حقاً سوف تساعدني في البحث.. ولكنك تؤخريني بأسئلتك المتلاحقة.. إنني بدأت أشك.. إنني قد اشتغمت راحة الخطر منذ البداية.. ولكن ثق يا سيدتي بأنني مهما تكلمت أو أفصحت عن بعض أسرارى.. فليس معني هذا إنني غير حريص.. كلا ثم كلا.. فانا حريص جداً جداً.. ولاسمح لأحد بأن يعيث بي أو يستخرج مني النغمات..

الفتاة: معاذ الله..

الفتى: سيدتي.. مرة أخرى وبتركيز شديد.. وبسيط أيضا.. وغير معقد تعقد الحياة العصرية التي نعيشها الآن.. وبعيدا عن أي مصطلحات فلسفية أو منطقية أو سياسية أو حتى أيولوجية.. إنني أبحث عن برغوثي.. الذي قفز من الشباك فجأة.. وبلا مقدمات وهو الذي جعلني أهتم.. اهتز أن الإنسان للزلازل والكوارث الطبيعية.. وللحروب.. وهو الذي جعلني أنطلق هاربا من كل شيء.. هو الذي جعلني أهتم على وجهي كالشريد مشردا.. يافسا.. أبحث عنه في الطرقات.. في كل مكان.. يحدوني الأمل والعزيمة في البحث عنه.. ومع ذلك فلست على يقين تام لأنني لأمك أي دليل مؤكد على أن هذه القفزة كانت متعمدة أم لا؟ عفوية أم مقصودة ومدبرة.. حركة إرادية حرة أم بفعل التحريض والتخويف والضغط النفسي.. لا أدري.. وإذا كنت لأمك الحقائق فإني أؤثر الصمت.. ولكنني سوف أعرف كل شيء لو وجدته.. غير أنني ياسيدتي لا أحمذ ولا أحب استخدام كلمة لو.. لأنها في تصوري لغة الضعفاء المترددين.. ولكنني سوف أعرف كل شيء عندما أجده.. وإني لاستبعد في الوقت الحالي.. استبعد تماما أن تكون هناك حركة تمرد أو عصيان.. فإذا وجدته..

الفتاة: وجدت من؟

الفتى: سيدتي إنك لا تولي كلامي أي اهتمام.. لقد سبق أن قلت لك إنني أبحث عن برغوثي.. وأتكم عن برغوثي.. هذا الصغير الملعون.. سامحيني عن ذلك.. سوف أواصل عملية البحث مرة أخرى.. لقد قلت لي إنك سوف تساعدني بالبحث وليس بالأسئلة..

الفتاة: أه.. طبعاً طبعاً.. لا تغضب مني هكذا.. سوف أبحث معك وبهمة شديدة عن هذا البرغوث.. ولكن هل تكرمت وتفضلت أيها الفتى العزيز.. أيها الصديق الرقيق.. بأن تصف لي أوصاف وملامح هذا البرغوث لعلني أهتدي بها على هداها..

الفتى: نعم.. معك الحق كل الحق.. إنه برغوث رقيق.. وديع.. جميل الجسم تحت عدستي المكبرة أو تحت الميكروسكوب.. رشيق.. دائم الابتسام.. عيناه تشعان بالذكاء والمكر في آن واحد.. له شوارب حمراء صغيرة... شبق.. أجل شبق.. وأعترف بذلك.. حاولت كثيراً أن أكتب جماع شهوته بطرق كثيرة.. ولكنني فشلت.. لقد أفسد أربع برغوثات في الشهر الماضي.. اغتصبهن دفعة واحدة.. ورفض الاعتراف حتى بذلك.. قال بتبجح.. إنه رجل برغوثي طبيعي..

الفتاة: أرى أن البرغوث يتكلم أيضا..

الفتى: كل شيء ممكن إذا أحسن التدريب.. تماماً مثل البغاء والقردة..

الفتاة: وبعد.. قصتك تشدني..

الفتى: تطاول علي بكلمات جارحة.. لا أستطيع أن أنطق أو أتفوه بها أمامك.. وكان كلما ذكرت له.. إنه من الضروري أن يحد من شهوته الجنسية.. زاد تمردا وسخا علي.. وقالها لي صراحة.. إنني أحقد عليه لخصوبته الشديدة.. تصوري.. هل يمكن تخيل ما حدث.. هذا هو ياسيدتي الجميلة.. الاعتراف بالجميل الذي قابلني به هذا السافل تجاه معروفتي وتجاه تعليمي له.. خمسة عشر شهرا من التدريب المستمر.. ليلا ونهاراً... خمسة عشر شهرا من العناية المركزة... هذا هو الجحود بعينه.. الجحود والتمرد تجاه الجنس البشري والذي يزداد يوما بعد يوم.. وخاصة من البراغيث ناكرة الجميل.. إنها

تسلبك تعبك وعرق السنين والأيام.. في لحظة واحدة.. لحظة واحدة وينتهي كل شيء..
وكان الأمر لم يكن شيئا..

الفتاة: أه.. ما أشد الجحود.. إن هذا أسميه عقوقا.. ياللعار.. هذه أول مرة في حياتي
أسمع كل هذه المعلومات عن البراغيث.. دفعة واحدة.

الفتى: سيدتي.. أتعرفين.. وأرجو ألا أزعجك.. إني خبير في البراغيث.. هذه مهنة
ورثتها عن أجدادي وآبائي.. لقد كانوا أيضا أعظم لاعبي البراغيث في العالم.. إني أنحدر
من سلالة تعمل كلها مع البراغيث..

الفتاة: (سلالة البراغيث.. وأنا التي كنت أقول له منذ هنيهة.. إنه ينحدر من سلالة
القياصرة والنبلاء.. أه.. ما أطيبني!).. ويعد أيها الفتى.. إن حديثك يشجيني..

الفتى: هذه مهنة أجدادي.. ومهنتي أيضا.. ومهنة أولادي وأحفادي من بعدي.. وهذا
يبرهن لك على مقدار إحساسي وخبرتي ومعرفتي بعالم البراغيث..

الفتاة: رائع.. رائع..

الفتى: لا.. أبدا.. بل مدمر.. عفوا.. إني مضطر لأواصل البحث (يبحث مرة أخرى)..
وأكون شاكرا حقا لو ساعدتني في البحث.. فانت.. وانت فقط لديك الآن معلومات وافية
عنه..

الفتاة: عن من؟

الفتى: عن برغوثي طبعاً.. في الحقيقة.. إنني أسأل نفسي.. فأننا لأدري.. ولا أعرف
لماذا صرحت لك بكل هذه المعلومات.. فإني نادرا ما أتكلم مع أحد.. أو أخاطب أحدا.. فأننا
وبحكم مهنتي قد تعلمت ألا أثق في أحد قط.

الفتاة: أه.. ما أروع شعورك.. كل هذا الكلام من أجلي.. من أجلي أنا.. ما أسعدني..
هيا هيا سوف نعمل سويا وبحماس شديد من أجل العثور على برغوثك.. برغوثك
الصغير.. ما من أحد في حياتي كلمني بهذه الرقة والعطف.. لم تتعود أذناني قط على
هذه اللهجة وعلى هذه الكلمات.. (أحس بصراع شديد يكتسحني من الداخل.. صراع
بين رغبتني في مساعدته.. وبين مجدي الصحفي.. أه.. علي أن أتماسك والأ أضعف..
سوف أردد القاعدة.. الذهنية التي تعلمتها منذ صغري.. قانون البقاء يفرض عليك أن
تنظر لمصالحك أولا وأخيرا.. علي أن أحول دفة السفينة بسرعة.. ومن ثم فإني أقسم
بالقديس بطرس أن هذا الفتى به شيء ما.. ولكني واثقة من أنه يتكلم بالالغاز.. لأبأس..
بل علي الغوص إلى أقصى أعماق اللعبة وإلى النهاية.. لا مكان للضعف.. لعبة بلعبة..
لعبة السياسة والصحافة.. ولعبة البراغيث..). أه.. لقد نسيت أن أسألك.. أمعك بعض
الوثائق أو المستندات والصور؟..

الفتى: وثائق؟ ما معنى هذا؟

الفتاة: أقصد بعض الصور لهذا البرغوث.. حتى تكون العملية واضحة ومكتملة
الصورة.

الفتى: بالطبع.. (يخرج من جيبه بعض الصور.. يختار صورة ويريها لها..). فأننا
دائما أحمل صور جميع براغيثي.. للاحتياط..

الفتاة: أوه.. ما أجمله.. شواربه حمراء.. تماما كما وصفته لي..
الفتى: في هذه المهنة يكون كل شيء معرضا للخطر.. الخطر الحقيقي.. الخطر المدمر..

الفتاة: هذا هو بيت القصيد.. الخطر المدمر.. ما أحلى وقع تلك الكلمات على أذني.. إن كلماتك مصدر ثراء لي.. إنها تغذيّني ذاتياً.. فأجتز ذكرياتي وأحاسيسي وكل ما بداخلي.. فأمنع نفسي بذلك من التآكل.. إني أعبد الخطر.. أعشق الخطر.. ولكن.. أرجو وضع لي أكثر.. ماذا تعني بالخطر.. وبالتحديد!!

الفتى: (أشتم مرة أخرى بإحساسي الذي لا يخبى رائحة الخطر من هذه الفتاة.. وإن كنت أشعر بميل غريزي ولا شعوري تجاهها.. ولكن يجب أن أحتاط لكل شيء.. سوف أسير وأردد القاعدة الذهبية، إذا مال القلب لأحد.. استيقظ العقل وتحفز.. ولكن.. صبراً..) (صمت).

الفتاة: ألا تريد أن تتكلم! إن صمتك هذا يمزق شعوري.. لاشيء يقلق الإنسان ويصيبه بالإرباط أكثر من أن تسأل أحداً.. فيجيب عن سؤالك بالصمت.. لقد أحبطتني.. **الفتى:** (أه.. إنها تلعب على أوتار إحساسي).. ليس برغوثي فقط هو الذي يتصف بالركة.. بل وأنا أيضاً.. سيدتي.. إن الساعة تقترب من التاسعة وبعد قليل سوف أبدا العرض.. عليّ ألا أضيع مزيداً من الوقت.. فإذا عثرت على هذا البرغوث.. شرحت لك كل شيء.. هذا وعد وأنا دائماً أفي بوعدي.. رغم إيماني الشديد بأن الآخرين لا يوفون أبداً بوعودهم.. لامعي.. ولامع غيري.. ولكن سوف أعترف لك.. ولك فقط..

الفتاة: (أه.. أخيراً.. نجحت.. أنا دائماً وأبداً واثقة من نفسي.. وإن خانتني هذه الثقة في بعض الأحيان.. ولكن مع هذه الحالة.. فكل شيء يسير على ما يرام).. أجل.. الاعتراف هو ما أسعى إليه أيها الفتى الرقيق.. الاعتراف الكامل فالاعتراف سيد الأدلة.. أريد الحقائق.. تكلم.. وتذكر أنك مسؤول عن كل كلمة تخرج من فمك.. وإن أي تحريف أو تزييف أو حتى حجب الحقائق يعتبر.. خداعاً للعدالة.. ويجعلك تقع تحت طائلة القانون.. لقد حذرتك وأعطيتك حريتك منذ البداية.. أنت تحمل مسؤوليتك كاملة.. هل لديك محام خاص ترغب في استحضاره الآن.. وأنت في حالة اعتراف!!

الفتى: سيدتي.. ما هذه النعمة التي تتحدثين بها.. وما تلك الكلمات الغريبة على أذني.. ما مرادك من كل ذلك؟.. إن حاستي السادسة قد بدأت منذ زمن وجيز في العمل.. إني أقولها صريحة لك.. بأنني أشتم رائحة الخطر من كل هذا.. تعرف سريع مقحم أو بالأصح مدبر.. وأنا الذي كنت أعتبره وبرقة شديدة مصادفة.. مجرد مصادفة عابرة.. ثم إحساس بالعاطفة الخادعة وشعور بتيار للانجذاب نحوى.. تحاولين أن تدفعيه إلى أقصى حد وبأقصى سرعة وإلى أقصى غاية.. غاية لا يعرف غير الله مداها.. ليس كذلك وإن كنت لأعرف مرادك إلى هذه اللحظة.. فإنني وبالرغم من ذلك أحذر أيضاً.. بأنني على استعداد تام لأن أفعل كل شيء في سبيل استعادة برغوثي.. ومن أجل هذا.. ومرة أخرى.. على استعداد للقيام بأي عمل جنوني.. أو عقلي.. تجاه أي محاولة تحاك ضدي أو ضد براغيثي.. أعرف أن هناك من يخطط ويدبر آلاف الخطط.. أعرف أن هناك من يحاول الاغتيال.. اغتيال أو خطف برغوث من براغيثي أو خطف براغيثي كلها.. هذا إذا كانت المحاولة أكبر من توقعاتي كلها.. ولكني يا سيدتي.. لست من السهولة أو من الغباء بأن أسمع لأحد مهما كان.. أن يدمر مستقبلي أو مستقبل براغيثي.. عن إذنك..

الفتاة: سيدي أرجو لا ترد إلى العصبية مرة أخرى.. فهذا خطر على صحتك التي تهمني.. بل تهتما جميعاً.. أنا لا أقصد أن أضايقك أو أجعلك تتشكك في نواياي.. فكل ما

أريده هو أن أساعدك.. ومن صميم قلبي.. صدقني.. لقد أردت أن أساعد نفسي فيها أنا إذا أغرق في.. في المساعدة.. أريد أن أساعدك.. وأن أبحث معك على برغوثك.. لقد مستني رقتك في الصميم.. لقد جرفتني رياح التغيير من الداخل.. ولا أدري لها سبباً.. فليس الأمور العادية أن يتقابل الإنسان كل يوم مع رجل البراغيث.. عفوا.. أقصد رجلاً يلعب مع البراغيث.. ليس كذلك.. فأنت تقول.. وأرجو المعذرة مرة أخرى.. فقد فهمت إنك لاعب البراغيث.. ليس الأمر كذلك؟

الفتى: نعم يا سيدتي.. أنا لاعب البراغيث.. هذا هو لقبى بحكم مهنتي وبحكم الوراثة أيضاً.. فنحن ننحدر من سلالة كان أصل طوطمها.. برغوث ضخمة.. وبعض الزمن وحسب نظرية دارون النشوء والارتقاء.. حدث التطور وسار البرغوث أصغر الكائنات.. هكذا حدثنا تاريخ علم الإنسان.. فأنا أحب الأنثروبولوجيا..

الفتاة: إنك مثقف.. بل أكثر من مثقف.. إن كل لحظة تمر اكتشف فيك جانباً جديداً.. أراك بزوايا أخرى.. آه ما أكثر الزوايا التي سوف أراك فيها..

الفتى: ولكن فخري واعتزازي بنفسى ينبع من إحساسى بكونى أحسن لاعبي البراغيث في العالم.. بل لا يوجد في هذا العالم وفي الوقت الحالي سواي.. لأنى لم أتزوج بعد..

الفتاة: آه.. ما أسعدنى بهذه الزاوية الجديدة.. أرايت إلى أين يسوقنى حظى!.. أن أتقابل مع أعظم لاعب براغيث في العالم..

الفتى: سيدتي.. أنا حفيد شارلي الأكبر.. مؤسس ومبتكر الطريقة السرية لتدريب البراغيث.. وقد ورثت هذه المهنة عنه.. فقد دربنى -رحمة الله عليه.. بنفسه عليها منذ صغري ثم أكمل والذي تدريبي ورسالة جدي.. ولقد أقسمت على ألا أبوح بأسرار هذه المهنة لأحد.. حتى يطوينى الموت.. ويضمنى القبر..

الفتاة: آه أرجوك لا تذكر الموت.. فأنا..

الفتى: سيدتي.. أنت بحق فتاة رقيقة وحساسة.. مرهفة الحس.. لقد لاحظت ذلك أيضاً.. ولولا أسطنتك الغريبة..

الفتاة: وأنا لاحظت ذلك أيضاً.. إنى ألمح في عينيك بريق العبقريّة والنبوغ.

الفتى: بل بريق الخوف من أن أتأخر على العرض.. فقد تعودت احترام المواعيد منذ حداثتى..

الفتاة: آه.. آه.. يا إلهي!!

الفتى: ماذا.. ماذا حدث!!؟

الفتاة: آه.. يا ربى.. انظر..

الفتى: أين.. ما الذى أفزعك؟

الفتاة: بل بهرتى.. انظر.. هناك.. أرى شيئاً يلمع على الأرض.. شيئاً صغيراً جداً وريقاً.. ذا شوارب حمراء.. إنه يتسكع.. إنه يزحف ببطء.. إنه يرهف أذنيه.. إنه يقرب منا.. إنه.. إنه.. آه.. يا ما ما..

الفتى: إنه فيبس.. إنه برغوثى.. برغوثى الصغير.. برغوثى العزيز.. إنه هو.. آه.. آه.. فيبس.. فيبس.. أخيراً أسكنت بك أيها المتمرّد الصغير.. لقد أرهقتنى وأتعبتني كثيراً

أقلقنتني.. جعلت أعصابي تضطرب.. جعلتني أعيش ساعات من الوحدة والقلق والخوف.. ولكتي أخيرا.. عثرت عليك.. شكرا لك يا إلهي.. عثرت عليك يا فيبس.. وإني أسامحك.. وأعفو عنك فليس في مقدور أحد سوى الإنسان أن يسامح.. وأن يعفو.. هذا هو يا سيدتي القبس الإلهي الذي حمله في صدورنا.. التسامح والعفو.. إذا أردنا..
الفتاة: وهذه زاوية جديدة أراك فيها الآن.. ما أكثر زواياك أيها الفتى الطيب..

الفتى: سيدتي.. وفي اللحظة السعيدة.. أود أن أشكر فيبس أيضا لأنه السبب الحقيقي في لقائي مع فتاة رقيقة.. طيبة القلب مثلك.. رغم أسئلتها المتلاحقة.. شكرا لك يا فيبس الطيب.. أه.. يا سيدتي.. أنا لا أدري كيف أشكرك على مساعدتك لي.. لا أعرف كيف أصف لك مشاعري تجاه رقة قلبك..

الفتاة: وأنا أيضا أريد أن أشكر فيبس لأنه أتاح لي هذه الفرصة لأن أعرف على فتى رقيق موهوب مثلك..

الفتى: أه.. ياربى.. أمحتل هذا.. أيعقل هذا.. أن يكون فيبس قد فعل ما فعل من أجل أن يدبر هذا اللقاء.. أه.. تضحك أيها الماكر.. أيها الخبيث الصغير.. فهمت.. فهمت.. لقد فهمت شيئا.. أن فيبس هو صاحب الفضل.. ماذا تقول.. لقد آن الأوان.. حسنا فيبس.. سوف نفكر في هذا.. أه يا فيبس لا تعد إلى استخدام هذه الكلمات الخارجة.. كف عن هذه التلميحات الغريبة الجارحة.. لقد سبق أن قلت لك إني رجل وقادر على كل شيء.. كفى.. الاتخجل وأنت في حضرة هذه الفتاة الرقيقة.. آسف- اعتذار بشدة- هذه السيدة الرقيقة.. ولكن.. فيبس كيف عرفت هذا!! كف أيها الرقيق الصغير.. أه لا.. كفى.. إن فيبس هذا لا يكف لحظة واحدة عن المرح.. وهذا يكفي لكي يجد سعادته ومرحه.. الحسد الإنساني البغيض.. لا تخشى شيئا.. فانا أحسدك حسدا فلسفيا.. حسدا ميتافيزيقيا.. ولكذك كيف سوف تفهم ذلك.. فأنت لست سوى برغوٲ.. مهما فعلت برغوٲ..
الفتاة: أه يا سيدي.. لك طريقة مذهلة في فلسفة الأمور.. كل شيء خاضع للعقل والمنطق..

الفتى: تعجبك هذه الزاوية أيضا!!

الفتاة: كل زواياك تعجبني.. تقهرني.. تجذبني نحوك.. وبقوة غريبة.. شيء مثل السحر.

الفتى: سيدتي.. آسف واعتذر إذا كنت عصبي المزاج أو الطبع معك في البداية.. آسف وأرجو أن تقبلي اعتذاري.. ولكنك تعرفين.. أخطار ومتاعب المهنة.. تصوري.. كيف يكون في مقدوري أن أقدم عروضاً بدون براغيٲ.. إني لاعب المهنة.. وأقدم عروضاً رياضية.. موسيقية.. فنية ترفيهية راقصة.. بالبراغيٲ.. وبدون هذه البراغيٲ.. لا أدري ماذا سوف أفعل.. تصبح حياتي بلا جدال.. عدما.. عدما.. ثم إن المسألة حساسة للغاية.. ذلك لأنهم ليسوا براغيٲ عاديين بل براغيٲ مدربة تدريباً حسناً.. تصوري ذلك.. إن ضياع واحد منها يعني ضياع مجهود سنين طويلة من الجهد والعرق والكفاح.. إن هذا يعني وبمرارة شديدة.. إنه ينبغي علي أن أبحث وأنقب وأجهد نفسي كل الجهد حتى أكتشف برغوٲاً موهوباً.. لديه حس فني أصيل.. لديه حس درامي.. حس موسيقي مرفه.. قابل للتدريب.. خال من الأمراض.. كل ذلك يحتاج إلى مزيد من العرق.. مزيد من الوقت نحن يا سيدتي وفي هذا العصر اللعين في صراع مع الوقت.. والوقت

كالسيف.. إذا لم تقطعه.....

الفتاة: قطعك.. (هذا ما أفكر فيه جدياً.. لأدري ما الذي أصابني.. أحس إنني بين حالة من حالات الجد.. وحالة من حالات اللعب.. أنا بين الاثنتين حائرة.. اللعبة في حالة توتر أو بالتحديد في حالة هوس.. هوس غير طبيعي..).

الفتى: والأن هل تتكرم سيدتي.. وتسمح لي بأن أدعوها إلى عرض من عروضي الشائقة.. عروض البراغيث.. إن هذا يشرفني بالطبع.

الفتاة: آه.. ويشرفني أنا أيضاً.. إنه كرم كبير منك أن تشرفني بهذه الدعوة.. إنها أجمل دعوة تلقيتها في حياتي.. فأننا لم أتلق في حياتي كلها أي دعوة.. حتى ولادتي كانت بالنسبة لأسرتي بغير دعوة.. لم يكن مرغوباً في وجودي.. آه.. أحس بصداع شديد.. أحس بطنين ذي صدق يطن في رأسي.. لأدري ماذا أقول.. وما ينبغي علي أن أقوله.. وما لا ينبغي علي أن أقوله.. أحس بنوع من التشوش يدهمني من الداخل ياإلهي.. لم أعد أقوى.. لم أعد أقوى على التحمل.. إن عقلي.. لا.. لا..

الفتى: سيدتي.. أهنئك شيء..؟

الفتاة: لا.. على الإطلاق.. لن أنسى لك هذه المهنة الكبيرة.. سيدي لقد قبلت الدعوة.. وأنا منذ الآن طوعك وطوع أمرك..

الفتى: عفوا سيدتي.. بل أنا الذي طوع أمرك..

الفتاة: وهل سيكون هناك.. أقصد هل سوف تتقابل مع بقية أفراد الخلية؟

الفتى: الخلية!! سيدتي.. هل عدت مرة أخرى إلى..

الفتاة: أمل ذلك.. هيا بنا..

الفتى: (ينطلق والفتاة معه.. ولكن فجأة.. يقف الفتى متردداً.. واجماً..)

الفتى: (متردداً).. ولكني..

الفتاة: ماذا يا سيدي الشاب.. أهنئك شيء؟

الفتى: في الحقيقة..

الفتاة: ماذا؟ تكلم!!.. إنك توترني بصمتك هذا.. سوف تصيبني بالقلق.. تكلم..

أرجوك

الفتى: كل ما في الأمر.. هو أنني.. لأريد أن أعود إلى هناك.. مرة أخرى..

الفتاة: إلى هناك!

الفتى: نعم.. إلى هناك.. إنه مكان عنقبض.. صغير.. وأنا قد ألفت الحرية..

الفتاة: أنا لأفهم شيئاً.. لقد كنت تتحرق شوقاً إلى الذهاب إلى عروضك.. أليس

كذلك!!

الفتى: فعلاً.. ولكن لأدري.. لقد تذكرت المكان.. هذا كل شيء.. إنه مكان مخيف.. أنت لاتدريين أي مكان هذا.. ثم إنهم لا يفهموننا على الإطلاق.. ليس بيننا لغة مشتركة.. ليس بيننا وبينهم أي شيء مشترك على الإطلاق.. إنهم غرباء عنا.. ثم إنهم يتعمدون أن.. كيف أشرح لك ذلك.. لست أدري.. لا أستطيع.. حتى لو أردت أنا ذلك سامحيني..

الفتاة: صدقني أيها الفتى العزيز.. إنني ولأول مرة أحس إنني أفهمك بشعوري.. بوجداني.. لم أعد في حاجة إلى عقلي لأفهم ما تقول.. لقد تراجع العقل إلى الوراء.. وبدأ

الشعور يلعب دوره.. لقد جاء الوقت ليصمت فيه العقل ويستكين.. وصدقني لثاني مرة.. لقد خلقت بيننا لغة مشتركة.. لغة الحوار.. يكفي أن تتكلم لكي تصل كلماتك إلى قلبي دون أي حواجز.. بل يخيّل لي إنك في هذه اللحظة... حتى ولو لم تنبس بأي كلمة، لفهمتك أيضا عن طريق الصمت، فمن خلال الصمت والمعانة يمكن للإنسان أن يقيم الآخرين أفضل من تلال وحواجز الكلمات.. إنني أفهمك.. وبعد.. استمر..

الفتى: إن لي هناك.. زملاء.. أحبهم كثيرا وهم أيضا يحبونني كثيرا.. نحن نحب بعضنا البعض.. أكثر من حب الآخرين لنا.. إن بيننا أيضا لغة وشعورا مشتركا.

الفتاة: زملأوك!... هل تعني أصدقاءك.. في الخلية.. في الحزب.. في الشبكة..
الفتى: أي خلية.. وأي حزب.. شبكة.. أي شبكة.. أنا لا أعرف سوى شبكة أندراوس وسمعان.. سامحيني.. إنهم أصدقائي في ال.. سيدتي.. لاحظت أن أسئلتك قد عادت من جديد.. لا أستطيع أن نتكلم ولو للحظات بدون هذه الموجات المتواصلة والمتلاحقة من الأسئلة.

الفتاة: أنا أيضا لاحظت ذلك.. ولكن.. ولكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من ذلك.. كلما حاولت.. غلبني الطبع.. لقد تعودت على ذلك.. ربيت على هذا.. فلماذا تريد مني أن أنسلخ من جلدي.. إن الأسئلة هي كل شيء في حياتي.. بدون هذه الأسئلة لا أستطيع أن أحصل على إجابات واضحة ومقنعة.. بدون هذه الأسئلة لا أستطيع أن أفهم أو أقيم أو أفرغ الموقف.. وبالطبع أنت ترى.. إن الأسئلة هي كل حياتي.. لا أستطيع أن أحصل على إجابات.. وبدون إجابات لا أستطيع أن أقابل مرؤوسي في العمل.. إنهم يريدون إجابات واستفسارات.. إن بهم نهما شديدا للإجابات والاستفسارات.. مثل الديدان الشرهة.. مثل ديدان القطن.. ديدان الموت.. مثل ديدان الدود نفسه والتي تقتات على غيرها من الديدان.. إن المعلومات هي غايتي.. وغاية رؤسائي في العمل.. وفي كل المجالات.. وفي كل الأوقات.. وتحت كافة الظروف والمتغيرات.. إنني أعمل كي أفرغ المعلومات.. أصبحت مثل آلة تغريغ للمعلومات.. لقد ربوني على ذلك.. بل نمى لدى شعور داخلي جارف.. من إنني خلقت من أجل ذلك.. أنا الأسئلة والأجوبة معا.. ولا أستطيع أن أواجه هؤلاء الرؤساء بدون معلومات.. دون ذلك تصبح حياتي جحيما لا يطاق.. أنا لا أستطيع أن أعرض نفسي إلى سخط هؤلاء الناس.. ومن أجل ذلك ترى أن كل شيء مباح وممكن جائز.. ما دمت تحصل على المعلومات.. وإلا فالتيار الكهربائي.. دائما لا ينقطع..

الفتى: أه يا سيدتي.. لقد حملتي الموضوع أكثر مما ينبغي.. كل ما أردت أن أوضحه لك.. إن الأسئلة المتلاحقة.. تجعل عقلي يتوتر.. وأنا لأحب التوتر.. لأحب أن أتعب أعصابي.. إن هذا محظور علي بتاتا.. أفهميني.. أرجوك.. حاولي أن تنسي أسئلتك هذه.. على الأقل.. بعض الوقت.. دعينا نتكلم عن أي شيء آخر.. أي شيء.. بعيدا عن هذه الأسئلة..

الفتاة: أفهمك.. وأقدر موقفك.. دعنا نتكلم.. عن أي شيء آخر.. دعنا نتكلم عن أي شيء.. تحب وتريد بل ترغب في أن نتكلم فيه.. دعنا نسترخي قليلا.. إن ذلك مفيد لكننا.. ماهو الموضوع المحب لديك.. ما هو الموضوع الذي يشرح صدرك.. تكلم إن لحظات السعادة في عصرنا نادرة.. وقصيرة.. فعندما تلوح السعادة أمام أعيننا ولو مرة واحدة في العصر.. نجد أن الموت يطرق الأبواب لكي يؤدي دوره وواجبه.. ولكي يطوينا وإلى

الأبد.. لا عليك.. تكلم.. تكلم كما تشاء.. وكما تحب..

الفتى: نعم.. مرة أخرى وثالثة ورابعة وإلى ما لانهاية.. لقد سبق أن قلت لك أن البراغيث هي حياتي.. هي عالمي... هي مستقبلي.. هي كل شيء.. هي وجودي كله.. وبدونها تصبح حياتي مثل العدم.. العدم.. تماما مثل المعلومات بالنسبة لك على أقل تقدير..

الفتاة: حسنا.. حسنا.. ولكن أستحلفك ألا تعود إلى العصبية مرة أخرى.. ولا تذكر أمامي كلمة الأسئلة.. أو حتى تلمع لي أو تغرني بالمعلومات.. أنت تعلم جيدا الآن.. من إنه شيء خارج عن إرادتي ونطاق حرיתי وفكري.. حسن.. لا تغضب.. ماذا عن براغيثك.. براغيثك السعيدة...

الفتى: يا سبديتي.. أه لو قدر لك أن تري براغيثي وهي ترقص تحت الأضواء الكاشفة.. مسرح الموسيقى.. ويبدأ كل شيء.. براغيث تقفز في الهواء على أنغام الموسيقى.. تصفيق الجماهير وهتافاتهم.. كل ليلة.. عروض مستمرة.. لا يوجد مقعد واحد شاغر.. أكثر من ألف متفرج يوميا.. معجبون.. بعضهم يتردد يوميا على عروضي.. لا توجد تذاكر.. كلها بيعت لمدة عامين قادمين.. هل يمكنك تخيل ذلك!!
الفتاة: أه طبعاً.. لا بد أنك لاعب قدير.. فنان موهوب.. (أني جد متعبه مرهقة..)
الفتى: ألم أقل لك.. إنني أعظم وأروع لاعب براغيث في العالم!!

الفتاة: أه برفو.. رائع.. (رغم تعبي الشديد ورغم اضمحلال قوتي.. أحس بأعمامي وكأنها تقور من تحتي.. إن شيئا ما يخطف أو يسلب روحي من الداخل.. إنني على وشك أن أفقد توازني.. إنني في هذه اللحظة أوجد بلا جاذبية.. إنني أنا الفراغ..
الفتى: سيدتي.. ما رأيك.. لكي أرفه عنك.. أن أقدم لك عرضاً متواضعاً.. لك وحدك.. وهنا.. يل والآن..

الفتاة: أه.. لي هنا.. والآن.. كل ذلك من أجلي.. أن هذا منتهى أمني أن أراك وأنت تلعب مع البراغيث.. عسى أن يصبح الخيال حقيقة..
الفتى: أولم تصدقي!!

الفتاة: بلى.. ولكن لكي يطمئن عقلي.. ويصبح مساوياً تماماً لما آمن به قلبي..
الفتى: حسناً يا سيدتي.. اسمحي لي أن أهدي هذا العرض المتواضع والآن قفي هنا.. في وضع المشاهد الحر.. وسوف أريك العجب.. سوف أحتفل بك الآن..

(يخرج من جيبه لعبة كبريت.. ويخرج منها البرغوث فيبس ويضعه على قبضة يده.. ثم يعيد اللعبة إلى جيبه في بضع شديد.. يعتدل في وقفته.. يحيي الفتاة برأسه) والآن.. هل أنت جاهز يا فيبس.. (ردي).. حسناً.. وأنا أيضاً يا فيبس ألكية هوب.. (يمد قبضة يده في طول متواز مع قبضة يده الأخرى.. يقفز البرغوث من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى.. وبالعكس.. الفتاة تتابع ذلك في سرور بالغ).. ألكية فيبس.. برفو فيبس.. مرة أخرى.. أه والآن دبل سمر صولت.. لفتين في الهواء.. ركز.. ألكية هوب.. أه برفو فيبس.. (قد سمع أصوات الجماهير والتصفيق المتواصل.. الفتى يحيي الجماهير الغفيرة..)

الفتاة: رائع.. رائع.. (وإن خيل لي أنني لا أرى شيئاً.. ولكن حتماً سوف أرى.. فهو شاب رقيق.. أنا أميل إليه.. ولأول مرة في حياتي.. أشعر هذا الشعور الغريب عني.. إنه شعور جديد.. إنني.. إنني أحبه.. حقاً حباً فهو صديقي الوحيد في هذا العالم.. أه ما أروع

الحب.. أه أني أرى فيبس.. رائع.. رائع.. أراه جيدا.. بل أراه للمرة الأولى.. إن لفيبس وجودا حقيقيا.. إنه دائما وأبدا موجود إنه شيء حقيقي.. أه ما أقوى الحب.. وما أقدره على صنع المعجزات..

الفتى:.. والأنا يا فيبس.. أقوى «تركاتك».. أقوى حركاتك البهلوانية.. ديل مونتاري.. تربيل سمر صولت.. ثلاث لغات كاملة في الهواء.. رائع.. رائع.. إنه أشبه بللاعب الترابيز.. الذي يسبح في الفضاء لكي يمتلك الفراغ.. ولكي يفلت من نطاق الجاذبية.. إن اليوم يومك يا فيبس.. إن هذا العرض هو أقوى عروضك يا فيبس.. فرغم بساطة مرحك المرتجل.. يولد معك أيها الفنان.. إنك تقدم عروضك على أي رقعة فارغة.. فيبس أنا فخور بك ..

الفتاة: رائع.. رائع.. إن فيبس هذا هو أعجوبة العصر.. (تصفق بحماس شديد)..
الفتى: إنه فيبس يا سيدتي.. وهذا يكفي.. إنه أنبغ براغيثي.. أه.. أه فيبس.. (نوهه No) لا.. أرجوك.. مستحيل.. أه لا تعد مرة أخرى (يبحث في قميصه وفي بنطلونه).. أه فيبس لا تعد مرة أخرى.. كفى هزازا.. كن جادا يا ولد.. لا ترهقني مرة أخرى.. أه يا فيبس..

الفتاة: ماذا حدث؟

الفتى: لقد هرب مرة أخرى.. لقد فعلها وهرب.. وأكاد أجن لقد هرب يا سيدتي.

الفتاة: من؟

الفتى: فيبس.. برغوثي.. سيدتي.. لك طريقة غريبة في التعبير لاتعجبني.. سامحيني.. أنك تبدين في صورة بلهاء في هذه اللحظة.
الفتاة: أنا.. أنا بلهاء.. بلهاء..

الفتى: بلهاء.. من؟

الفتاة: أنا.. بلهاء.. أنا بلهاء.. أنا حقا بلهاء!

الفتى: من؟ من؟ من قال هذا.. من يجرو على قول هذا؟

الفتاة: أنت

الفتى: أنا!

الفتاة: نعم.. أنت.. إنه أنت أيها القاسي.. الرجل دائما.. جنس الرجال.. هكذا تظهرون فجأة بوجوه وأجمة وكلمات جارحة.. أه ما أقساك..

الفتى: فلتنزل علي اللعنة إن كنت قصدت أن أقول لك أنك بلهاء.. إطلاقا فعندما قلت لك أنك بلهاء.. لم أقصد على الإطلاق أنك بلهاء.. سامحيني.. واعفي عني.. أرجوك.. فمعذرة..

الفتاة: أه.. لا داعي لكل هذه الاعتذارات.. لقد أرحمت فؤادي الآن.. فلا تحمل أدنى وقر.. لقد نسيت كل شيء.. هلو فيبس.. هالو أيها المتمرّد الصغير..

الفتى: أه يا سيدتي.. لقد أصبحت تحبين فيبس.. لقد أصبح هذا الصغير الرقيق قاسما مشتركا بيننا.. اليس ذلك!

الفتاة: أه يا سيدتي.. لقد أحببت فيبس.. ومن خلاله أحببت كل البراغيث.. أيمكنني.. أن أسألك شيئا.. شيئا صغيرا.. أيمكنني..!

الفتى: سيدتي: ما الذي تطالبينه ثم يمكنني أن أرفضه لك.. اطلبي مني أي شيء.. اطلبي

ما تشائين.. فأني خادمك الوفي.. دائما وأبدا..
الفتاة: أيمكنك أن تعطيني برغوثا صغيرا.. أحفظ به.. كنوع من التذكار.. شيء
يذكرني بك في وحدتي..
الفتي: ماذا؟ أتريدين برغوثا! قلت.. برغوثا..
الفتاة: نعم.. إذا كان ذلك ممكنا..
الفتي: سيدتي: هل أنت جادة في طلبك هذا!
الفتاة: نعم.. وأقسم لك..
الفتي: اطلبي مني روجي.. حياتي.. ثروتي.. كل ما أملك.. أما برغوث من براغيثي..
فلا..

الفتاة: أه ما أقساك.. أتستخسر في برغوثا صغيرا.. أه.. لقد أوهمتني أننا أصدقاء..
لقد نما لدي شعور بالصدقة.. بل أكثر من الصداقة نوح.. ونحو فيبس.. بل نحو جميع
براغيثك.. إنني عندما سألتك.. كانت نيتي طيبة.. نية خالصة لا تشوبها أي شائبة..
الفتي: أنا لأحكم يا سيدتي على الناس من نياتهم.. بل على أفعالهم.. على أقوالهم..
أما النية.. سواء كانت خيرة أو شريرة.. فهي شيء أشبه ببخار الماء الذي يخرج من قم
الإنسان.. في الليالي الباردة.. لا يفيد ولا يضر أو يقدم.. المهم هو الفعل.. الفعل الإنساني
الإرادي.. أنت ما زلت في مرحلة البداية.. في طور طفولة الصداقة معي.. ومع ذلك.. ولم
يمض على تعارفنا أقل من ساعة.. حتى سألتيني أن أعطيك.. برغوثا.. برغوثا.. هكذا في
بساطة.. كان الأمر سهلا.. كأنه شيء عادي.. مثل الورد.. أو القروش.. أو طوابع
البريد.. أو شيء مثل السيارة.. نعم السيارة.. أنت يا سيدتي.. يبدو لي جيدا إنك
لا تعرفين.. ماذا تعني لدي تلك البراغيث.. خسارة.. كنت أظن أنك تفهميني.. وأننا نجحتنا
في إقامة جسر من الاتصال.. فإذا بكل شيء ينهار وأيضا في بساطة تامه.. إنني جد
حزين.. وأشعر بمرارة في حلقي تتصاعد من داخلي لكي تزيد من مرارة أيامي في هذه
الحياة.. حتى أو شكت على الإيمان بأنني لم أولد إلا من أجل الحزن.. ولكنك لن تفهميني..
الفتاة: أه يا سيدي.. بل أقهكم جيدا.. أكثر مما أقهم نفسي.. أعرف أن البراغيث هي
مستقبلك وحياتك ووجودك.. ليس كذلك.. فلم تعقد الأمور؟.. ألا يمكننا أن نعيش في
هدوء.. في سلام.. حسنا يا سيدي فالبراغيث هي أفلاك ونجومك التي تدور حولها ليل
ونهار.. إنها ناموسك المقدس ومنبع شعائك الطقسية والسحرية والدينية أيضا.. إنها
شمس حياتك.. قمر خريفك.. عذاب أيامك.. أتفكك هذه الكلمات.. أم تريد مني أن
أستمر..

الفتي: كفى.. كفى.. هذا حق.. كل ما ذكرته وكل ما ستذكرينه حق.. بل كل ما يصل
إليه خيالك في يوم من الأيام.. وكل ما سيصل إليه علمك عن البراغيث.. لا يفي براغيثي
حقها.. ولكن هناك نقطة عامة في موضوع البراغيث.. لا يعرفها أحد سواي.. ولن
يعرفها إنسان على سطح عالمنا الأرضي.. سواي..

الفتاة: إنك تستفزني.. لا أريد أن أعرف شيئا.. لا أريد أن أضايقك.. لا أريد أن أعود إلى
أسئلتني.. إنني أراعي شعورك وأعصابك.. إنني أحافظ على صداقتنا بشتى الطرق.. إنني
أنشد تلك الصداقة.. لأنني في احتياج لها.. إنها كل أملي.. ومنتهى أحلامي.. أرجوك..
الفتي: إن هناك سرا!!

الفتاة: أرجوك.. لاتثيرني.. أنا.. لاأريد أن أعود مرة أخرى... (إني أقاوم)..
الفتى: وهذا السر.. هو سر قوتي.. وفخر حياتي.. وحلم وأمل غدى المشرق..
الفتاة: أه.. أرجوك.. كفى.. (ما رأيت في حياتي رجلا هكذا قط.. إنه يستطيع في بساطة أن يريك رجال المخابرات..) حسنا.. لآباس.. أنت الذي بدأت.. وماهو السر يا ترى !!
الفتى: أه.. أخيرا.. أراك قد عدت لاشعوريا إلى الأسئلة إلى عالمك.. إلى المعلومات..
 أليس كذلك؟

الفتاة: لقد أثرت فضولي.. لقد أيقظت ما كان نائما بداخلي.. أو ما اعتقدته أنا.. إنه نائم بداخلي.. فأدركت للتو.. إنه حاضر ويقظ دائما وأبدا.. أنا الآن في أحسن حالاتي والتي كنت أتمنى الأصل إليها مرة أخرى ولكن لآباس.. فأنت السبب.. هات ما عندك؟
الفتى: يبدو أن هذا شيء طبيعي فيك.. شيء فطري.. فأنت تقررزين الأسئلة... مثلما تفرز دودة القز خيوطها الحريرية.. مثل العنكبوت عندما ينسج شبكه... مثل العقرب الذي يفرز سمومه.. مثل الحية التي لاتستطيع الحياة بدون السم.. ولدغ العقب.. عقب الرجل.. لآباس.. فأنت امرأة على كل حال.. امرأة من جنس حواء.. التي لم تستطع العيش... حتى في جنة الله.. دون أن تسبب كارثة تهوى على رأس زوجها.. وتكون السبب وراء طرده من الجنة.. جنة عدن.. مسكين آدم هذا.. نحن ومنذ بدأ الميلاد والخلق نحن نكفر ونتعذب دون سبب واضح.. إننا نحمل ذنوب جنسك على كواهلنا.. وإلى أبد الأبدين...
الفتاة: شكرا.. وأشكرك باسم جميع جنس حواء... ونحمل إليك وإلى جنسك كل أسفنا العميق تجاه خطيئة جنس المتملتة في خطيئة أمنا حواء.. سامحونا يا أبناء جنس قابيل...

الفتى: الاعتراف بالحق فضيلة... وهذا عنصر خير فيك.. فأنت لست مكابرة مثل بقية جنس حواء.. إنك رقيقة.. هادئة... وديعة.. حساسة.. صدقني ورغم كل أمواج المد والجزر بيننا.. ورغم كل سلبيات حياتنا المغتصبة... لم أشعر بشعور دافئ نحو أحد كما شعرت نحوك.. كان كل شيء بداخلي يجذبني نحوك.. كان كل شيء بداخلي يناديك منذ زمن طويل... حاول عقلي أن يرفضك.. ولكن صوت إحساسي الداخلي كان يصرخ بي من أقصى أعماقي.. كان كل شيء يهزني من الداخل.. أرجوك... مهما حدث.. ومهما بلغت درجة عصبيتي.. ومهما حالت الظروف بيننا.. فابق بجواري.. فأنا.. أنا لا أعرف أحدا غيرك.. صدقيني..

الفتاة: وأنا أيضا.. لا أعرف أحد غيرك... لقد تركت في أثرا من الصعب محوه بل أنني لا أريد أن أمحوه أو أنساه ما حييت.. فابق بجواري..
الفتى: حتما سابقى بجوارك.. فأنت ملاذي الأخير.. أنت محط شراعي ونهاية عذابى.. وغدى المشرق في مواجهة العالم والحياة...

الفتاة: يا فتاي العزيز الحبيب.. أنا معك دائما... ولن أتركك وحيدا أبدا..
الفتى: والآن أعتقد إنه قد آن الأوان لكي أبوح لك وبمحض إرادتي واختياري.. عن السر الذي أحمله بين جوانحي.. والذي أستمد منه قوتي وحياتي وعوني على مواصلة غد الأيام المتلاحقة.. إن البرغوث يا سيدتي.. رغم كل ما شرحته لك.. هو.. هو سلاحى أيضا.. نعم سلاحى..
الفتاة: سلاحك !!..

الفتى: نعم.. سلاحي الرهيب الفتاك الذي أستطيع معه وبه أن أدمر العالم في أقل من دقيقة واحدة..

الفتاة: تدمر العالم!!

الفتى: نعم.. أستطيع تدمير العالم.. إذا أردت ذلك أو اضطررت لذلك..

الفتاة: تدمر العالم!.. إنها فكرة رائعة.. فكرة مثيرة.. جديدة.. فكرة تشدني نحو أكثر من أي وقت آخر.. تكلم.. إن حديثك يشجيني.. إن جسدي ينتشي.. وروحي... تغشاه حرارة الحرية التي تسري في كياني.. إن في تدمير العالم قضاء مبرما لكثير من الشرور.. إن الشرور التي توجد في هذا العالم لا بد أن تواجه بشرور أقوى منها.. شر مقابل شر..

الفتى: وهذا هو بيت القصيد.. سلاح مقابل سلاح.. سيدتي إنني قد أعددت جيدا برغوثا من براغيثي على هذا التدمير.. زرعت فيه ويكل قوة بعض المشاعر الإنسانية الخاصة.. المغرقة في الشر.. ربيته على الحق والشر وعلى بغض وكره هذا العالم.. ثم غذيته بدماء سبع جثث.. سبع جثث.. سبع جثث بشرية.. دماء جيدة.. نسبة الإيدز فيها 100×100.

الفتاة: الإيدز!!

الفتى: نعم الإيدز.. سلاح العصر بل قل لي لعنة عصرنا الحديث.. إنني أستطيع أن أطلق هذا البرغوث الشرير إلى العالم.. وفي لمح البصر ينقض على أول من يشاهده.. فيلدغه أو بالتحديد يقرصه قرصة رقيقة.. فينتهي كل شيء.. ويبدأ كل شيء أيضا.. وهكذا دواليك.. إنه يستطيع أن يقرص 700 ألف إنسان في الدقيقة الواحدة.. أي يستطيع تدمير مدينة كاملة في يوم واحد.. وأن يدمر بلدا في أربعة أيام.. وأن يدمر قارة بأكملها في أسبوع أو عشرة أيام على أقل تقدير.. اليس برغوثي هذا أخطر من قنبلة ذرية موقوتة؟..

الفتاة: قنبلة ذرية! إن القنابل الذرية تصبح لعب أطفال بجوار هذا البرغوث العجيب.. إنك بلا جدال أيها الفتى الحبيب.. أقوى رجل في العالم الحديث.. بلا منازع..

الفتى: سيدتي.. لا مجال للمقارنة.. رغم كوني إنسانا بسيطا لطيفا ورفيقا..

الفتاة: نعم.. مثل فيبس..

الفتى: آه يا سيدتي.. إن لديك ذاكرة جيدة.. نعم فإن الرقة والقوة أيضا من متطلبات الحياة العصرية الراقية.. سواء على المستوى الفردي أو حتى على المستوى الدولي

الفتاة: نعم.. وبلا جدال.. فالرقة بلا قوة.. نوع من الضعف.. يستتر الضعفاء خلف تلك الرقة والأدب والمجاملة والتسامح ومائة الأخلاق.. لأنهم لا يملكون القوة الكافية التي تفرض نفسها على الجميع.. أما نحن..

الفتى: آه يا سيدتي الحبيبة.. هذه أول مرة تنطقين فيها كلمة «نحن».. إننا قوة.. أنا وأنت.. معا.. دائما نشكل قوة لا يستهان بها في ذلك العصر الممسوخ.. لا لتصورى مقدار سعادتي الغامرة.. وفي تلك اللحظة التي تجمعني معك..

الفتاة: وأين تضع هذا البرغوث الموقوت؟.. في ملجأ تحت الأرض.. أو في باطن الصحراء.. أم ربما تحت أعماق البحر.. أو في صندوق من الرصاص محكم الإغلاق..

الفتى: رغم أن سؤالك هذا يعتبر وبلا جدال سؤالا.. إلا إنني سوف أتغاضى عن ذلك

كسبا للوقت.. لاياسيديتي.. إنني أحمله في جيبتي دائما.. في علبه كبريت صغيرة.. لكنها أنيقة.. وجديدة..

الفتاة: علبه كبريت!

الفتى: نعم.. علبه كبريت.. لقد عودته على ذلك حتى استطاع أن يكيف حياته ونفسه على الحياة في تلك العلبه.. وقد تعود هو أيضا هلى هذا.. ولا توجد على الإطلاق مشاكل بيننا تجاه هذه الناحية..

الفتاة: ما اسم هذا البرغوث العفريت.. إنه ليس بالتأكيد.. فبيس..

الفتى: لإنه ليس فبيس.. إن فبيس هو ملك الأكروبات بلا منازع.. إما هذا الشرير... فاسمه «يودا».. ويرقد في هذه العلبه الأنيقة.. يكفي فقط أن أفتحها وأقول له.. «يودا».. إليه هوب.. فيقفز في وجه العالم.. أتحيي أن تشاهده..

الفتاة: لا.. لا.. دعه يرقد في سلام.. إن فبيس هو الأثير عندي..

الفتى: صدقت.. إنه الأثير عندي أيضا.. إنه رقيق وصغير وليس الشرير الخطير.. ولكن كل شيء مقدور أيضا.. فحتمًا سوف يأتي اليوم الذي يتمرد فيه «يودا» سواء شئت أنا هذا أم أبيت.. سيأتي اليوم الذي فيه حركة التمرد المنتظرة.. فحتمًا سيأتي اليوم الذي سيقفز فيه يودا من علبه الكبريت ويواجه العالم..

الفتاة: وساعتها.. لا يستطيع أحد أن يقف أمامه أو أن يوقف التدمير في هذا العالم الغافل عن نفسه..

الفتى: هذا هو المقدور.. غير إنني أراك قد بدأت تتحدثين لغتي.. إننا نتحدث الآن.. بلغة واحدة ذات رنين مشترك.. إننا ويمرور الزمن نفهم بعضنا شيئًا فشيئًا.. وأكثر فأكثر..
الفتاة: إنني أدين لفبيس بكل سعادتي من أجل هذا اللقاء الذي أتاحه لي.. ولبقاء فتى مثلك.. من كان يظن أن محياك الرقيق يحمل في داخله كل تلك القوة.. آه.. آه.. يا إلهي.. مستحيل.. مستحيل..

الفتى: ماذا حدث.. لم ترتجفين هكذا!!

الفتاة: إنني أراهم قادمين.. أرجوك.. ساعدني.. خبئني.. لا أريد العودة إلى هناك.. إلى هناك مرة أخرى.. أرجوك.. استخرج يودا بسرعة وأطلقه في وجوههم الآن.. أحمني منهم.. لا تتركني.. وحدي معهم.. فانت لا تدري ما سوف يفعلونه بي.. لو أعادوني مرة أخرى إلى هناك.. إنه مكان مقبض.. ضيق.. وأنا قد ألفت بي الحرية.. فإذا لم يكن في مقدور يودا أن يفتقني الآن.. فلا حاجة لي به قط.. فاللعنة على هذا العالم.. الذي يسلبني حريتي والذي أموت فيه وحيدة.. والذي أشيعه بصيحات الغضب والكرامة..

الفتى: آه.. إنهم هم.. لقد كنت أتوقع ذلك.. لقد عرقوا مكاني لقد.. اكتشفوا موقعي.. هيا يا سيدتي أعطني يدك.. لا تخافي أبدا.. فأنا معك.. معك دائما وأبدا.. منذ البداية وإلى النهاية.. لا تخشي شيئًا.. اطردني الخوف من قلبك.. فأنا أعرفهم جيدا.. إن قوتهم تكمن في خوفك منهم.. إن قوتهم تبدأ من داخلك فقط.. فاطردني الخوف من داخلك تطردينهم من خارجك أيضا.. أنا أعرفهم جيدا.. إنهم الزبانية..

الفتاة: أجل إنهم الزبانية.. ولكن كيف عرفت ذلك!! إنهم فعلا كذلك.. ولكنهم يبحثون عني أنا..

الفتى: ويبحثون عني أنا أيضا..

الفتاة: عنك؟ أنت أيضا!!

الفتى: نعم..

الفتاة: ولكن كيف عرفتهم؟

الفتى: من ملابسهم.. الزمن الهدوء وسوف تري.. أن كل شيء سيمضي في هدوء أيضا.. سيصبح الموضوع كله كالحلم الأبيض الوردى.. الرقيق..

الفتاة: أرجوك راحمني منهم.. ولا تتركني لهم.. فأنا خائفة من كل شيء.. حتى من نفسي..

الفتى: لقد وعدتك وأنا دائما أفي بوعدى..

الفتاة: ولكن كيف تتصرف حيالهم.. إنهم كثيرون.. أشرار وأنت رقيق وديع..

الفتى: الزمي الهدوء.. واسترخي قليلا.. وأتركي زمام الأمور لي.. نحن معا.. وسنكون معا دائما وأبدا.. بل نحن.. وكلانا نشكل الآن قوة هائلة نستطيع بها أن نقف في مواجهة أي خطر يحيق بنا.. ومهما كانت خطورته.. أنسيته ماذا أحمل معي..

الفتاة: يودا...

الفتى: الآن يا حبيبتي.. أعطني يدك الرقيقة.. وسوف نواجه العالم وشروبه سويا.. سنواجهه بالحب الذي جمعنا على يد فيبس.. سنواجهه ببودا الشرير المدمر والمشيّع بالإيدز.. سنواجهه بنيران الكبريت الذي أحمله معي دائما.. إنني قادر ومعك.. على مواجهة العالم.. حتى ولو كان بالرفض..

(الفتى يمسك بعلبة الكبريت في يده.. ويمسك بيد الفتاة باليد الأخرى.. يقفان ملتصقين.. صمت)..

(يسمع صوت بالميكروفون يقترب شيئا فشيئا..)

...و... سلما أنفسكما قورا.. وبدون أي مقاومة.. المكان كله محاصر بعدسات التلفزيون.. ومن جميع الجهات.. لدينا رجال مسلحون ومدربون على استخدام العنف في مواجهة العنف.. في مواجهة التمرد.. في مواجهة الصمت.. سوف تعودان سويا وفورا إلى المستشفى... ونعدكما بعدم استخدام العنف معكما.. بل ستجدان معاملة كريمة.. نحن نعرف ونقدر ظروفكما.. إنها ظروف خارجة عن إرادتكما.. ظروف خارجة عن لاشعوركما وعقلكما غير الواعي..

كلنا معرضون لذلك.. فسلما أنفسكما لنا نحن أصحاب الإرادة والشعور والعقل الواعي.. نحن أصحاب القوة والهيمنة وأصحاب الحق الوحيد في تصنيف البشر.. كما نشاء وبالكيفية التي نريدها.. لقد صدر بيان حديث.. إنساني للغاية وإلى أبعد المدى.. ينادي بإلغاء العلاج بالجلسات الكهربائية.. بدون عنف.. بدون تيار من الماء البارد المتدفق والمندفع من الدش.. نحن نعيش في عصر جديد تماما.. لدينا علاج جديد بلا عنف.. علاج بالموسيقى.. أجل بالموسيقى.. هذا كل شيء.. قفا حيث أنتما.. نحن نقترب.. نقترب.. نقترب..

(الفتى والفتاة.. ينظران إلى بعضهما.. الدموع تسيل من أعينهما.. ورغم ذلك يواجهان الجمهور بالصمت... الصمت)..

صمت...

موسيقى...

تقديم

قد لا يعلم الكثيرون أن المسارح اليوغسلافية ومسارح بعض دول شرق أوروبا بل وبعض المسارح العربية لا تزال تعرض بنجاح كبير حتى وقتنا الحالي مسرحيات الكاتب اليوغسلافي برانيسلاف نوشيتش (1864 - 1938م)، وذلك لأنه استحوذ على الجماهير بفكاهته وأحبه الجمهور لإنسانيته، ومحبه بلده، ومعيشته بين أفراد الشعب البسطاء وإصفااته لمطالبيهم.

ولقد اكتشف نوشيتش نفسه عند كتابته لأول مسرحية كوميدية، وبذلك دخل ميدان الأدب اليوغسلافي بوجه واضح وقلم بارع، فالكوميديا شيء فطري في نفس نوشيتش، إنه يضحك من أخطاء الناس وعيوبهم معتقداً في قرارة نفسه أن الشر لن يدوم، كما يعتبر الضحك في حد ذاته سلاحاً.. بل سلاحاً ماضياً.

وجميع المسرحيات التي كتبها نوشيتش تبرز قدرته الخلاقة على كتابة المسرحيات الكوميدية، وتبرز مهارته وشخصيته التي تظهر على خشبة المسرح من خلال شخصيات مسرحياته المقتنعة ومن خلال لغتها السهلة السلسة. ولم يكن نوشيتش يعتمد إلى الصراحة المباشرة فيما قصد إليه من نقد وسخرية، وفيما أراد لمسرحياته من هدف، بل كان يسلك من أجل ذلك كله طريقاً من شأنه أن يعمل على إيصال ما قصد إليه وما أراد إلى القراء والمشاهدين في خفاء.

شخصيات المسرحية
الزوج

الزرز

مسرحية كوميدية من فصل واحد

تأليف الكاتب اليوغسلافي:
برانيسلاف نوشيتش
ترجمة وتقديم:
د. جمال الدين سيد
محمد

الزوجة الحما الحماة الخدمة

كل شيء يثير الانفعال في الحجرة الصغيرة اللطيفة التي تخص موظفا بالفئة الأولى، هو وزوجته والخدمة وتلك الأشياء التي تمثل كل شيء مثير للانفعال: القبة التي تقف في عظمة على أحد الكراسي، وبدلة السهرة المعلقة على مسند كرسي آخر، والحذاء المميع القابع على الأرض والمنشفة الواقعة على الأرض، وفرشاة الحلاقة المقلوبة وهي لا تزال مليئة برغوة الصابون ترتفع في إباء على المنضدة كالريشة التي تزين قلنسوة الحارس. كل هذا مثير للانفعال والأعصاب لأنه على علم بأن هذا الموظف من الفئة الأولى قد حصل على دعوة للعشاء من السيد الوزير، وموعد هذه الدعوة محدد في الساعة التاسعة مساءً. إلا أنه باعتباره موظفاً من الفئة الأولى فعليه أن يتواجد بالمكان قبل الموعد بخمس عشرة دقيقة على الأقل.

يجلس الموظف إلى المائدة المغطاة بمفرش طويل ويقوم أمام المرأة بتزوير زرقاة القميص. وتقف زوجته بجانبه وهي تمسك برباط العنق وتقف الخادمة من الناحية الأخرى وهي تمسك بالصديري. وقد ارتدى الموظف البنطلون المثبت بالحملات على كتفيه وانتقل الشبشب في قدميه.

المنظر الأول

الزوج: هذا شيء فظيع، لقد أصابني التعب. لا يمكن. تقضي، حاولي أنت.
الزوجة: (تترك رباط العنق على المائدة وتحاول أن تزرر له الباقة ولكنها لا تفلح) لا يمكن.
الزوج: (ينهض في عصبية من على الكرسي) طبعاً لا يمكن. وكم الساعة؟
الزوجة: (تنظر من خلال الباب المفتوح إلى الحجرة الأخرى) الساعة الثامنة.
الزوج: الساعة الثامنة وأنا لم أنته بعد من تزيير الزر.
الزوجة: ولكن لا تكن عصبياً، لديك متسع من الوقت حتى الساعة التاسعة.
الزوج: أجل، حتى الساعة التاسعة! ولكن إذا دعاك الوزير للعشاء في الساعة التاسعة فينبغي على الأقل حتى الثامنة أن تنتهي من تزيير الزر. أتعرفين ماذا تعني دعوة العشاء عند الوزير؟ هذا يعني أنه سيكون موجوداً أيضاً وزراء آخرون، وسنتحدث، وسيجري حديث خاص، وسيتعرفون عليّ وسيكونون عني رأياً معيناً.. هاهو الأمر... وأنا ما زلت في الساعة الثامنة لم أنته حتى من تزيير الزر.
الزوجة: ستزور الزر، لديك متسع من الوقت.
الزوج: شكراً لك! لدي ساعة من الزمن. ساعة من الزمن لتزيير زر، وساعة لتزيير الزر الآخر، وساعة لتزيير الزر الثالث.. ويمكنني حتى الفجر أن أنتهي من تزيير الأزرار، ولينظر الوزير إلى أن أنتهي من تزيير الأزرار. شكراً!
الزوجة: ولكن، أرجوك، اهدأ، إذا لم تهدأ فسيصعب عليك أكثر أن تزرر الزر.. اجلس جيداً وفي هدوء.

الزوج: حسنا، ها أنذا، سأهدأ.. (يجلس مخاطبا الخادمة) كم الساعة؟
الخادمة: (تنظر إلى الساعة الأخرى) الساعة الثامنة ودقيقة.

الزوج: إن الوقت يمر بسرعة!.. (يحاول ثانية أن يزرر الأزرار) ها أنذا ساكون هادئا.. في غاية الهدوء (يزرر الزر في عصبية وعندئذ يسقط منه الزر) ها هو، والآن يحدث هذا أيضا! (ينحني ويبحث عن الزر حول الكرسي).

الزوجة: ماذا حدث؟

الزوج: سقط مني! (يركع على ركبتيه ويبحث).

الزوجة: سقط الزر!

الزوج: طبعاً الزر! اللعنة، أين سقط؟ وكان الأرض قد بلعته. (يجلس على ركبتيه ويرفع يديه في يأس) يا ربي. ويحدث هذا أيضا الآن! ومن المؤكد أنه لا يوجد بالمنزل زر واحد زائد.

الزوجة: لا يوجد.

الزوج: طبعاً لا يوجد. إذن تفضلي أنت بالذهاب للعشاء عند الوزير طالما أنه لا يوجد لديك زر احتياطي بالمنزل. لماذا تنظران إليّ بالله عليكما؟ اعترفاً ماذا يعني فقدان زر في هذه اللحظة؟.. يعني عدم الذهاب إلى العشاء! وهل تعرفان ماذا يعني عدم الذهاب عند الوزير للعشاء؟ هذا يعني... ساعداني بالله عليكما، ابحتا، ابحتا!

الزوجة والخادمة: (يركمان على ركبتيهما والآن الثلاثة كلهم يسبرون على الأربع وهم يستندون على أيديهم، ويبحثون عن الزر على الأرض حول المائدة).

الزوج: (وهو يبحث) طبعاً ما دام المرء يبحث عنه فلن يجده، ولو كنت لا تحتاج إليه لقفز وحده إلى عروة القميص.

الزوجة: ألم يدخل تحت السجادة؟

الزوج: ممكن، ولما لا؟ إذا كانت المصيبة تريد أن تطارد المرء فيمكن للزر أن يقفز حتى إلى المطبخ.

الخادمة: يا للعجب، إنه غير موجود في أي مكان!

الزوجة: في أي مكان؟

الزوج: (يجلس في يأس على الأرض) طبعاً غير موجود. هذا أمر ليس بالعجيب على الإطلاق. لقد تدخل الشيطان، هذا هو كل ما في الأمر. تحصل على دعوة من الوزير للعشاء، ولأول مرة يدعوك الوزير لتناول العشاء، وهذا العشاء سيضمن لك النجاح في الحياة، وأنت ينبغي أن تكون جاهزاً ومرتبياً ملابسك (بينما يتحدث هو تجلس زوجته والخادمة أيضاً على الأرض وتنصتان إليه) وينبغي أن تنتهي من ارتداء ملابسك على الأقل حتى الساعة الثامنة والنصف وأن تتحرك من المنزل لكي تصل قبل الموعد المحدد في الدعوة بعشر دقائق على الأقل. ولكن، تعتقد من الذي يعترض طريقك؟ زر، زر عادي ويقول لك: إيه يا بني، لن تحقق نجاحاً في الحياة، أنا لا أسمع لك!.. وأنت أيها الزر العادي تقف فيريقي؟ أجل، أنا الزر العادي، ها... هو... لكي ترى، سأقفز من عروة القميص وأتدحرج على الأرض وتفضل بالعثور عليّ الآن. تفضل بالعثور عليّ، وأنا أعلم أنك لا تملك بالمنزل زراً احتياطياً، وأريد أن أراك كيف ستزرر الياقة، تفضل لكي أرى...

المنظر الثاني

الحماة: (تدخل من الباب وتصاب بالذهول وهي تراهم في هذا الوضع الغريب) ماذا تفعلون؟ بالله عليك يا زوج ابنتي، الساعة تقترب من الثامنة والنصف وأنت...

الزوج: (يصيح في فزع) كم الساعة؟

الحماة: الساعة الثامنة والنصف تقريبا.

الزوج: (في ياس) يا ربي! الساعة الثامنة والنصف. لا أريد كلمة بعد ذلك! اتفهمن، لا أريد كلمة أكثر من ذلك. اتركي الحقيبة وأخلي القبة وهيا على ركبتيك!

الحماة: ماذا!

الزوج: الزر. اتعلمين ماذا يعني هذا الزر؟

الحماة: (في دهشة) وكيف لا أعلم؟

الزوج: مستقبلي متوقف على زر، والزر ضاع، غير موجود، اختفى... ابحتي، ابحتي بالله عليك! (الجميع والحماة أيضا ينحنون على الأربع ويشرعون في البحث)...

الحماة: (وهي تبحث) وأين سقط بالتقريب!

الزوج: سقط هنا، تحت المائدة، ولكنه غير موجود. لقد تدخل الشيطان ولا يعلم أحد إلى أين دفعه، ابحتوا في كل مكان، وفي كل الأنحاء!

(يتفقدون وهم يزحفون على الأربع في كل أنحاء الغرفة باحثين عن الزر).

المنظر الثالث

الحما: (يدخل فجأة من الباب ويملكه الدهول) ما هذا بالله عليك يا أخي!

الزوج: (يرفع رأسه وفي هذه اللحظة تطرا على باله فكرة فيقفز ويمسك بحماه من رقبته وهو يشد رباط عنقه).

الحما: ماذا بالله عليك يا أخي؟ (النسوة الثلاث يصرخن وينهضن واقفات ويحطن بهما).

الزوج: الزر، إما الزر وإما حياتك! (انزع منه رباط العنق وعندما يلحظ أنه يرتدي قميصا من الطراز القديم ذي الياقة المستوية المغلقة بزر من الصدف مثبت بالحياسة تتملكه خيبة أمل فظيعة وينزل يديه وهو واهن العزم) إنك رجل من القرون الوسطى؟ من لا يزال حتى اليوم يرتدي مثل هذه الياقة؟

الحما: قلت لزوجتي ولكنها...

الحماة: هكذا كان والده يرتدي ولا يرتدي هو أيضا مثله. أتريد وهو متقدم في السن أن يبدأ في التائق؟

الحما: ومع ذلك فانا لا أفهم كل هذا!

الحماة: الزر، فقد الزر ولا يمكنه أن يذهب للعشاء عند الوزير.

الزوجة: تصوروا، بسبب الزر!

الزوج: (في ياس) بسبب زر تافه.

الحما: أوه، أيها الناس، ألا يمكن أن تقدموا أية مساعدة؟ أيمن أن... ولكن لا يمكن..

لقد أغلقت المحلات أبوابها.

الزوج: (يتذكر ويصيح) الصحيفة، أعطوني الصحيفة. صحيفة اليوم!
الجميع: (يهولون... موجودة، طبعا غير موجودة. كل شيء تأمر ضدي. هل يعرف أحد ما هي المسرحية التي يجري عرضها بالمسرح الليلية؟
الخادمة: عطيل.

الزوج: حسن جدا، إنه عرض مسرحي وله ملابسه الخاصة! رائع... يا حماتي العزيز، ستهول في الحال إلى المسرح، وهو ليس ببعيد، وكل الممثلين يرتدون ملابس المسرحية وقمصانهم بأزهارها معلقة في غرفة حفظ الملابس. تسلل إلى حجرة الملابس...
الحماة: طبعا إلى حجرة ملابس الرجال فقط..

الزوج: (في عصبية) أجل، بالله عليك، النساء لا يمكن نفس الأز.

الزوجة: وممنوع التسلل إلى حجرة ملابس النساء.

الحماة: ولأنه ممنوع فإنه يتم التسلل.

الزوج: أرجوكم الهدوء. لا أريد أية إيضاحات ثانوية (مخاطبا حماه)

ستتسلل إلى حجرة ملابس الرجال. وإذا لاحظك أحد من العمال فقل له إنك شقيق خالة بربانتسيف أو أنك عم عطيل.

قل له أي شيء، أو من الأفضل ألا تقل شيئا بل امنح عامل حجرة الملابس عشرين دينارا وتسلل إلى الحجرة وأنزع أول زر تلمحه، أول زر تلمحه..

الزوجة: (حتى ذلك الحين تعثر على الصحيفة وتتصفحها) الليلة ليست مسرحية عطيل.

الزوج: وإنما؟

الزوجة: كانت تعرض بالأمس، أما الليلة فلا يوجد عرض.

الزوج: فظيع، هذا أمر فظيع! وحتى إدارة المسرح تعاندني. وكم الساعة؟

الخادمة: (تتنظر إلى الساعة في الحجرة الأخرى) الثامنة وخمسة وأربعون دقيقة.

الزوج: (يتملكه الفزع) ماذا هذه هي اللحظة الأخيرة. اركعوا على ركبكم، ولا أريد أية كلمة أكثر من ذلك! لا أريد أن ينطق أحدكم بأية كلمة، ابحثوا، ابحثوا، هذه هي اللحظة الأخيرة! (ينحني الجميع على الأرض، يتفرقون في أنحاء الغرفة وهم يسيرون على الأربع).

الحماة: (منذ اللحظة الأولى لدخوله الحجرة وهو ينظر إلى الخادمة في اشتها، وكان يراعي على الدوام أن يكون بالقرب منها. والآن بينما يمشون على الأربع يذهب وراءها دوما. والخادمة وهي تبحث عن الزر تنسل تحت المائدة المغطاة بالمفرش بحيث أنه لا يرى المشاهدون منها إلا الجزء الخلفي فقط. وينسل الحما هو أيضا تحت المائدة وهو ذاهب في إثرها بحيث أن المشاهدين لا يرون إلا مؤخرتي جسديهما).

الحماة: (وهي تزحف في الحجرة على الأربع تصادف المنظر السابق) وبعد تعرفها على مؤخرة زوجها تصيح في فزع وتجلس على الأرض).

الزوج: ماذا؟ هل عثرت عليه؟

الحماة: أجل عثرت عليه، ولكن ها هو ما عثرت عليه! (تخلع الحذاء من قدمها وتضرب زوجها في غصه مشددا على مؤخرته الظاهرة) أيها العجوز الخبيث!! أيها

الشقي! (تنهض في سرعة وتمسك بزوجها من مؤخرته وتجذبه).

الزوج: (يجلس على الأريكة ويشد شعره ويصرخ) كم الساعة؟ تكلموا كما الساعة؟

الحماة: (بعد أن جذبت زوجها الذي وقف معتدلاً) لماذا دخلتم هنا؟ يا رب أن تدخل إلى المكان الذي لا تعود منه أبداً!

الزوج: تكلموا، كم الساعة؟

الحماة: (تمسك بزوجها) هل ستتكلم؟

الحما: ماذا أقول؟

الحماة: لماذا دخلت إلى هناك؟

الحما: كنت أبحث عن الزر.

الزوج: أسمعوني، كم الساعة؟

الخادمة: (وقد نهضت أيضاً منذ وقت إخراج الحما تنظر إلى الحجرة الأخرى) الساعة التاسعة إلا أربع دقائق.

الزوج: يا ربي، حياتي مقابل زر!

الحماة: كنت تبحث عن الزر؟ تبحث عنه هناك تحت المائدة؟ هيا تكلم، تكلم، وهل على الأقل وجدت الزر؟ (تهزه) هيا تكلم.

الحما: أجل.

الزوج: (يقفز) أيها المنقذ! (يعانقه ويقبله) أيها المبعوث الإلهي! أعطني إياه، أعطني!

الحما: (يعطيه الزر الذي كان يمسكه في يده).

الزوج: (ينظر ويصاب بالغزع وكأنه يمسك ضفدعة في يده) هذا زر حريمي!

الحماة: حريمي؟! (تمسك بالزر وتقترب من الخادمة وتقارنه بالزر الموجود على بلوزتها) أجل، أجل. ها هو، هنا، زر ناقص عند الصدر بالضبط. لقد شده من على صدرها، أيها العجوز البائس! (مخاطبة الحما في غضب شديد) آه، أيها المبعوث الإلهي، ستدفع غالياً ثمن ذلك! آه، آه! (تشد شعرها وتسقط على الأريكة في الناحية المقابلة).

الزوج: (وهو يسقط في يأس على الأريكة) كم الساعة!

الخادمة: الساعة التاسعة.

الزوج: ضاع كل شيء، كل شيء!

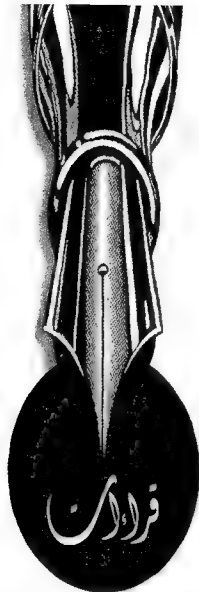
الحماة: ضاع كل شيء، كل شيء!

الزوج: زر أضاع كل نجاح حياتي!

الحماة: زر أضاع زواجي كله.

الزوج والحماة: (معا) ضاع كل شيء، كل شيء!

(ستار)



فاطمة يوسف الحلي

■ نماذج وصور للمرأة في القصة الكويتية

ياسر الفهد

■ السقاف والتراث الشعري العربي

نماذج

قصص

للمرأة في القصة الكويتية القصيرة

(ألقيت في أمسية ثقافية برابطة الأدباء)

فاطمة يوسف العلي

أعتبر ما أقوم به الآن قراءة في عدد من القصص القصيرة التي تتمحور حول نموذج المرأة، أو صور المرأة في الكويت، فأننا لا أقدم في هذه القراءة مسحاً شاملاً كاملاً، لكل الأدباء الذين يكتبون القصة القصيرة، ولا تعريفاً وافياً لكل القصص حتى في حدود موضوع المرأة، لقد انتقيت عدداً من هذه القصص، لأسباب مختلفة، قد تكون أسباباً تاريخية، بمعنى أن قصة معينة اكتسبت أهميتها لموقعها التاريخي، وقد تكون الأسباب فنية، بمعنى أن هذه القصة محبوبكة، أو طريفة، أو جديدة في أسلوبها الأدبي، وقد تكون الأسباب نفسية، فأننا مثل كل القراء، حين أقلب

مؤنثة.. والسماء مؤنثة.. باختصار: الحياة مؤنثة.. فهل نستقرب أن يكون العنصر النسائي في القصص مهما، واضحا، متنوعا؟ إن قسمة الحياة بين الرجل والمرأة تعني أن الكلام على أحدهما دون الآخر يظل ناقصا، فالحركة لا تتم إلا بالتوازن بين الذكورة والأنوثة.. وهنا نلاحظ أن الكتاب الرجال عادة، وفي كل مكان، وفي الكويت، هم الأسبق، والأكثر، ومن هنا يكون اهتمام المرأة بما يكتب الرجل عنها.. كيف يراها؟ كيف يصورها؟ كيف يتمناها؟ ماذا يسند إليها من أدوار في المجتمع؟ في الحب؟ في الحرب؟ في الجريمة؟ في السلام الروحي والاستقرار؟ في الحفاظ على الأسرة؟

هذه أسئلة في صميم موضوع المرأة، وهي أسئلة نجد أجوبتها في هذه القصص التي اخترتها، أو اخترت أن أعرضها عليكم في هذه القراءة.

يدخل في أسباب الاختيار أنني أنتمي إلى جنس النساء، ولا أقصد أبدا أن المرأة هي الأكثر إجادة وإتقاناً في تصوير المرأة.. هذا السؤال أجبت عليه في حديث إذاعي من قبل، فلو قلنا إن المرأة هي التي تجيد تصوير المرأة، فمن اللازم تعميم القاعدة فيكون الرجل أقدر على تصوير الرجل، والطفل أقدر على كتابة قصص الأطفال، وهكذا.. وهذا أمر لا نقنع به، فالهوية الأدبية هي الأساس، ويمكن أن توجد في المرأة، كما في الرجل.. أما خبرة المرأة لعالمها الداخلي، بأحاسيسها، بمشكلاتها، فإنها لا تحتل الكثير من المناقشة، فمن الصعب التسليم بأن رجلا ما يستطيع اكتشاف مشاعر المرأة وأفكارها، وعقدها، ومخاوفها الموروثة، والمكتسبة، أكثر من المرأة نفسها.. إلا إذا افترضنا أن هذا الرجل عالم، وأن هذه

صفحات كتاب، أعتمد على ذوقي الخاص، واستجابتي النفسية. قد أنجذب إلى هذا الكتاب فلا أترك فيه سطرا واحدا، بل ربما أقرأه في يوم واحد أو جلسة واحدة، وقد أزهده فيه وأشعر بالتناثر معه، فأهجره بعد عدد من الصفحات، وأحيانا بعد قراءة العنوان فقط!! هذا طبعاً تصرف غير صحيح من الناحية العلمية، ولكنه طبيعي من الناحية النفسية الذوقية، فانت تاكل ما يعجبك، تلبس ما يروقك، تاكل ما تشتهي نفسك.. وتقرأ أيضاً ما تشعر أنه يحقق لك المتعة أو الفائدة.

هذا توضيح، أردت أن أضعه أمامكم، لأبين الأساس الذي اخترت عليه هذه النماذج والصور القليلة، وأعتقد أنها غير شاملة، كما وضحت، ومع هذا فإنها تفيد في توجيه اهتمام كتاب القصة والنقاد إلى هذه الجوانب في القصة القصيرة في الكويت.

وأحب أن أوضح ثانياً.. أسباب اختياري لموضوع المرأة، طبعاً لست محتاجة إلى توضيح الاكتفاء بالقصة القصيرة، فهي - في الإبداع القصصي الكويتي - الأقدم، والأكثر، والأجمل، أما الرواية فإنها لم تصل إلى الدرجة التي تلفت الاهتمام، إلا أخيراً جداً، عند أديبنا الكبير إسماعيل فهد إسماعيل بصفة خاصة، ثم عند وليد الرجيب، المتفوق - إلى الآن - في قصصه القصيرة، ونحن نتذكر الآن أن مجموعته الأولى: «تعلق نقطة.. تسقط.. طق» عام 1983 لفتت إليه الأنظار، وشعرنا عند صدورهما أن موهبة جيدة بدأت في الحضور..

وهنا أصل إلى أسباب اختياري لموضوع المرأة. ولكن: هل يحتاج ظهور المرأة في القصص إلى تبرير أو شرح؟ لقد قال القدماء: الأرض مؤنثة، والشمس

المرأة جاهلة، غافلة!! أما إذا كان مستوى العلم واحد، فإن المرأة تتفوق بأنها تملك الخبرة الداخلية.. تملك الممارسة الفعلية، تملك المعاناة الشخصية.

واسمحوا لي أن أقول إنني شاركت في بعض القصص في هذا الموضوع، وأنتي أجد من اللائق ألا أتحدث عن قصصي، لأن هذه الأمسية الثقافية لم تعقد لهذا الغرض، ولكني.. من باب الصدق مع النفس ومعكم.. أشعر أن اهتمامي بموضوع المرأة بدأ أصلاً من كتابتي القصصية. روايتي القديمة التي نسيته، وأعتقد أنكم نسيتموها أيضاً، فقد كانت مبكرة جداً، صدرت عام 1971، هذه الرواية: «وجوه في الزحام» بطلتها فتاة تعرضت لظلم ابن عمها، الذي خطبها، ثم فسخ خطبته، لأنه أرقى منها في حمل الشهادات، وهو موضوع عرفه المسرح عندنا، لكنني جعلت الفتاة في «وجوه في الزحام» تثار لنفسها.. جعلتها تتعلم حتى أعلى الشهادات، وترفض الزواج من ابن عمها حين رجع إليها.. طبعاً.. هذا حلم رومانسي، وأمنية تناسب تجربتي في ذلك الوقت، أما مجموعتي الأخيرة، بعنوان: «وجوهها وطن» ففي جميع قصصها.. نماذج وصور متعددة لتجارب المرأة ومعاناتها.. ولا أريد أن أتوسع في هذه النقطة بالذات، فهذه المجموعة جديدة، ووصلت كثيرًا من الأيدي، ويمكن الرجوع إليها، واكتفي بهذه الكلمات عنها، لا توقف عند قراءتي في المختارات التي رأيت أن أعرضها عليكم.

من حق اسم سليمان الشطي.. الدكتور سليمان الشطي أن يذكر أولاً، فهو قاص وناقد، وإذا لم يكن صاحب المحاولة الأولى في الكتابة عن المرأة، في قصصه، فإنه الذي نبهنا لتلك المحاولة الأولى،

وأهميتها، في كتابه الجميل: «مدخل للقصة القصيرة في الكويت»، وذلك فيما كتبه عن قصة «منيرة» التي أبدعها الشاعر خالد الفرج، وهي قصة لم تكتمل، نشرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلة الكويت سنة 1930! إن من حقنا أن نفخر بهذه المبادرة المبكرة، وأن نجد فيها سبقاً إلى فنون الأدب الحديثة، وقد لفت انتباهي حقاً ما كتبه الدكتور الشطي في تحليله النقدي لقصة «منيرة»، وهي أنها في موضوعها الاجتماعي تتحرك في دائرة الاهتمام التي كانت تتحرك فيها القصة القصيرة في العالم العربي كله تقريباً، بل إنه يحدد بدرجة أدق أن الأسلوب السائد عند كتاب القصة في تلك الفترة كان «الطرح لقضية المجتمع من خلال المرأة» ويرى كذلك.. والكلام لا يزال للدكتور سليمان الشطي.. أن دعاة الإصلاح رأوا أن حرية المجتمع وتطوره لن يكون إلا إذا تحرر هذا النصف المهم.. أي.. المرأة.

هذه مسألة مهمة جداً، لأنها تدل على أن الأدب في الكويت، حتى قبل النفط بعشرين عاماً، وهي مسافة غير قصيرة، كان متطلعاً إلى التجديد، كان قريباً جداً من الفنون الأدبية الحديثة، وهذه القصة المبكرة.. قصة منيرة للشاعر خالد الفرج.. هي فخر لكاتبها، وفخر لناشرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد، رجل الإصلاح والتنوير، وفخر لفن القصة القصيرة في الكويت.

ولكن لا نريد أن نحصر أهمية قصة «منيرة» في أنها مبكرة، أو رائدة، أو جديدة.. المهم أنها قصة جيدة من الناحية الفنية، وهذا ما يؤكد تحليل الدكتور الشطي.. فـ«منيرة» كما يقول في الصفحة 15 من كتابه المشار إليه، «فتاة جميلة خارقة الجمال من حيث الشكل والقشرة،

سواء سنة 1930 أو سنة 1996، وهو أن المرأة الجاهلة تفسد حياتها، وأن الخرافة عقيم، لا بد أن يعيث بها العلم، ويسخر منها. وفي هذه القصة إشارة ذكية جداً.. أن الزوج: عبد القادر، هرب من زوجته إلى زوجة أخرى، أو: من امرأة.. إلى امرأة غيرها، ولا أستطيع أن أحكم.. هل قدر الرجل.. أنه لا يتخلص من امرأة.. إلا بامرأة؟! لم أنه قدر المرأة ذاتها، لا يتمكن الرجل من هزيمتها.. إلا بمساعدة من تلك المرأة.. الأخرى؟!

كأنت هذه هي البداية، وهي بداية مشرفة، وقد كشف عنها لنا كتاب: «مدخل القصة القصيرة في الكويت»، ومن حق مؤلفه الدكتور سليمان الشطي أن نتوقف عند إبداعه القصصي الذي يكمل مسيرته الفنية، وأختار له من آخر مجموعة قصصية صدرت له العام الماضي، بعنوان: «أنا.. الآخر» أختار أول قصص المجموعة، وهي بعنوان: «جسد» والجسد هنا المقصود هو جسد المرأة، التي نجدها، أو يجدها الكاتب ملقاة في أحد عنابر المستشفى أيام الاحتلال، لا تجد أحدا يعتني بها، لقد ماتت بين جرحى الحرب الآثمة وحمل جسدها آخر صفعة وجهت إليها، أو إلى وطنها، ولكن هذا الجسد ذاته كان يحمل آثار عمرها القاسي، وتجاربها المؤلمة..

القصة يحكيها ابن عن أمه، وهذا المدخل الموفق جداً، كان السبب في أن عاطفة العلاقة بين الابن والام أدت إلى وصف هذه الأم بكل جميل، فالولد لا يرى في أمه غير الحنان والطيبة والرعاية، ولكن سليمان الشطي في هذه القصة لم ينظر إلى الأمومة بمنظار رومانسي، وخصوصاً أنه كتب تاريخ الأنثى في الكويت على جسد هذه الأم..

ولكن في داخلها قلباً سانحاً، وعقلاً مملوءاً بالخرافات، فإيمانها عميق بأحاديث العجائز، سريعة التصديق والانقياد، وهي أيضاً أمية، مكسال، شغوفة بالزينة، خاضعة لحكايات كرامات الصالحين وخوارق الزار!! نستطيع أن نصفها بأنها الجميلة السطحية، أو القافهة.. ولكن أتساءل: هل كانت منيرة جميلة وقافهة وفارغة، لأن «الرجل» ينظر إلى المرأة - بصفة عامة - على أنها كذلك؟ أو أنها تمثل الوعي الاجتماعي المنتشر في ذلك الحين؟ أو أن كاتب القصة فضل هذه الصورة ليعمق التناقض بين منيرة وزوجها؟ ذلك أننا نجد الزوج، واسمه عبد القادر، وهو - بالمناسبة - ابن عمها، كما هو العرف في المجتمعات الخليجية - مدمن قراءة، مثقف، يعني: نقض لزوجته، ويبلغ التناقض درجة أن يذكر الكتاب أنه يؤمن بالعلم فقط، يعني: ملحد.. وهكذا اجتمع الزار وكرامات الأولياء - مع الألحاد، تحت سقف واحد.. وطبعاً لا نتصور أن حياة هذه الزيجة يمكن أن تستمر، وهذا ما كان.. فمنيرة عقيم، لم تنجب، وهذا العقم رمزي، لأن الحياة الزوجية بين امرأة خرقاء - كما وصفها - تؤمن بالخرافات، ورجل مثقف يؤمن بالعمل، لا بد أن تكون حياة عقيمة.. بمعنى أنها غير قابلة للاستمرار..

وتنتهي القصة بأن يقرر الزوج أن ينشئ بيتاً جديداً بزوجة جديدة مثقفة، تمنحه الطفل الذي يتمناه، ويحتفظ بآبنة عمه الجاهلة يتمتع بجمالها ويضحك من سذاجتها.

هذا أول طرح لقضية المرأة، يرجع إلى عام 1930، ويبدأ به شاعر، هو خالد الفرج. والقصة بهذا التركيب ناضجة، ووضعت يدها على موضوع الوجد في المجتمع،

وتاريخ الأنثى، أو المرأة في مجتمعنا ليس رومانسياً، إنه مزحوم بالصراع، والقلق، والخوف.. من الأب، من المجتمع، من الزوج، من التقاليد.. هكذا كانت حياة هذه الأم..

كيف كتب المؤلف تاريخ المرأة على جسدها؟

يقول في وصفها:

«في جانب الوجه أثر واضح من ضربة مفاجئة، خط هلال مغروس، يتضح مداه عندما تحرك ملفعها».

وفي مكان آخر يجعلنا الكاتب نتحسس نتوءاً في رأسها لجرح آخر لم يخفه شعرها الكثيف، ونعرف - فيما بعد - أن هناك حرقاً ترك أثره في أعلى فخذها، بل نعرف أن في إحدى قدميها التواء!!

هكذا تعددت الجروح حتى شملت كل جسد هذه المرأة، الأم، ومع هذا وصفها بانها جميلة، وأن طريقتها في الكلام ذات جاذبية خاصة. وقد رسم الكاتب هذه الشخصية نفسياً بطريقة توضح السبب في كل هذه الجروح، في الوجه والراس والفخذ والقدم.. المشكلة أنها شديدة الحساسية للأصوات، تنزعج وتفقّد وعيها إذا فاجأها صوت شديد أو خشن أو صارم، لا تتوقعه. ولكن سليمان الشطي لم يقدم لنا قصة سيكولوجية.. بالطبع.. الجانب السيكولوجي موجود في القصة، وحتى اختيار الحساسية للأصوات المفزعة أو الحادة هو اختيار موفق، لأنه يناسب طبيعة المرأة التي تعشق الثثرة، ولا تتوقف عن الضوضاء، ولكن إذا فاجأها أي صوت غريب لا تتوقعه فإنها تستسلم لرد فعل قد يلحق بها ضرراً فادحاً، وهذا ما حدث!! إن الكتاب - كما

ذكرت - لا يقدم لنا شخصية المرأة سيكولوجياً.. إنه مهتم بالمجتمع.. ولذلك

كان الجرح الذي أصاب هذه المرأة، في كل مرة، سببه شيء آخر خارج عن حرصها الشخصي أو سلوكها.

في شبابها، وهي في السابعة عشرة، تطلعت إلى ابن الجيران، لم يكن الشارع أو السوق، كما هو الآن، مكان المقابلات.. كان تبادل الإشارات ما بين السطوح، أو ما بين السطح والشارع.. ذات مرة فاجأها صوت من خلفها، ألقت بثقلها على السور الطيني المبتل المتآكل، سقطت في الشارع، ألقي أحد العابرين عليها ببشت المهترئ.. وحدث التواء القدم!!

حين كبرت، وبدأ زوجها يسمح لها بالخروج لشراء بعض الأغراض، حدث مصادفة، تعارك رجلان في الشارع، قبل أن تبحث عن مهرب دفع أحدهما الآخر في اتجاهها، فحشرها في الطوفة، وحدث هذا الهلال في صدغها!!

في مرة ثالثة وكانت أمام الفرن تصنع خبز زوجها صعد أحد الجيران على السطح، وكانت جليستها أمام النار مكشوفة، فانزعجت، وسارعت لتستر نفسها، فاطبقت فخذها على الحديدة الملتهبة..

بهذه الطريقة المشوقة كتب سليمان الشطي تاريخ المجتمع، تطور الحياة في الكويت على جسد امرأة، أم، عادية، وكأنه يقول إن جسد المجتمع مملوء بالجراح.. ولكنه جميل.. أما آخر هذه الجراح فقد اقترن بالحرب، والتحرير.. لقد ماتت كل الجراح.. في الجرح الكبير.

× × ×

مرة أخرى أرى من الواجب أن أذكر بأنني لا أقصد التاريخ للقصة القصيرة في الكويت، ولم أفكر في تقديم مسح شامل لفنونها، أو حتى اختيار نماذج لجميع كتابها، والأمر لا يزيد - كما قلت

سابقاً. على أنه نوع من القراءة القائمة على الإعجاب بعدد محدود جداً من القصص التي يمكن اعتبارها علامات لهذا الفن في الكويت.

وهنا أتوقف عند جانب نادر وطريف، تنبه إليه عدد قليل من كتاب القصة الكويتيين، وأقصد تلك المرأة «الأخرى» غير الخليجية، التي تعيش في الكويت بدافع العمل، مهما كان نوعه، أو في صعبة الزوج الأجنبي. إنها صورة من صورة المرأة، تختلف في وصفها ومعاناتها عن المرأة الكويتية، وكذلك تختلف درجة ظهورها في القصة ذاتها، فهي مع تأثيرها الواضح في صنع الحدث القصصي لا تظهر شخصيتها بنفس الدرجة، وهذا الإغلام حول هذه الشخصية يناسب الوضع الذي يسمح لها المجتمع الكويتي بأن تظهر أو تختفي فيه. هنا سنجد قصة سليمان الخليفي: «يأكلون على سفرة ساخنة»، وهي القصة الأولى في مجموعته بعنوان: «هدامة» (1974) وفي القصة نجد المراتين: الزوجة الكويتية، والخادمة الهندية، منية، وبيروثا، تعلق الزوج بالهندية الخادمة، وتعلقت الزوجة بالسائق، وكشفت ابنتهما الطفلة هذه العلاقة المزدوجة في السطر الأخير من القصة، حين قالت، وهي لا تعرف أي قبيلة فجرتها بقولها لامها، أمام والدها: «أمس شفت أبوي مع الهندية، مثل يوم أشوفك مع سائقنا!!» وهنا أقول إن الاختصار على هذا السطر يفسد القصة ويظلمها، وهي قصة جيدة، ولا أعتقد أن سليمان الخليفي كتبها ليصل إلى هذا السطر الذي يأخذ شكل الموعظة، «كما تدبين تدان»، وإن كنا لا نعرف بالضبط هل الزوجة تعلقت بالسائق أو وجدت عنده ما لا تجد عند زوجها أولاً، أو أن الزوج هو

الذي تطلع إلى الخادمة الناضجة أولاً واعتبرها من ممتلكاته، ومن حقه أن يصنع بها ما يشاء، وعدم وضوح هذه النقطة يدل على أنها غير مهمة في المضمون. وإذا قرأنا القصة سنجد أن هذه الهندية من بومبي أولاً، وهذه المدينة ذات صلات قديمة مع بحارة الكويت ونواخذتها وتجارها، وبعض هذه الصلات تتعلق بالمرأة.

ونعرف أيضاً أن زوج بيروثا معتقل وأخوها قتل في نضال سياسي، وهذه الإشارة السريعة تفسر حرمان بيروثا وحاجتها إلى الحب وخضوعها لأبي براك (الزوج) حين أرادها، وتفسر أيضاً العلاقة بين القلق والاضطراب السياسي والاقتصادي وبين الهجرة والاضطراب والقلق العاطفي والنفسي. وقد استخدم الكاتب تعبيرات، رمزية طريفة، فالزوجة تنقطع سلسلة قلبها الذهبي، فتأمر بإعطاء القلب للسائق ليصلحه عند الصائغ، وفي موقف آخر تأمر بإعطاء ملابسها للسائق نفسه.. فهذه سلوكيات لها ظاهر وباطن، وتدل على حجم تداعل هذا الرجل، وقربه من نفس الزوجة.

في نفس العام (1974) كتب إسماعيل فهد قصة «الأقفاص». وهي أيضاً القصة الأولى في مجموعة: «الأقفاص واللغة المشتركة». إنها أقفاص وليست قفصاً واحداً، فمدرسات السكن الداخلي في قفص شروط عقد العمل، وضغوط المجتمع، والحرمان، والغربة. أما ابن البقال الإيراني، الذي يجلس القرفصاء أمام البقالة، وعيناه على شرفة سكن المدرسات فإنه في قفص من مستواه الاجتماعي. وغربته، والحل الممكن عند الجميع هو الحل الذاتي، عند الشباب الإيراني، والتبادل بين مدرسات السكن،

وهو شيء ترفضه المدرسة المغتربة حديثاً، ولكن القديمات يسلمن به، فليس من استطاعتن حل آخر.

في قصة «الأقفاص» رمز، طائر الحسون الذي جاء إلى الكويت هدية في قفص.. إنه يضرب جوانب القفص بجناحيه بحثاً عن الحرية، فهو رمز الحرمان، رمز الطبيعة المحبوسة. ولكن لماذا يقول إن هذا القفص جاء كهدية من الضفة الغربية؟ إن الضفة الغربية أيضاً قفص، حبس كبير، ولكن القصة ليست سياسية، والقفص مكروه، وضد طبيعة البشر الذين خلقهم الله أحراراً، سواء كانوا في الضفة الغربية أو في أي مكان.

أما الشكل في قصة إسماعيل فهد إسماعيل فقد اعتمد على أسلوب السيناريو، فالقصة من لقطات، (8 لقطات) ما بين قصيرة، وممتدة، وقد حافظ فيها على طريقتها التي نعرفها في روايات: الاعتماد على استدعاء الماضي، واللغة المركزة المختصرة. وتختلف هذه القصة عن سابقتها عند سليمان الخليلي، في أن المرأة المغتربة عربية، وليست هندية، ومدرسة وليست خادمة، ولكن شعور الحرمان مشترك بين النوعين.. أما وسائل التغلب على هذا الحرمان فتختلف حسب نوع العلاقة بالمجتمع، أو القدرة على التصرف في الحدود الممكنة، والمجتمع سواء في أسرة أبي براك، أو في شروط عقد عمل المدرسة هو المصدر الضاغط على السلوك وهو بهذا يصنع المشكلة، ويحدد طريقة حلها.

أما وليد الرقيب، في مجموعته الأولى: «تعلق نقطة.. تسقط.. طق» فإنه يلمس مشكلة المرأة في قصتين، ولكن يطرحها من زاوية حرمان الرجل أولاً. القصة الأولى بعنوان: «الفرصة الأولى.. أخيرة»

ويطرح عامل مخصص للنظام أمام إحدى دور السينما، يسمع من الرواد أن امرأة عارية تظهر صورتها في الفيلم المعروض.. يقرر أن يراها. يجتهد حتى يدخر ثمن التذكرة. يدخل ويسترخي في المقعد، لا تهمة قصة الفيلم، إنه يريد رؤية المرأة العارية.. يتأثر بجو التكيف البارد الذي لم يتعوده.. ينفس، يستيقظ على يد عامل الصالة الذي يطالبه بالخروج.. فقد انتهى الفيلم!!

أما مشكلة السكن، أو أزمة السكن بناء على ارتفاع الإيجار فقد انعكست في قصة «الضريبة» بشكل مأساوي ومضن.. إن المرض محدود الدخل يسكن مع زوجته وابنتيه في غرفة واحدة، ضمن شقة مشتركة. وهذا جعل من العلاقة الزوجية عذاباً وقلقاً مستمراً، لدرجة أنه أخذ زوجته في سيارته إلى الشاطئ، وقد اشتبهت به الشرطة، ولم يسلم من التآنيب حتى بعد إظهار عقد الزواج. لقد اهتدى إلى وضع «نوم» لابنتيه في الشاي أو العصير، قبل النوم، ليستطيع أن يكون كما يشاء دون رقيب من البننتين، ولكنه وقع في مصيدة أخرى، فقد ضبط وسجن بتهمة سرقة المخدر من صيدلية المستشفى!! والآن تعيش زوجته حرمانها من جديد، تفكر في شابين أعزبين يسكنان في غرفة مجاورة، وفي ابنتيهما، والخوف عليهما، والخوف من إدمانهما المخدر كذلك!!

إن الفقر المادي في القصتين هو المجسد لوضع المرأة في الأسرة المغتربة، وهو الأساس الذي تنفجر عنه كل المشكلات النفسية والاجتماعية.

هؤلاء الأدباء الثلاثة: سليمان الخليلي وإسماعيل فهد إسماعيل ووليد الرقيب هم الذين اهتموا بمجتمع المغتربين في

الكويت، واقتربوا من وضع المرأة في هذا المجتمع الخاص، وإن كان بين مواقفهم اختلافات بالطبع.

أما طالب الرفاعي فإنه في مجموعته: «أبو عجاج طال عمره، يهتم بعاطفة الحب الزوجي، والحب عموماً، ونظرتة إلى الحب واقعية، تفضح الزيف، وترفض المبالغة. ففي قصة: «أشياء صغيرة» نجد الزوجين، أو العروسين المتزوجين حديثاً. وهما يبالغان جداً في إظهار الحب ويوافق كل منهما الآخر على كل ما يريده، بدرجة نعتقد فيها أننا أمام قيس وليلى من العصر الحديث، ولكنها بعد عامين فقط انفصلا بالطلاق!! إن الأشياء الصغيرة - التي جعلها عنواناً لقصته، تتراكم وتتراكم حتى تصبح جداراً بين الزوجين، ولا يبقى إلا أن يذهب كل منهما في طريق. في قصة «شاشة» يعود طالب الرفاعي إلى فحص مجتمع الرفاهية، والإسراف في استخدام التكنولوجيا، ويسجل - في صورة خيالية - سلوكيات المرأة التي تستسلم لتدليل نفسها، وتعيش حياة مرفهة زائفة.. حتى علاقتها العاطفية تعيشها بالضغط على «زر» فتظهر صورة «الأخر» على الشاشة في غرفتها.. هذه صورة ساخرة، هجاء للمرأة وللرجل، وإدانة للعواطف الباردة والإثارة المصطنعة. أما قصة «مرساة» فإنها مكملة للقصة الأولى: «أشياء صغيرة» إذ تصادف الزوجين المتحابين، ثم المطلقين.. وفي هذه القصة نرى الأطفال، وقد تزوجت أمهم المطلقة، وغرق أبوه في آلام الوحدة، والحزن على أطفاله، حتى بلغ الهوس، لأنه تعود أن تكون أسرته مجتمعة حول تلك الزوجة - الأم، التي هجرت الجميع إلى زوج جديد، لأنها ملئت كل القديم!

وقبل أن أختتم هذه القراءة، في بعض نماذج وصور المرأة في القصة الكويتية القصيرة، أتمهل عند ثلاث من الكاتبات هن: ثريا البقصي، ومنى الشافعي، وليلى محمد صالح.

إن ثريا البقصي في مجموعتها الأولى: «العرق الأسود» تستلج الصور النسائية من بيئات اجتماعية مختلفة، لكنها - في النهاية - تعبر عن عذاب المرأة وشقاؤها بالحب. في قصة «يا المشموم» تقف عند «البديوية» وهي بائعة المشموم في السوق، وأسمها «العنود» وتصور طمع أبناء المدينة فيها، وكأن احتراف البيع في السوق يدل على التساهل الأخلاقي، ولكن العنود استطاعت أن تحافظ على كرامتها. إلى أن أحبها «أحمد» - مطرب السوق، وهو من عائلة كبيرة، ولكن الجنون بالفن جعله يحمل العود ويغني، لقد استهجن أسرته لتعلقه بالغناء، وزاد الاستهجان حين أعلن عن رغبته في الزواج من البديوية الجميلة. هنا تبرز منه أبوه.. وطرده، فلم يكن أمامه إلا الانتحار، في السوق نفسه، قريباً من العنود، التي كانت بدأت تحبه!!

هذه قصة رومانسية حزينة، وإذا كان الربط فيها بين الحب والموت ففي قصة «عروس القصر» يكون الحب مضطهداً بالقبح والعجز، وهو كالمت.

إن فاطمة ستزوج، وهي سعيدة بيوم زفافها، وهي تخشى شيئاً واحداً، فهي لم تشاهد عريسها، ولكنها سمعت أنه ثري، وأنه جميل كالقصر.. فاطمة فرحت بالعريس الجميل، وإن كانت تخاف من الرجل الجميل، إنه سرعان ما يمل زوجته ويشعر في البحث عن أخرى، كما تقول ثريا البقصي على لسان أخت العروس. أما المفاجأة المؤلمة، فإنه عند الزفاف ظهر

شيء، حتى رصيدها في البنك، حتى من سرق قلبها.. لكنها في النهاية تقف ضد الأسرة وترفض الاستغناء عن هذه الصديقة الحبيبة، التي نعرف.. في آخر سطر.. إنها سيارتها القديمة، إنها في هذه القصة القصيرة جداً، الجميلة جداً، نتعرف على نموذج المرأة وليس على السيارة، بالطبع.. هذا الحنين الجارف، هذا الوفاء الصافي، نموذج رومانسي كلنا نعيش جانبا من مشاعره في مراحل من حياتنا.

أصل أخيراً إلى «لقاء في موسم الورد» لليلي محمد صالح، وهي آخر مجموعة لها، وقد خصصتها لقصص الحرب والتحرير، فكل القصص تدور حول هذا الموضوع الأساسي، كذلك في قصة امرأة، هي زوجة عايدة، وهي أم، أو ابنة، أو حبيبة، في بعض القصص، وهن جميعاً في انتظار الرجال، في انتظار عودة الأسير، وإحياء ذكرى الشهيد، ليعود اسمه محمولاً على أجنحة الطيور البيضاء. المرأة في مجموعة «لقاء في موسم الورد» رومانسية بطولية، إنها لا تصرخ ولا تنهار، ولا يغمى عليها وتسقط عاجزة، إنها تودع الزوج أو الابن الذاهب للدفاع عن شرف الأرض، وهي تقسم له بأنها لن تتعطر حتى يعود، وهي تفقده كشخص في ذاته، ولكنها تتجاوز جراحها الشخصية لتشارك الوطن في فرحته الكبرى بالتحرير..

إن الرومانسية هي اللون السائد الذي صبغ لوحات وصور المرأة لدى الكاتبات الثلاث: ثريا ومنى وليلى ومع ذلك لا نستطيع أن نقول إن واحدة منهن تكرر الأخرى، فلكل كاتبة أسلوبها ورؤيتها، ونماذج النساء التي تجتذب موهبتها القصصية.

العريس الجميل الذي تصفه الكاتبة بأنه كان له وجه متغضن، كقشرة البطاطا، محاط بشعر أسود لم تجف بعد أصباغه.

الحب مضطهد، مطارد، في مجموعة ثريا البقاصمي، أما في «النخلة ورائحة الهيل» فلإنه رومانسي أيضاً عند منى الشافعي، ولكنها ليست رومانسية الحزن، إنها رومانسية الأمل، والنعمه، والثقة. هذه المشاعر القوية تظهر في أول قصص المجموعة: «النخلة.. وهو». سيارتها المتعطلة تعطيلها الفرصة لاستدعاء صورة الحبيب، تتذكر، ولكن: لماذا تتذكر وهي منفردة؟ لأن عاطفتها خافية على أهلها.. إنها لم تفتح أسرتها عن «محمد» الذي يحبها وتحبه، ولكن هذا الإخفاء ليس من ضعف، الحب عندها قوة في ذاته.. إنها تستأثر به، تخفيه في ضميرها، أما عطل السيارة فقد كان سبباً مباشراً لاستدعاء أخيها ليحملها في سيارته، وفي هذا الوقت تنوي أن تحدثه عن حبيبها.

في قصة «التخيير» ترسم منى الشافعي لوحة بارعة للمجتمع النسائي الترف الفارخ، والمجتمع الرجالي المشغول بالصفقات والأسهم وأسعار العملة، وفي المقابلة بين الصورتين تسلط الأضواء على مشكلات جانبية مثل العنوسة، والمرأة المسترجلة، والرجل الخيالي الذي يريد كل شيء على الصورة التي يتخيلها. وفي قصة قصيرة بارعة أخرى بعنوان «هي» تقوم على شخصية واحدة، هي فتاة تناجي نفسها، فهي قصة «مونولوج» وهذه الفتاة ترفض أن تستقني عن «شخص» قريب جداً منها، تتصور في البداية أنه موظفة عندها، أو صديقة لها، أو صديقة خاصة تلازمها، لأنها تعرف عنها كل

السقاف

التراث الشعري العربي

قراءة في كتاب

(الطرف في الملح والنوادر والأخبار والأشعار)

بقلم: ياسر الضهد

أتاحت لي أخيراً فرصة الاطلاع على ثلاثة من كتب الأديب الكويتي الكبير أحمد السقاف، فوجدتها أعمالاً مميزة من عدة نواح، ولكل منها نكهتها الخاصة، وإن كانت جميعها تلتقي عند عدة نقاط مشتركة أهمها تمجيد القومية العربية، وبعث التراث العربي، ولا سيما التراث الشعري، والكتابة باتجاه الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي والحض على الخير والصدق والتسامح الديني والوفاء والحكمة وغير ذلك من القيم النبيلة. وهو دائماً يوجه أدبياته إلى أبناء الضاد في كل مكان، ولا سيما الجيل الصاعد منهم، غير معترف بالحدود المصطنعة التي تفصل بلدان العرب بعضها عن البعض الآخر. أي أن اتجاهاته الأساسية تصب في المصب القومي المتحرر من القطرية الضيقة التي لا تخدم إلا أعداء العرب. وقد جاء أدبه

(الطرف) شيئاً ما يبعدهم عن الطالع في قنوات الفضاء التلفازية التي يفسد بعضها الجيل، فمسي من أجل تحقيق هذا الهدف إلى التأكيد القوي على عنصر المتعة من خلال تقديم الموعظة والمعلومة والحكمة في قالب شهوي مثير يتجلى في إيراد سلسلة واسعة من الأخبار والنوادر والطرف الفريدة. وأكثر من ذلك، فقد وعى المؤلف حقيقة ثقافية معاصرة، وهي أن شرائح عديدة من القراء أصبحت بسبب مشاغل الحياة العصرية وتعقيدات اللامتناهية ينصرفون عن قراءة الدراسات والأبحاث الأكاديمية المطولة ويفضلون بدلاً من ذلك الإقبال على قراءة مقالات (الساندوتش) القصيرة التي يستطيع القارئ التهامها بسرعة واستخلاص العبرة منها في أقصر وقت. وإذا اطلعنا على كتاب (الطرف) نجد أنه يلبي حاجات القراء من هذه الناحية خير تلبيه، لأن جميع المقالات التي يتضمنها قصيرة وراكضة وتوفر الحكمة والموعظة بلقمة واحدة سائغة، وعلى طبق (ساندوتش) لذيق.

مضمون الكتاب:

ولنستعرض الآن استعراضاً سريعاً بعض أهم مقالات الكتاب وما تنطوي عليه من مفاز ودلالات: ففي مقالة (قريش وبطونها) يعيدنا المؤلف إلى أصل كلمة قريش ومعناها اللغوي الذي انحدرت منه. فالتقريش يعني التجميع. ومن هنا جاءت قريش التي جمعها ولم شعثها قصي بن كلاب، بعد أن كانت متفرقة ومتشردة. ويورد الكتاب بعض الأخبار والحكايات المتعلقة بقريش التي كانت لها السيادة على العرب في الجاهلية فبعث الله منها رسولا للبشرية. وبعد أن كان من الشائع أنه لم

وشعره ليخدم هذا الهدف النبيل، وهذه النزعة القومية تعد سبباً من أسباب اهتمامي الشخصي بأعمال هذا الأديب المجلود.

ففي كتاب (أحاديث في القومية والعروبة) يقدم لنا صورة عن الأوضاع العربية منذ فترة طويلة من الزمن وحتى اليوم، مبشراً بالقومية والوحدة وكاشفاً الزيف الصهيوني في الصراع المصري بين العرب وإسرائيل. وفي كتاب (الأوراق) يتحفنا بالآوان من روائع الشعر العربي القديم وأطراف المساجلات والمناظرات الأدبية والفكرية التي شهدتها أروقة ديار بغداد في العصر العباسي. ويكفي المؤلف فخراً أن طباعة هذا الكتاب قد أعيدت ثلاث مرات. أما في كتاب (الطرف في الملح والنوادر والأخبار والأشعار)، الذي يستأثر باهتمامنا الرئيسي في هذا المقال، فإن الأستاذ السقاف يزودنا بصور جميلة وطريفة وفريدة من أدب الأجداد منذ أقدم العصور. وبحكم العرب والمسلمين وقيمهم الرفيعة في سالف الزمان. والمهم هنا أنه يطرق هذا الباب من زاوية النوادر المسلية والطرف اللذيذة والأخبار المثيرة والأشعار الغزيرة، لا من زاوية التلقين المضجر أو العرض الرتيب الباعث على الملل. وفي هذا الكتاب يظهر ولع المؤلف بالشعر وهيامه به، في أوضاع صورية، من خلال الاستشهادات الشعرية الغنية التي تتناثر في كل صفحة من صفحاته. ويبدو أن المؤلف قد أحس إحساساً وإعياً وعميقاً بخطورة قنوات الفضاء التلفازية التي أصبحت تشكل ضربة قاصمة للقراءة وباتت تستغرق معظم أوقات الشباب فتلهيهم عن كثير من الأعمال والقراءات المثمرة المفيدة. ومن هنا أراد أدبيننا، كما يبين في المقدمة، أن يقدم للشباب في كتاب

لهجوم من الأعداء.

ويورد الكتاب أيضا بعض الحكايات من معركة ذي قار، نقلا عن مشاهير المؤرخين، ليؤكد النتيجة نفسها.

ولاشك أن هذه النتيجة تعد ذات أهمية بالغة بالنسبة لنا، نحن العرب، وهي تدعونا بإلحاح إلى أن نتساءل بمرارة:

«لماذا لا نتعلم التضامن والتكاتف أيام السلام، كما نفعل ذلك في أثناء الحرب؟».

ويبين المؤلف في مقالة (الخطابة في الجاهلية والإسلام)، كيف أن خطب الرسول الكريم محمد (ص) والخلفاء والقادة المسلمين، قد أوجبت ضرورة حفظ هذه الخطب، مما أكسب تدوين النثر الإلحاحية كقيمة، بعد أن كان الشعر وحده يحظى بالحفظ والتدوين، لأهميته البالغة في حياة العرب، بينما تعرض النثر للضياع والاندثار.

وهكذا، وبعد شيوع الخطب وانتشارها، أصبح تدوين الشعر والنثر يسير على قدم المساواة. ويتحدث الكتاب في مقالة خاصة عن الحالات التي تكون فيها الهدايا مفيدة وضارة، ناقلا قول الرسول (ص): «تهادوا تحابوا»، وقول عمر، رضي الله عنه: (نعم الشيء، الهدية بين يدي الحاجة). والمقصود بذلك الهدية التي تفيد المهدى إليه بطريقة عملية. وبينما يشيد المؤلف بأهمية الهدايا بين الأقارب والأصدقاء، فإنه يحذر من مخاطرها على المجتمع عندما يكون الهدف منها (الرشوة) جريا وراء اقتناص مكاسب غير مشروعة، تتناقض مع المصلحة العامة. ونستطيع أن نلمس أهمية هذا التحذير، عندما نشهد في حياتنا اليومية المعاصرة أمثلة لا تحصى على استخدام الهدايا لتحقيق المآرب الشخصية النفعية، بعيدا عن الفحوى الإنسانية الأصلية للهدية البريئة التي حث عليها الرسول محمد (ص). ولا

يكن للعرب قديما سوى سوق واحدة للخطابة والصوار والتجارة وهي سوق عكاظ التي ملاصقتها الأسماك، ودوت سمعتها في أرجاء كتب التاريخ، فإن مقالة (أسواق العرب) تنفي هذه الفكرة وتبين لنا أنه كان للعرب أسواق أخرى مثل سوق (دوقة الجندل) الواقعة بين العراق وبلاد الشام. وكان العرب يقصدونها، كل أول يوم من شهر ربيع الأول، ثم ينتقلون إلى أسواق (هجر) في البحرين، ثم يشدون الرحال إلى عمان، فينزلون في (ديبي) ثم في (صحار) ثم يرتحلون إلى (قري الشحسر) في حضرموت ثم إلى (أرم) التي تقع شرقي عدن. ولا ينس الكتاب أسواق (عدن) التي كانت تعرف بصناعة الطيب الفاخر والمسك المشهور، وكذلك أسواق (صفاء). وفحوى هذه المقالة أن هذه الأسواق التي كانت منابر للمناظرة الفكرية والمساجلة الأدبية، إلى جانب دورها التجاري، ساعدت على توحيد فكر الأمة وتقريب العرب، بعضهم من البعض الآخر، وهذا هو الأهم. وفي مقالة (تضامن العرب وقت الشدة)، يدحض المؤلف المقولة التي يروجها أعداء العرب، وهي أن طبع الإنسان العربي يميل بالفطرة إلى الاختصام والاختلاف والقتال، مبينا أن العرب ما أن يتعرضوا لعدوان خارجي، حتى يرحلوا صفوفهم ويتآزروا ضد العدو المشترك. ويورد الأستاذ السقاف بعض الشواهد التاريخية للبرهنة على ذلك: فعندما أراد أعوان ملك الرومان أن يستغلوا القتال بين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وبين مصعب بن الزبير الذي ثار عليه، واشتد بينهما أوار القتال، حاولوا إقناع الملك باستغلال هذه الفرصة وشن هجوم على العرب. ولكنه رفض ذلك واقنعهم أن هؤلاء سرعان ما يهجرون الاقتتال ويتوحدون بمجرد تعرضهم

ينس الأستاذ السقاف، كعادته، أن يستشهد بالشعر في توضيح الأفكار التي يطرحها. ومن ذلك إيراد قول أحد الشعراء:

رأيت الناس طرا في الهدايا

كبيع السوق خذ مني وهات
ويؤكد المؤلف في ختام مقالته فكرة أن الهدية يجب ألا تكون على قدر المهدى إليه، وإنما على قدر طاقة المهدى.

ومن أطرف المقالات تلك التي تتعلق بموقف الشعراء من الذئاب، وتجاربهم معها. ومن هؤلاء مالك بن الربيع الذي عاصر عهد الخليفة عثمان بن عفان، وكان دائما يهاجم القوافل ويعتدي على أصحابها، مما أدى إلى نفيه أخيرا إلى بلاد فارس حيث قضى نحبه هناك. وقد حاول هذا الشاعر مرة أن يردع ذئبا اعترضه، ولكن الذئب لم يردعه، فما كان منه إلا أن ضربه بسيفه البتار، ضربة عنيفة، وتغلب عليه، حتى غدا الذئب أضحوكة أمام الذين شهدوا المعركة.

وهناك أيضا الشاعر الكوفي قيس بن عمرو، المعروف بالنجاشي، والذي عاش في عهد الخليفة علي بن أبي طالب. ومن أعماله الطريفة قصيدة يتحدث فيها عن تجربة له مع ذئب وديع ومسالم. ومنهم كذلك الشاعر الفرزدق، من العصر الأموي والذي يذكر في قصيدة له كيف صاحب ذئبا لفترة من الزمن، وظل طوال هذه الفترة يعيش في توتر وحيلة وحذر، خوفا من غدر الذئب به لأن الذئاب معروفة بغدرها.

وأخيرا يذكر المؤلف الشاعر البحري الذي مر بتجربة قتال عنيفة مع ذئب جائع حاول الاعتداء عليه، ففسد له رمية لم تؤد إلى مقتله، فهاج الذئب وماج وازداد غضبا وضراوة. ولكن الشاعر الشجاع رماه بضربة ثانية أدت إلى إرادته مورد التهلكة، فخر صريعا ومغفرا.

واضطر شاعرنا لفرط جوعه إلى إيقاد النار واشتواء الذئب. ومما قاله البحري في هذه التجربة الطريفة:

عوى ثم أقعى فارتجرت فهجته
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فاوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرة وصرامة
وأيقنت أن الأمر منه الجِدُ
فاتبعته أخرى فاضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب والحد
ففسر وقد أوردته منهل الردى
على ظمأ لو أنه عذب الورد
وقمت فجمعت الحصى فاشتويته

عليه وللمرضاء من تحته وقد
وينقلنا الكاتب بعد ذلك إلى مقالة أخرى بعنوان (الاجوبة البديهية) يورد فيها حكايات مسلية حول سرعة البديهة. مبينا أن أهل قریش كانوا أطول الناس باعاً وأعلامهم كعباً في هذا المجال.

وفي مقالة (العادل والعدل) يتحدث المؤلف بلغة الحكايات والأمثلة عن أهمية العدالة في حياة الشعوب والأمم، مفتخرا بعدالة المأمون الذي شكته امرأة يوما واحتكمت إليه ضد ابنه المعتدي، فناصرها ورد إليها حقها، معاقبا ابنه.

ويخلص الأستاذ السقاف إلى نتيجة مهمة مفادها أن الرأس عندما يصلح، يصح الصحيح، وتستقيم عنئذ جميع الأمور، وفي ختام المقالة نقرا أقوال الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل.

وقد أحسن المؤلف في اختيار هذه الأقوال التي تعد بمثابة منارة يمكن أن يهتدي بها كل قائد يسعى إلى العدل. وبعد ذلك نطالع مقالتين حول موضوعين متضاربين، هما البخل والكرم.

وفي هذا المجال يورد المؤلف العديد من الطرائف والأشعار المتعلقة بالبخل والبخلاء الذين يقضون حياة شقية في جمع الأموال ثم تباغتهم المنية ويهلكهم الردى، دون أن يحملوا معهم إلى القبر شيئا من متاع الدنيا الذي كسبوه بالتقتير على أنفسهم وعلى عيالهم. ومما ينقله لنا الكتاب أبيات أبي نواس في هجاء الفضل بين يحيى البرمكي الذي كان يعرف بالبخل الشديد:

رايت الفضل مكتئبا

يذاغي الخبز والسمكا

فأسبل دمسعة لما

رأني قداما ويكى

فلمأنا إن حلفت له

باني صائم ضحكا

أما في الجانب المقابل، فيقدم المؤلف صورا مشرقة من كرم العرب الذين كان من أجودهم حاتم الطائي وهرم بن سنان المري وكعب بن أمية الأيادي.

ومن مآثر الطائي، وهو أكثرهم شهرة، أنه كان يأمر غلامه، إذا اشتد البرد، أن يوقد النار في موقع عال قرب بيته، حتى يراها المحتاج ويقصد الدار للضيافة. وفي ذلك يقول الطائي:

أوقد فإن الليل ليل قر

والريح يا غلام ريع صر

لعل أن يبصرها المعتز

إن جلبت ضيفا فانت حر

وفي مقالة (من فكاهات العرب ونواديرهم) نعيش دقائق ممتعة مع الحجاج وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وغيرهم، ونقرأ أجمل الحكايات التي لعل أطرفها تلك التي جرت مع أبي العباس السفاح الذي خرج مرة منتزها، ووقف أمام خيمة لأعرابي فسأله هذا: ممن الرجل؟ وأجاب أبو العباس: من كنانة. ثم توالى الأسئلة والاجوبة على نحو

مثير تلخصه بما يلي:

الأعرابي: من أي كنانة؟

أبو العباس: من أبغض كنانة إلى كنانة.

-أنت إذا من قريش.

-نعم.

-من أي قريش؟

-من أبغض قريش إلى قريش

-إذا، أنت من ولد عبدالمطلب.

-نعم.

-من أي ولد عبدالمطلب؟

-من أبغض ولد عبدالمطلب إلى ولد

عبدالمطلب.

-أنت إذا أمير المؤمنين، السلام عليك

يا أمير المؤمنين.

وقد استحسن أبو العباس استنتاجات الأعرابي، وأمر له بجائزة، فهل هناك أدل من هذه الحكايا على ذكاء العرب وسرعة بديهتهم؟ وألا يستحق مؤلف الكتاب منا أكبر التقدير عندما يبعث بمثل هذه الحكايات من مرقدها المنسي في صفحات التاريخ ليطلع القراء عليها، حتى تكون أكبر شاهد على فطنة العرب التي كانت في سالف الزمان وغابر الأيام العامل الأول في انتصاراتهم وأمجادهم؟ ولسوء الحظ تبدو هذه الفطنة اليوم وكأنها قد غابت أو توارت أو احتجبت أو ربما أصابها الخدر المؤقت، على أفضل تقدير.. وإلا فكيف نفسر ما حل بالعرب في عصرهم الحديث من تراجع ونكبات، وهل كان يمكن أن يحدث ما حدث لو تحلى هؤلاء بشيء من الفطنة؟

وأقرب المقالات إلى المقالة السابقة واحدة بعنوان (من حكايات الأوائل). وهي تتضمن العديد من الأحاديث النبوية القيمة والوصايا الحكيمة والحكايات ذات المغازي الأخلاقية. ومن ذلك، قول النبي محمد (ص): «أعظم النساء بركة، أحسنهن وجوها، وأرخصهن مهورا».

أشعارهن بأنهن (هديل الصادحات في الفردوس المفقود).

كلمة أخيرة

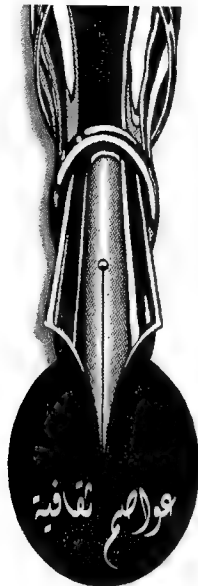
بعد أن قدمنا لمحات رакضة حول معظم المقالات التي ضمها كتاب (الطرف)، يتبين لنا أن المؤلف استطاع أن يقدم لنا المعلومة والحكمة والعظة في طبق شههي جذاب يضم باقة نادرة ومجموعة فريدة من الطرف المسلية والأشعار المختارة ذات الدلالات البعيدة والمغازي العميقة التي تغطي الكثير من أوجه حياتنا الأدبية والاجتماعية والقومية والدينية والأخلاقية. ومن الطبيعي أن ينزل الأستاذ السقاف الشعر المنزلة الأولى على صفحات كتابه لأنه هو نفسه شاعر كبير يستأثر الشعر بعقله وقلبه وجدانه، فالأشعار تكاد تشغل وحده أكثر من نصف حيز الكتاب، بينما يشغل النثر بكامل أحاديثه النبوية وحكاياته ونوادره التي تبلغ المئات أقل من نصف الصفحات. إن الصياغة اللغوية للكتاب محكمة جدا والأسلوب الأدبي مميز. وقد عمد المؤلف إلى شرح المفردات الغامضة، ولا سيما في الشعر. كما عني عناية خاصة بالتشكيل، وهذا يساعد على التوضيح والتبسيط بالنسبة للقراء العاديين الذين لا يملكون زمام اللغة العربية. كما أنه يدل على مدى ما يتحلى به المؤلف من مقدرة لغوية. وعلى أن كتاب (الطرف)، يأخذ من كل حديقة زهرة، ومن كل بستان ثمرة، ويضرب في مفاز تاريخية وتراثية وأخلاقية وشعرية ولغوية، متنوعة، إلا أن طابعه الأساسي طابع أدبي محض بكل ما تحمله كلمة الأدب من معان أصيلة.

ويرمي المؤلف من إيراد هذا القول الشريف إلى التحذير من خطورة غلاء الصداق.

ومنها أيضا وصية أم لايتها بمناسبة عقد قرانها، وقولها لها: «عليك بحفظ ماله، والعناية بعياله، والالتزام بوقت طعامه، والهدوء عند منامه، وعدم إفشاء سره، أو عصيان أمره». ونذكر من المقالات الشبيهة بالمقالة السابقة، أخرى بعنوان (طرائف متفرقة) التي تزودها بأمثلة حية مثيرة من نكاء العرب ودهانهم وسعة حيلتهم وقدرتهم على حسن التخلص من المآزق الصعبة. وفي مقالة (الآباء والأبناء) يتناول المؤلف العلاقة بين الأب والابن، وأهمية الولد الصالح، وبر الوالدين، وأخطار الزواج من الأقارب وغير ذلك من المسائل الاجتماعية والأسرية الحساسة.

ونلي ذلك مقالة عن (سكينة بنت الحسين) رضي الله تعالى عنها والتي كانت تستقبل الشعراء في مجلسها الأدبي وتحاورهم. وهناك مقالات أخرى حول صك النقود الإسلامية الذي بدأ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

وكذلك مقالة أخرى عن (عمارة) جارية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والتي اشتهرت بجمالها وأدبها وعذوبة صوتها. ومن المقالات التي تحمل مغازي سياسية واضحة واحدة بعنوان (الرجوع إلى الحق فضيلة) وفيها يتحفنا المؤلف بحكايات تبين كيف كان الناس يقابلون الخلفاء ويعرضون عليهم قضاياهم وهمومهم ومطالبهم، فيسارع هؤلاء إلى تجديدهم وإنصافهم. ومن هؤلاء سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والمأمون. وهناك مقالات أخرى حول الشعر الغزلي وشاعرات الأندلس، اللواتي يصف المؤلف



«البيان»

■ حصاد البيان

محمد الحمامصي

● القاهرة

علي الكردي

● دمشق

د. اشرف الصباغ

● موسكو

ألقت الأدبية الكويتية طيبة الإبراهيم محاضرة عن أدب الخيال العلمي تطرقت فيها إلى تجربتها الأدبية في هذا المجال حيث قدمت إلى المكتبة الإبداعية مجموعة من الروايات تشق دربا لم تنازعها فيه كاتبة خليجية أخرى فكانت لها الريادة والسبق في هذا الفن الذي يعتمد أساسا على المزج بين أحداث في الواقع واحتمالات اختراق تكوينها بفكرة ترتبط بتصورات ما فوق الطبيعة وما وراء الحلم وخيال الإنسان العادي.

وترى الأدبية طيبة أن القصص العلمية في بدء نشوئها كانت تقوم بفرض النتائج متجنبين الخوض في تفاصيل التقنيات العلمية ومع ذلك فقد أثرت الواقع العملي بتوقعاتها فظهر الكثير من الاختراعات المتبينة لأفكارها.

حصاد البريان

الرياحطة في شهر

الأدبية طيبة الإبراهيم وأدب الخيال العلمي؛

وتعرف أدب الخيال العلمي والتزاماته بأن القصة العلمية تدور الحبكة فيها حول فكرة علمية ابتدعها خيال الكاتب أي لا بد وأن تكون ثمة أرضية علمية تقوم عليها ولو بحدود تصور الفكرة العلمية وتخيّلها لكي تبتعد عن الخرافة ولا بد أن تكون خاضعة من منظورها التخيلي إلى عملية التجريب العملي والنظرة العلمية أي أن تكون بعيدة عن الغيبيات وإلا باتت قصة ميتافيزيقية.

وترى الأدبية أنه يتحتم على قاص الخيال العلمي أن يجمع ما بين الفكرة العلمية سواء أكانت متخيلة أم حقيقية وبين الإبداع الأدبي. وبذلك يحقق التعادل

لن يتكاثر إلا بالطريقة نفسها تلقيح داخل الأنثوية وهذه أول صبيحة تحذيرية تطلقها إحدى روايات الخيال العلمي رواية: «الإنسان الباهت» عام 1981 ويقصد بالعقم النوعي أنه نوع خاص من العقم أي أن يكون لدى إنسان الأنابيب مواد الإخصاب في جسمه ولكنه لا يستطيع الإخصاب داخل الرحم لأنه قادم من أنثوية.

وتستشهد الكاتبة من رواياتها بالإشارات التحذيرية وذلك في روايتها: «انقراض الرجل» التي صدرت عام 1990 من أن الرجل سوف يفقد غريزته الجنسية بعد اعتماده على الاستئناس.

وتختم الأدبية طيبة الإبراهيم محاضرتها بأن أدب الخيال العلمي قد قام بالتحذير إلى الجوانب السلبية فيما لو أخضع الإنسان نفسه لشطط التجريب المعلمي.

والأدبية طيبة الإبراهيم حاصلة على دبلوم في الرياضيات البحتة وقد فازت قصتها «سعيدة» في مسابقة وزارة الإعلام للقصص القصيرة عام 1980 ومن مؤلفاتها: ظلال الحقيقة 1979 .. الإنسان الباهت 1981 .. انقراض الرجل 1990 .. الإنسان المتعدد 1990 .. مذكرات خادم 1995 .. لعنة المال .. 1996 .. أشواك الربيع .. 1997 .. القلب القاسي 1998 .

د. مصطفى الرزاز والثقافة الجماهيرية ودورها في التنمية

وكانت الذوة التالية مع الدكتور مصطفى الرزاز رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة بجمهورية مصر العربية حيث تحدث عن تجربة قصور الثقافة في مصر وكيف مرت بعدة أطوار أساسية

بين النهجين الأدبي والعلمي لكي يكون نتاجه مقبولا لدى الجميع. بيد أن ليس في ميسور كل كاتب أن يحقق هذه الموازنة ولهذا ندرت كتابات الخيال العلمي الجادة حتى في البلاد التي تعتبر قعر التقنية العلمية.

وتحلل الكاتبة طيبة الإبراهيم أثر أدب الخيال العلمي على الفكر الإنساني حيث ساهم هذا النوع من الأدب في تسارع الحضارة وأثرت نبوءاته خيال المخترعين والعلماء والدليل على ذلك أن كل ما تنبأ به أدب الخيال العلمي تحقق بصورة شبه مطلقة. وذلك مثل رواية جول فيرن: «من الأرض إلى القمر» في أواخر القرن الثامن عشر ورواية جورج ويلز: «أول إنسان على سطح القمر» قد تحققتا بنزول أول إنسان على سطح القمر عام 1969. وأما آرثر كلارك فقد تحدث في إحدى رواياته عن ظهور الأقمار الصناعية للاتصالات وقد صدقت نبوءته.

وتختم محاضرتها بمدى القاشدة التي قدمها أدب الخيال العلمي للإنسان حيث قاد الفكر الإنساني نحو الرقي وإسهاماته الإيجابية بدفع الانطلاقة الحضارية إلى الأمام وبشر بمعظم إنجازات العصر فأثرى خيال المخترعين وبذلك عمل على تسارع الإنسانية بإشاراته المتوالية نحو مسار التطور والإبداع.

وأشار أدب الخيال العلمي محذرا إلى ما قد ينتج من مضاعفات سلبية لبعض جوانب التقنية العلمية عند المضي قدما في إجراء التجارب العلمية على الإنسان في عمليات تحسين النوع فنصح بعدم الشطط وحذر من ظهور إنسان معدل يكون اشتقاقا للإنسان الحالي. ومن نبوءات أدب الخيال العلمي أن إنسان الأنابيب سيكون مصابا بعقم نوعي وأنه

الثقافية إشباع الحاجات الأساسية للاستمتاع بمصنفات الفنون التقليدية والمعاصرة بكل أشكالها وتواصل المبدعين في العواصم الكبرى بأقرانهم في المناطق النائية من خلال عملية التدوير الثقافي لتلك المصنفات الإبداعية لتحقيق التفاعل والتغذية المتبادلة.

ويشرح د. الرزاز مجالات هيئة قصور الثقافة بأن هناك المسابقات المركزية والمحلية في مجالات الشعر والقصة والرواية والمسرح والدراسات النقدية. وهناك المؤتمرات الأدبية ونوادي الأدب التي تضم مجموعات كبيرة من الأدباء والشعراء والموهوبين. وكذلك المكتبة حيث يوجد حوالي 548 مكتبة ومخيمات للقراءة ومكتبات بالمستشفيات والسجون ومطبوعات ترسل للتجمعات العربية في الغربية. وأيضاً الفنون الشعبية التي تمثل الجذور الثقافية الأصيلة للهوية العربية والمصرية وتقوم بدعم هذه الأنشطة: إنشاء فرق للفنون الشعبية وفرق الآلات الموسيقية والغناء الشعبي ووصل عدد الفرق إلى 56 فرقة.

هذا بالإضافة إلى الثقافة السينمائية وثقافة القرية والموسيقى وثقافة الطفل ورعاية المواهب والطبوعات والدوريات الخاصة بالأدب والشعر والمسرح والفن التشكيلي والموسيقى وأدب الأطفال وثقافة المرأة حيث الاهتمام بإعداد دراسات ميدانية عن الاحتياجات الثقافية للمرأة المصرية تشمل جميع الشرائح الاجتماعية لمختلف المراحل العمرية في الريف والحضر. وإنشاء شبكة معلومات عن المرأة المصرية وإلقاء الضوء على المهارات اليدوية الدافعة لرفع مستوى المعيشة من ناحية وللحفاظ على التراث الشعبي من ناحية أخرى.

ففي عام 1945 بدأت تحت مسمى الجامعة الشعبية وكانت تتبع حينئذ وزارة المعارف وتعتمد على تدريس الدراسات المهنية والنظرية وإلقاء المحاضرات للراغبين دون التقييد بسن أو شهادة أو امتحان.

وفي عام 1955 نقلت الجامعة الشعبية إلى وزارة الثقافة والإرشاد وتغير اسمها إلى جامعة الثقافة الحرة. وفي عام 1959 أنشئت الإدارة العامة للثقافة الجماهيرية وقد اعتمدت على إنشاء مجموعة من قصور الثقافة متعددة الأنشطة بالإضافة إلى القوافل الثقافية حتى تصل الخدمة الثقافية إلى الجماهير في الأماكن النائية.

وفي عام 1966 صدر قرار جمهوري بتحويل الثقافة الجماهيرية إلى وكالة وزارة. وفي عام 1980 صدر قرار جمهوري بنقل أجهزة الثقافة الجماهيرية إلى المحافظات وأنشئت لأول مرة مديريات ثقافية بالمحافظات. في عام 1989 صدر قرار جمهوري بتحويل الثقافة الجماهيرية إلى هيئة عامة ذات طبيعة خاصة تحت مسمى: الهيئة العامة لقصور الثقافة كما تغيرت تسمية مديريات الثقافة إلى الفروع الثقافية والتي تخضع لإشراف خمسة أقاليم ثقافية كل إقليم يشرف على عدد من الفروع الثقافية بالمحافظات.

ويعرف د. مصطفى الرزاز التنمية الثقافية وأهميتها بأنها من أهم ركائز التنمية البشرية في المجتمعات المتحضرة إذ تستهدف رفع الوعي وتقبل الرأي الآخر والتغيير من أجل التقدم وللمسك بالهوية مع الوعي بالخطاب الإنساني.

فالمعمل الثقافي ميدان للتدوير والازدهار لأنه استثمار في مضممار الإبداع حيث اكتشاف المواهب وتنميتها وتغذية شجرة الثقافة بروافدها المبدعة. كما تتيح التنمية

الصرعاوي ورحلته مع الكتاب

وغيرهم من شعراء الحكمة والقول الحسن.

ويبدو الصرعاوي في سيرته يشعر بالحنين الجارف إلى هذه الأيام الجميلة التي شكلت أحاسيسه وتلونت فيها مشاعره بنغم الحب والتعاطف مع المدرسين والناس والأصدقاء.

وقد أورد أحد الوقائع التي ساهمت في رقي مشاعره وتأثره حين جلس يكتب رسالة تملئها عليه امرأة مسكينة تركها زوجها وسافر وهي وحيدة تستعطفه في الرسالة أن يساعدها أن تجد ما تسد به رمقها ورمق عيالها. وأخذ الصرعاوي يبكي والام المسكينة أيضاً تبكي. وشعر بالأسى لحال المرأة وانتحابها أمامه وأولادها الجوعى الذين جاءوا ليكون أيضاً. وفي المدرسة المباركية انفتحت حياة جديدة أمام الصرعاوي فقد اتجه للبحث في مجلدات الرسالة التي كانت موجودة في مكتبة المدرسة ويقول: فوقفت على مقالات وبحوث رجال التنوير المعاصرين أمثال العقاد وطه حسين والمازني والزيات ومحمد مندور وسلامة موسى وأحمد أمين فاتسعت مداركي وبدأت أستطعم معنى البحث والقراءة.

وقرأ أيضاً في المكتبة لابن بطوطة وحي بن يقظان والعقد الفريد وداثر المعارف لمحمد فريد وجدي وكتاب المستطرف في كل فن مستظرف وغيرها من الكتب. ثم اتجه الصرعاوي بناء على نصيحة أحد مدرسيه بالاطلاع على كتاب تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد وكتاب صفحات من تاريخ الكويت ليوسف بن عيسى القناعي ويقول عن هذه الكتب:

ولئن كان قد قيد بحق بأن كتاب الجبرتي عن تاريخ مصر قد حفظ الكثير من وقائع وأحداث التاريخ فإن هذا القول

وكان اللقاء مع الأستاذ عبد العزيز الصرعاوي رئيس مجلس إدارة رابطة الاجتماعيين في جلسة حوارية عن رحلته مع الكتاب وقد تميزت جلسته بالطرافة والتشويق مما دعا الحضور إلى رغبتهم في الالتقاء به مرة أخرى في جلسة قريبة وقد وعد الصرعاوي أن يلتقي مع جمهوره من المثقفين والأدباء ومتذوقي الأدب مرة ثانية لحديث عن لقاءاته مع كبار الأدباء في مصر أثناء فترة دراسته لما فيها من حكايات طريفة ومواقف نادرة وانفتاح ذهني على مصر الأربعينيات والخمسينيات خلال تلك الفترة.

تحدث الصرعاوي في البداية عن دراسته في مدرسة حمادة الأهلية وتعلم القراءة والكتابة والحساب وقواعد العربية. وتأثر بالقرآن الكريم وحفظه وكان له في نشأته ما ساعده على استقامة اللسان ويقول: القرآن هو الملهم لي في التعبير عن الذات وخلجات النفس ومكنون الضمير.

فكان كتاب الله أول الكتب التي تركت أثراً جميلاً في نفس الصرعاوي ثم جاء كتاب جواهر الأدب للهاشمي ويقول عنه: إن هذا الكتاب مازلت أذكره وأرجع إليه بين الحين والآخر فهو أثير عندي وأستذكر الخطب والنصائح والأشعار التي كان يقررها علينا أستاذنا الألمي المتميز بذوقه وحفظه للشعر وحسن إلقائه له وإجادته في اختياراته مع تشجيعنا على حسن الإلقاء والحفظ للقصيد والخطب عن ظهر قلب. ذلك هو المغفور له الأستاذ أحمد راشد حمادة.

وتأثر أيضاً الصرعاوي بقصائد الإمام الشافعي وابن الرومي وأبي العتاهية

● عصر التطرف:

كتاب جديد صدر عن دار الساقى في لندن للدكتور محمد الرميحي يحذر فيه الكاتب من مغبة التطرف الذي أصبح سمة العصر في كل شيء من مجالات سياسية ودينية وصحية وفنية وثقافية وأيضا في مجال الكون والطبيعة يمتد التطرف ليشمل كل هذا.

● كشف مجلة دراسات الخليج:

صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض هذا الكتاب الذي يحتوي على حصيلة جهد 15 سنة من إصدارات المجلة ليقدمها للمثقف والقارئ العربي وللباحث بشكل خاص تسهيلا لهم جميعا للاستفادة مما نشرته المجلة منذ عام 1984 إلى 1994 وتضمن كشافا تاما للمجلة وكشافا للمؤلفين وآخر للموضوعات التي ظهرت في أعداد المجلة خلال تلك الفترة الطويلة.

● الطب الشعبي في الخليج

صدر عن مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون في قطر هذا الكتاب لمؤلفه دكتور نبيل صبحي حنا ويعرض بشيء من التفصيل الطب الشعبي وأساليبه في منطقة الخليج ويتعرض للعلاج بالأعشاب والكي والاعتناء بجسم الإنسان في التراث الشعبي.

والكتاب حصيلة جهد أشرف عليه وقام بالبحث الرئيسي به د. نبيل صبحي وجهاز للعمل المكتبي والميداني مجموعة كبيرة من الباحثين في هذا المجال.

● امرأة بلا سواحل:

صدرت الترجمة الفارسية لديوان امرأة بلا سواحل للشاعرة الكويتية

يصدق أيضا على كتابي عبدالعزيز الرشيد ويوسف بن عيسى في حفظهما لنشأة تاريخ الكويت.

واكتفى الصرعاوي بهذا القدر من رحلته مع الكتاب ووعد أن يستكمل الجولة الأخرى وهي عن بعثته إلى مصر والتحاقه بمدرسة السعدية الثانوية ثم كلية الحقوق في الجلسة القادمة.

2- متابعات ثقافية شهرية

تبدو حصيلة شهر مارس في الكويت زاخرة بالمطبوعات الجديدة والمهرجانات الثقافية والندوات، ونستعرض هنا أهم الكتب التي صدرت والأخبار الثقافية:

● حقوق الإنسان عند المسلمين والمسيحيين واليهود:

كتاب جديد للدكتور سامي عوض الذيب صدر عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت حيث يقدم الكاتب دراسة في علم الاجتماع تتناول النظرة الموضوعية لجماعات وأفراد عاشوا أو مازالوا يعيشون في زمن ومكان جغرافي محددين يلقبون أنفسهم ويتعارفون بين بعضهم على أنهم مسيحيون ومسلمون ويهود وقد تختلف تصرفاتهم وأفكارهم اختلافا شاسعا في أمور كثيرة وهم في بعض الأوقات متضامنون فيما بينهم وفي بعضها الآخر متناحرون.

والدكتور سامي الذيب من مواليد فلسطين ودرس في سويسرا ويعمل أستاذا في المعهد السويسري للقانون المقارن وصدر له من قبل كتاب ضخيم بالفرنسية حول المسلمين وحقوق الإنسان.

ولإعداد المسودات وترتيب القصائد حتى
ظهر الديوان في أبهى صورة ليعيد قصة
البحار وأسطورته.

● النواخذة:

رواية جديدة صدرت عن دار المدى
تبحر فيها الكاتبة فوزية شويش إلى
أعماق التراث البحري الكويتي لتقف أمام
الإنسان صانع الغد ومؤسس الحضارة
والمطلع دوماً إلى الشمس يحدق فيها
بعيون ثابتة. الرواية مزيج من لغة النثر
الشاعري والعواطف الدافئة
والاحاسيس الرقيقة.

● الموسوعة الشعرية الإلكترونية:

من إصدارات المجمع الثقافي في أبو
ظبي هذه الموسوعة التي تضم مئة
وثمانين ألف بيت من الشعر لكبار
الشعراء العرب مثل المتنبي وأبو فراس
الحمداني وأبو نواس والفرزدق وجريز
وطرفة بن العبد وغيرهم.
وفي البرنامج معلومات كاملة عن
سيرة الشعراء وحياتهم وأعمالهم
وعرض للقصائد مرتبة حسب القوافي.
والموسوعة إضافة مهمة لخدمة التراث
العربي وتهدف بالطبع إلى تسهيل أدوات
البحث للدارسين والباحثين والمهتمين
بالتراث العربي.

● إصدارات من رابطة الاجتماعيين:

أصدرت رابطة الاجتماعيين مجموعة
من الكتب تمثل نشاطاتها الفكرية
والاجتماعية مدى علاقتها بالمؤسسات
الثقافية والاجتماعية الأخرى في الكويت
وخارجها. والإصدارات من تأليف رئيس
الرابطة عبدالعزيز الصرعاوي ومنها:
التحديات المستقبلية للأمن الوطني

د. سعاد الصباح وذلك عن دار انتشارات
دستان للنشر في طهران. والكتاب من
ترجمة فرهاد فرامرزي الذي حرص على
وضع النصين العربي والفارسي متقابلين
لخدمة الدارسين بلغة بلاده والمستشرقين
الأجانب.

● تفضيلات الاختيار الزواجي ومعوقاته في المجتمع الكويتي:

هذا هو عنوان حولية كلية الآداب
بجامعة الكويت الثامنة عشرة «الرسالة
الخامسة والعشرون بعد المائة» من تأليف
د. خالد أحمد مجرن الشلال بقسم
الاجتماع بجامعة الكويت.

● فرسان الصمت:

رواية للكاتبة خلود الشارخ صدرت في
الكويت تصور فيها نماذج الحياة
الاجتماعية في مواجهة تيارات المادة
والافكار الجديدة وذلك من خلال تصوير
مشاعر وأفكار أسرة عربية. وهذا هو
العمل الأدبي الأول للكاتبة.

● طقوس الاغتسال والولادة:

صدر عن دار سعاد الصباح للنشر
ديوان الشاعرة الكويتية د. نجمة إدريس
حيث تخلق الذات الشاعرة في فضاءات
من الوجد والحب والحنين وتعاين الروح
رفة الذكريات وخفقات القلب الحالم بعالم
أكثر رقة وشفافية.

● خرائط البرق:

ديوان شعري جديد للشاعر الكويتي
الراحل محمد الفايز. صدر الديوان عن
شركة الربيعان للنشر بالكويت وأعدت
هذه القصائد ابنة الشاعر وبذلت جهداً
كبيراً في تنسيق أوراق الشاعر الراحل

الخامس في الفترة من 13-19 مارس 1999 كعادته كل عام واشتمل المهرجان على معارض وأمسيات شعرية وندوات ثقافية. وشارك مجموعة كبيرة من الشعراء والأدباء والمفكرين ومنهم د. خلدون النقيب والمهندس محمد البصريي رئيس تحرير مجلة المجتمع، ود. عبدالله الجنفراوي حيث شاركوا في ندوة الثقافة والديمقراطية، وعقدت أيضا ندوة تحت عنوان: الإصلاح الاقتصادي والمالي في الكويت تحدث فيها الأستاذ عبدالوهاب راشد الهارون عضو مجلس الأمة ود. فهاد الحربي. واحتوى المهرجان أيضا على مجموعة معارض منها: معرض الكتاب و معرض السدر ومعرض الفنون التشكيلية.

● مجلة الثقافة العالمية العدد 93:

صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مجلة الثقافة العالمية التي تعنى بنشر الدراسات والمقالات الأدبية والعلمية المترجمة. وفي مقدمة العدد كتب د. محمد الرميحي عن أهمية الديمقراطية والصعاب التي تواجهها في العالم الثالث وأن نجاحها في مجتمع ما يتطلب توافر مجموعة من الشروط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منها وجود طبقات وسطى قوية تدفع ضرائب الدخل لتمويل مؤسسات المجتمع ومؤسسات مدنية ومستوى تعليم مرتفع وحل ناجع للمشكلات العرقية والقبلية.

وقد جاءت عناوين المقالات والدراسات كالتالي: هل كانت الديمقراطية مجرد لحظة؟ الثقافة الشعبية والعولمة. أينشتاين والجذور الثقافية للعمل الحديث. علم الكونيات في عشرة أسئلة. الأدب الروسي في العقد الأخير. آداب أميركا

الكويتي وكيفية مواجهتها بوحدةنا الوطنية. الهيئات الاجتماعية الأهلية وأهميتها على المستوى المحلي والخارجي. حول المؤتمر الدولي للمنظمة الإقليمية لآسيا والباسيفيك. حول التقرير الأول للتنمية البشرية في دولة الكويت لعام 1997. التقرير الختامي للندوة التدريبية لمشروع التطوير الإداري والبناء. الكويت والمجتمع المدني مجموعة محاضرات الموسم الثقافي الرابع والعشرين لرابطة الاجتماعيين.

● سلسلة أدباء خليجيون:

ضمن سلسلة أدباء خليجيون التي تصدرها المؤسسة العربية للدراسات والنشر جاء العدد الخامس حول الشاعر العماني: عبدالله الطائي من تأليف الباحث د. محمد سرحان. ويبدأ الكتاب بمقدمة إبراهيم العريض ثم مقدمة المؤلف وستة فصول حول النشأة والمكونات الثقافية والأعمال الشعرية. وهذه السلسلة صدر منها من قبل عن إبراهيم العريض وغازي القصبي وآخرين.

● حبيبات من دمع:

جاء هذا الديوان للشاعرة البحرينية سليمة التيتون. الذي صدر عن دار الناظمة في البحرين. متوهجا بحنان الأمومة ودفقات العاطفة التي تحتشد في كيانها انفعالات شتى وتأثر بكل عناصر الكون. واحتوى الديوان أيضا على لوحات تشكيلية أضافت عنصرا من عناصر الجمال والمتعة الفنية لذهن وعين المتلقي.

● مهرجان الجهراء الثقافي الخامس:

في إطار الاحتفالات الثقافية خلال هذه الفترة أقيم مهرجان الجهراء الثقافي

الجمعية الكويتية للدراسات والبحوث التخصصية والكتاب يحتوي على مجموعة من الصور والخرائط والرسوم والكتابات التاريخية والجغرافية.

ويبحث الكتاب في المواضيع والمواقع والأمكنة التاريخية في الكويت ويعتبر المؤرخ والكاظم فرحان عبدالله أحمد الفرحان أحد أبرز الباحثين النشطين في مجال التاريخ والجغرافيا في القديم وأحد الذين وضعوا بصمات لتحليل الأسماء في الكويت على مر التاريخ.

• نساء شهيرات من نجد:

كتاب من تأليف د. دلال مخلد الحربي يشمل اثنتين وخمسين امرأة من اللاتي عشن في نجد خلال الفترة من بداية القرن الثاني عشر الهجري إلى وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله عام 1373 هجرية.

• فتح باب الترشيح لجائزة البابطين الشعرية:

أعلنت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عن فتح باب الترشيح لدورتها السابعة والتي أطلقت عليها: دورة (أبو فراس الحمداني) ودعت من يرغب بترشيح نفسه للجائزة إرسال طلبه إلى مكاتب المؤسسة في كل من الكويت والقاهرة وعمان وتونس.

وقد توزعت الجائزة على النقد الشعري وأفضل ديوان شعر وأفضل قصيدة. وجائزة الإبداع في نقد الشعر تبلغ قيمتها أربعين ألف دولار، وجائزة أفضل ديوان شعر تبلغ قيمتها عشرين ألف دولار تمنح لصاحب أفضل ديوان شعر، وأما جائزة أفضل قصيدة تبلغ قيمتها عشرة آلاف دولار تمنح لصاحب أفضل قصيدة منشورة للمرة الأولى في

اللاتينية السحرية. توني موريسون التجربة القصوى. وهناك المزيد من البحوث والدراسات.

• بعد السقوط. الثعالب الصغيرة «المسرح العالمي العددان 304-305»:

ضمن سلسلة المسرح العالمي التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت نقراً مسرحية «بعد السقوط» من تأليف آرثر ميللر وترجمة وتقديم محمد الأسعد ومراجعة محمد يوسف.

وقد فسر المترجم دلالة السقوط بأنها مستمدة من مرجعية خاصة وتعني بعد هبوط الإنسان من الفردوس وتعني أيضاً توقيع العقاب الذي ألم بالبطال الأسطوري اليوناني برومئثيوس حين تجرأ ومنح البشر شيئاً من المعرفة فأوثقته الآلهة إلى جبل وعهدت إلى نسر ينهش لحمه وتعذيبه إلى الأبد.

مثل هذه المرجعية التوراتية واليونانية هو الذي يعطي لفظة السقوط دلالتها الاصطلاحية في الثقافة الغربية وهذا هو ما نبه إليه آرثر ميللر في مقدمة المسرحية. أما عن مسرحية «الثعالب الصغيرة» التي جاءت في كتاب واحد مع «بعد السقوط» فهي من تأليف ليليان هيلمان وترجمة وتقديم الطاف عبدالعال ومراجعة د. أحمد البكري. والمؤلفة من رواد المسرح الأمريكي وهذه المسرحية تلقي الضوء على الآثار المدمرة الناجمة عن الحقد والجشع. وحقت للمسرحية نجاحاً مرموقاً حين تحولت إلى فيلم سينمائي.

• المواضع والمواقع في الكويت:

صدر للمؤرخ فرحان عبدالله أحمد الفرحان هذا المعجم ضمن إصدارات

إحدى المجلات الأدبية أو الصحف أو الدواوين الشعرية أو في كتاب مستقل خلال العامين 1998 - 1999. وآخر موعد للترشيح تاريخ 31 / 10 / 1999.

• مهرجان الطفل الثقافي الرابع في الكويت؛

أقيم في الفترة من 15 - 25 مارس 1999 هذا المهرجان الذي ينظمه كل عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب تحت رعاية وزير الإعلام يوسف السميث من واقع الاهتمام بالطفولة والارتقاء بمواهب الأطفال وفتح المجالات الإبداعية لممارسة ابتكاراتهم والتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم وتنمية الميل للقراءة والاطلاع وذلك من خلال معارض الكتاب والندوات والأمسيات التي يريدها الأطفال.

ويقول الأمين العام للمجلس الوطني د. محمد غانم الرميحي إن المهرجان هذا العام احتوى على مجموعة من النشاطات الثقافية والعلمية والترفيهية التي حرصنا على أن تترافق جنباً إلى جنب لتقديم جرعة مكثفة من التواصل المعرفي والتقني مع عالم الطفل المحيط به فالكتاب والمسرح والموسيقى إلى جانب العلوم والمرحة والكمبيوتر والرسم مع روح المسابقات والترفيه تقدم ثقافة بديلة للطفل أخذت في اعتبارها التوجيه الاجتماعي والتربوي والوطني. وكان المهرجان متميزاً بما أضافه من

تواجد الشخصيات الكرتونية المحببة للأطفال والفرقة الموسيقية والغناء بين مجاميع كثيرة. ثم كان هناك تواجد لنادي الكويت للسينما لعرض مجموعة من الأفلام المتميزة وفق جدول منظم يومياً. وشاهد الأطفال معرض الكويت بين الأمس واليوم لتعميق الارتباط بالتراث الكويتي الوطني. ثم شارك الأطفال في معرض الرسم من خلال المرسوم الحر بالإضافة أيضاً إلى مسابقات في الكمبيوتر عن أجمل وأفضل رسالة إلى أسرتي ومسابقة العزف والغناء لاكتشاف المواهب ومسابقة في القصة القصيرة لرعاية المواهب الأدبية. كما دارت حلقات نقاشية بعنوان: نحو مستقبل أفضل: عبر فيها الأطفال عن بعض أفكارهم وطموحاتهم. وكانت هناك الندوة الوطنية لثقافة الطفل والحاسوب حاضر فيها د. حمود السعدون ود. زياد نجم.

• برنامج ندوات الملتقى العلمي الرابع عشر؛

في إطار هذا البرنامج السنوي والذي خصصت له الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ندوات شهرية. كانت ندوة شهر مارس تحت عنوان: جيروم برونز والتنشئة اللغوية للطفل. وألقت هذه المحاضرة د. فيولا ألبيلاري التي لها كتابات متميزة في ثقافة الطفل وتنشئته السليمة.

حشد كبير.. وفاعلية أقل!

في دورته الحادية والثلاثين، حشد معرض القاهرة الدولي للكتاب عددا كبيرا من الكتاب والمفكرين والشعراء والموضوعات والقضايا ودور النشر والكتب.. لكنه ظل غير قادر على حسم قضايا جوهرية فيما يتعلق بالثقافة المصرية والعربية على السواء.. فكما تكررت محاوره، تكررت أيضا شخصوه وأفكاره وآراؤه.. حتى شعراء أمسياته

معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الحادية والثلاثين

رسالة القاهرة: محمد الحماص

تكرروا، وندرت الأعمال التي تستحق من زائره التجول في سراهيه السبع ودكاكينه الكثير الممتلئة بالكتب.

ومع ذلك ظل فرصة للالتقاء والحوار بين مختلف التيارات والاتجاهات، وقد أثيرت خلاله الكثيرة من القضايا، على سبيل المثال، المتعلقة بالشعر والرواية، ليستبك المحافظون مع المجددين، والكلاسيكيون مع الحداثيين، وبعيدا عن قضايا الكبرى التي كررها خلال السنوات الخمس الأخيرة سوف نحاول التقاط المعطيات الجديدة.

من الندوات المهمة، تلك التي عقدت لمناقشة كتاب الفكر الأمريكى فرانسيس فوكوياما «نهاية التاريخ»، وفيها قال حسين أحمد أمين مترجم الكتاب إلى اللغة العربية: إن الأحداث التي توالى بعد صدور الكتاب أثبتت خطأ ما جاء فيه، كما

لكنها القطيعة مع ما استنفد من هذا التراث.

ولذلك جميع الرافضين لهذا التيار في كل التاريخ صاروا كلاسكيين، مثل رامبو، بودلير، وطموح الصديت هو أن يصبح كلاسكيًا، وإمكانية صيوريته كلاسكيًا هي معيار حدائته وعمقها، والكلاسيكية لا تعني مجرد الوزن والتفعية، بل هي النتاج الشعري الذي حقق ذروة جمالية ورؤية لا تستنفد.

فالشعر الكلاسيكي هو الذي لا يستنفد، لا من حيث علاقته بالكلمة، ولا من حيث قيمته الجمالية، فكل حدائة هي في البدء مطمح أن تكون كلاسكيّة، مع التشديد بالأ تفهم الكلاسيكية على أنها الاتباع والمؤسسية.

وفي لقائه المفتوح مع جمهور المعرض (ضمن برنامج المقيى الثقافي) قال أنونيس عن رؤيته للحدائة: هناك التباس حول الحدائة، الحدائة ليست شكلا ملموسا له صفات دقيقة معينة، بل هي نوع من الرؤية والموقف، وهي تأخذ قيمتها من النصوص التي تقرأ، فهناك نصوص قديمة أجمل من النصوص الحدائية. الحدائة مسألة نسبية، فهي في الغرب مثلاً صفة سيئة، لكنها عندما تحمل معنى إيجابيا بالقياس لتراثنا وأوضاعنا وسياقنا الثقافي.. فالجراة والاختراق والتجاوز في سياق مجتمعنا شيء إيجابي بالقياس لتراثنا وأوضاعنا وسياقنا الثقافي وهو سياق تقليدي.. لكنها في سياق آخر لم يعد لها معنى، فهي موضع نقد في المجتمع الغربي، لذا يجب أن نركز على هذا النص الذي نسميه حدائيا.. وإني أتساءل هل يمكن أن تنشأ حدائة أدبية وفنية في مجتمع مختلف؟

ن المؤلف تراجع عن هذه الأفكار، ويكتاب «نهاية التاريخ» يعد مثل آلاف الكتب الهامشية الصادرة من قبل، ومثل الصواريخ التي يلهو بها الأطفال، لها وميض يستمر ثوان، ثم ينتهي إلى الأبد.

وأضاف: ووقت صدوره كان الغرب قد امتلأ استعلاء عقب سقوط الاتحاد السوفيتي والأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية، وفي هذا المناخ، جاء فوكوياما ليؤكد أن التاريخ قد انتهى، بعد أن حقق الغاية المنشودة، وبعد أن وصلت الليبرالية الديمقراطية والحرية والمساواة إلى قمته، وستظل إلى الأبد.

وأكد د. نسمة البطريق أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة أن الكتاب يثير الكثير من القضايا والمفاهيم حول التراكم التاريخي في مجالات الشيوعية والليبرالية، وموقف المفكرين من هذا التراكم.

وفي ندوة «وسائل المستقبل في نشر الثقافة» قال الإعلامي حمدي قنديل: إننا نعيش ولأول مرة مرحلة مواجهة مع جيل يعلم الآباء فيما كان الآباء يعلمون الأبناء سابقا.. وذلك في إشارة واضحة لما أصبحت عليه وسائل الاتصالات من قوة تشكل ملامح العالم في المستقبل..

شهادة أدونيس

وفي شهادته ضمن البرنامج الرئيسي للمعرض قال الشاعر السوري الكبير أدونيس: حين يقال عند الحديث عن التجارب الحدائية عن القطيعة المعرفية مع التراث، أعتقد أن هذا كان يساء فهمه، لأنه يستحيل إيجاد قطيعة كاملة مع الماضي أو التراث، بل مع مستويات منه: فنحن مندمجون بماضينا، باللغة التي نتحدثها،

الشرق والغرب

ومعوقات التفكير الحر»، والتي أقيمت ضمن برنامج «المقهى الثقافي»، عدة تساؤلات كان أهمها سؤال د. نبيل عبدالفتاح: هل يمكن الحديث عن رأي عام وقياسات في ظل بنيات تشريعية وإدارية وأمنية تشكل عائقا يحول دون تبلور الآراء والاتجاهات والأفكار والمواقف إزاء سياسات وأفكار ورؤى وأزمات وظواهر.. الخ، هل يمكن الحديث عن رأي عام في ظل أنماط من الدولة التسلطية حتى في ظل إصلاح اقتصادي أو خصخصة؟ هل يمكن أن يتبلور رأي عام في ظل سوق اقتصادية مفتوحة وسوق سياسية مغلقة، بل وسوق لغوية تتسم بالجمود والتكس وعدم القدرة على التعبير عن الذات؟

وأضاف د. نبيل: إن الأنساق اللغوية والدلالية السائدة تنتج عالما قديما، فجمود اللغة السياسية والاجتماعية والثقافية يؤدي إلى إعاقه إنتاج التنوع الذي ينتج ويساهم في إنتاج الرأي العام في أي مجتمع، وعلى هذا فالمجتمعات التي تسودها الثقافة الماضية والسلفية، بين الماضية والحداثيّة تؤدي إلى إنتاج تناقضات وتشوهات لا تساهم في بلورة اتجاهات رأي عام.

الانتماء إلى الأدب

الكاتبة المصرية التي تكتب بالإنجليزية أهداف سسوف علقت على الندوة التي خصصت للحوار معها على تساؤل مهم حول انتمائها الأدبي فقالت:

بالنسبة لانتمائي الأدبي إلى العرب أم إلى الغرب، أرى أن ذلك يرجع للنقاد، وأتصور أن عملي هو أن أكتب الرواية أو القصة بأحسن ما أستطيع من تقنيات،

المستشرقة الألمانية أنا ماري شيميل من الرموز الفكرية المهمة التي قربت بين الشرق والغرب منذ سنين طويلة، وقد أقيمت لها ندوة خاصة تحدثت فيها عن دورها في دعم العلاقة بين الشرق والغرب عبر ترجمات مهمة إلى الألمانية من التراث العربي القديم.. قال شيميل: الاستشراق ليس بالضرورة مرادفا للاستعمار، مع أن ما كتبه المفكر الفلسطيني إدوار سعيد في نقده للاستشراق الفرنسي والإنجليزي قد يبدو طبيعيا نتيجة سنوات الاحتلال الفرنسي والإنجليزي للوطن العربي والهند، ولكن في ألمانيا لم يكن الاستعمار مسألة مهمة، بل كانت علاقة المستشرقين بالشرق علاقة لغوية بحثية، ولا نجد في ألمانيا في القرن الـ19 وأوائل القرن العشرين دراسات استشراقية سياسية أو اقتصادية، لذلك فالاستشراق الألماني مختلف عن الاستشراق الفرنسي والإنجليزي. وأضافت: لدي ترجمات بالعربية والفارسية والتركية والآرية، ولدي شغف بالحضارة الإسلامية منذ طفولتي، ونتيجة لجهودي في تدعيم أواصر القربى بين الشرق والغرب حصلت على جائزة السلام التي يمنحها اتحاد الناشرين الألمان لكاتب أو شاعر أو مفكر ساهم في ثراء الفكر الإنساني.

وأشارت أنا ماري إلى أن الترجمة عن الشعر الفارسي والتركي والكتب العلمية عن الحضارة الإسلامية ليست من الكتب الراجعة في سوق الكتاب الألماني.

والمتقف والسلطة

أثارت ندوة «المتقف وسلطة الرأي العام

وبعد ذلك للآخرين الحرية فيها. خاصة
أنني أكتب باللغة الإنجليزية عن هموم
مصرية عربية.

وإذا كانت روايتي السابقة «في عين
الشمس» تعرض تساؤلات إباحية حول
الجسد، فروايتي الجديدة تطرح مشكلات
تهم الغرب والغربيين، عن قضايا وطنية
في الشرق الأوسط، مروراً بالاستيطان
الإسرائيلي في فلسطين، وبالتالي أتوقع
أن أتعرض لمشاكل هناك شبيهة لما
تعرضت له هنا، وليس لنا في النهاية إلا
أن نكتب بصدق وأن ندافع عن كتاباتنا.

ظواهر

● زيادة أعداد الجمهور، وغلبة الطابع
الأسري، على زيارة المعرض، وعدم
فعاليتها في حضور الندوات والمناقشات،
فضلاً عن عدم الإقبال على شراء الكتب.

● ظهور الباعة الجائلين في المعرض
بشكل لافت للنظر، لبيع أشياء لا علاقة
لها بالثقافة والكتاب.

● بسبب خطأ روتيني من وزارة
التجارة والتموين تأخر وصول كميات
كبيرة من الكتب لدور النشر العربية.

● شهد المعرض احتفاليات خاصة
على هامشه، مثل احتفالية أيام الشارقة
العاصمة الثقافية للعرب لعام 1998،
واحتفالية مشروع اليونسكو «كتاب في
جريدة».

● غياب الكثير من الكتاب والمثقفين
المصريين عن المعرض، وكثرة الاعتذارات،
أدى إلى إلغاء العديد من الندوات أو
محاولة فيزكتها.

● الدور السورية واللبنانية تميزت
كتبها بارتفاع أسعارها مقارنة بدخل
غالبية جمهور المعرض.

إن استفحال ظاهرة استخدام العامية في وسائل الإعلام العربية المراثية والمسموعة والمقروءة، إضافة لشيوع استخدام المفردات والمصطلحات الأجنبية بشكل واسع في بعض المنابر الإعلامية، أو الإغراق في اللهجة المحلية بات يشكل خطراً على الفصحى التي تعتبر الرابط الأقوى على الصعيد القومي، وصلة التواصل المفهومة بين جميع أفراد الأمة العربية ... هذه الموضوعات كانت محور ندوة عقدت مؤخراً في دمشق تحت

اللغة العربية والإعلام في عصر التكنولوجيا تراجع

النص وثقافة الطيبة

• رسالة دمشق: علي الكردي

عنوان: «اللغة العربية والإعلام»، ويأشرف مجمع اللغة العربية لأهمية هذا الموضوع تابعت «البيان» مجريات الندوة، فالإكم حصيلة ما توصلنا إليه.

اللغة تراث الأجداد

أكد الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية في حديثه على مكانة اللغة بالقول: «حديث اللغة جميل ومحبيب، يوافقك كل يوم بجديد، وتحمل اللغة في حياة الأمة المحل الأرفع، لأنها وعاء الفكر، وأداة التعبير والتواصل بين أبنائها، توثق صلاتهم، وتقوي روابطهم، وتشد لحمه الوحدة بينهم، وهي مستودع نخائر الأمة، ونفائسها وتراثها، تصل حاضرها بماضيها، وقد أهلها موقعها لتكون العامل الحاسم في تحديد هوية الأمة وتأكيد شخصيتها».

وسائل الاعلام المقروءة من صحف ومجلات ودوريات مجالاً لبحثه، مبيناً أن هذه الوسائل من أخطر مجالات نشر المعرفة في عصرنا لما تحتويه من مواد ذات صلة بالفنون الأدبية والفن والاجتماع والاقتصاد... الخ لذلك هي أخطر الوسائل في إذاعة اللغة ونشرها، وهي قد تكون وسائل هدامة، أو بناءة فما يسود هذه الوسائل يعتبر مخالفة للغة البيان، ومخالفة للقواعد النحوية والصرفية والأسلوبية، كما تعرض الدالي لوضع الطلاب في مختلف مراحل الدراسة، وضعفهم الشديد باللغة العربية، واقترح في ختام بحثه: ضرورة التزام وسائل الاعلام بالفصحى، وضرورة أن يعين محررون، ممن يتقون اللغة العربية مع الاهتمام بالقررات والمناهج التعليمية، وطرق التدريس.

بين الماضي والحاضر

ركّز الكاتب والأديب نصر الدين البهرة على الضعف العام بالعربية وأصولها في مختلف مستويات الدراسة، وقارن بين مناهج التعليم خلال الخمسين سنة الماضية، وخلص إلى أن نمو التعليم كان في الماضي عمودياً في حين بات الآن ينمو أفقياً، وتحدث البهرة عن شيوع العامية في المسلسلات الدرامية لسهولة التعامل معها من قبل الكتاب، ولعدم اعتياد الأذن على الفصحى في لغة الحوار، لتجاوز هذه الاشكاليات قدم عدة اقتراحات:

- أ- وجوب تقديم دروس تقوية للعاملين في وسائل الاعلام في مسائل اللغة العربية، على أن يكون حضورها إلزامي.
- ب- ضرورة وجود دائرة من المراجعين

وأوضح د. الفحام: أن أجدادنا أدركوا أهمية العناية باللغة، فصانوها من عبث العابثين، وخطأ الجاهلين، وخلفوا تراثاً حافلاً، يحفظ للغة أصالتها، ويتمسك بأصولها وقواعدها وابتكروا من المصطلحات والأساليب التي تستجيب للمعاني والمستجدات الجديدة ما جعل العربية طاقة متجددة، لا يتوقف عطاؤها على الدوام.

اللغة والفضائيات

الاستاذ جورج صدقني، تناول في محاضراته اللغة المستخدمة في القنوات الفضائية، واعتبر أن هذه المحطات تشكل غزواً ينال من اللغة العربية ويحط من قدرها، لصالح اللهجات المحلية التي تبثها كل محطة على حدة، وكمثال على ذلك تكلم صدقني عن استخدام اللهجات العامية في مصر، وغلبتها في وسائل الاعلام، وهذا الحال برأيه ينطبق على الاعلام السوري، وخاصة المسلسلات الدرامية التي أصبحت تنقلنا من لهجة إلى أخرى حسب المناطق السورية، وظهور الفضائيات ترسخ شيئاً فشيئاً عند الناس «أن الفصحى لا تصلح للدراما التلفزيونية»، وقدم صدقني دراسة عن الأغلاط التي تحتويها جريدة الأهرام المصرية باستخدامها العامية بكثرة، وختم حديثه بالقول: إن الخطر الأكبر يأتي من القنوات الفضائية التي تعزز اللهجات المحكية.

كيفية النهوض باللغة

حدد د. محمد أحمد الدالي، في بحثه: «في وسائل الاعلام: ثقافة كتابها ولغتهم»

إلى اللهجة الدارجة. ب- بعض الألفاظ الأجنبية كثيرة التردد على السنة المذيعين دون مسسوخ، وهذا قلما يوجد في الصحافة المقروءة. ج- نتيجة الإيغال في التفرنج، واللهات وراء كل ما يصدر عن الغرب اتخذت بعض المؤسسات الاعلامية أسماء أجنبية مثل LBC و Orbit و A.R.T، بينما ابتعدت الصحف عن هذا المطب، وعدد المحاضر مأخذه على أسلوب النطق والنحو والصرف عند المذيعين، بينما الصحافة المقروءة تنجو من هذا.

الصحافة والتجديد

اعتبرت د. مها قنوت أن الصحافة المقروءة قدمت نوعاً من التجديد في حركة اللغة العربية، وذلك من خلال عاملين. 1- خارجي وهو ما يتسرب إليها من خلال الترجمة واللغات الأجنبية. 2- عن طريق الابتكار مستخدمة النحت والقياس والاشتقاق، أما الإذاعة والتلفزة فهما سيلتان نافذتان كثيراً في البيئة الاجتماعية لكنهما أقل التزاماً بالشكليات من الكتابة الصحفية، حيث لغة الإذاعة هي الاتحاد الحقيقي بين لغة الكتابة ولغة الحديث، وانتهت د. قنوت محاضرتها بالقول: إن صراع الفصحى والعامية قد تحسمه لغة الاتصال بال جماهير التي تخاطب المتعلم والامي معاً، وهذه اللغة برأيها هي لغة الفصحى المبسطة التي تفي باحتياجات التطور والمعاصرة.

الفصحى فقدت سيطرتها

الاستاذ محمود فاخوري، قال في محاضرتة: إن العربية، كانت لغة التفاهم والتواصل، ولغة الكتابة والتأليف، لذلك

المدققين اللغويين ذوي الأهلية، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج. ج- عرض ترجمات الافلام والتمثيلات والبرامج على المدققين اللغويين قبل طباعتها على أشرطة الخ. نعتقد أن اقتراحات الاستاذ بحرة، نافلة، لأنه من البديهي أن يكون لكل مؤسسة إعلامية مدققون لغويون يقومون بهذه المهمة.

دور وسائل الاعلام واللغة

د. سعد محمد الكردي، تحدث عن أهمية وقدره وسائل الاعلام على تنمية الملكة اللغوية عند الانسان العربي، وبذلك تقدم هذه الوسائل خدمة قومية جليلة بالحفاظ على أمتن رابط يجمع بين العرب، وطالب الكردي- من أجل ذلك- باستخدام لغة عربية فصحي، بسيطة ومعاصرة، خالية من الاخطاء، واستعرض الكردي واقع الخطاب الاعلامي وأخطائه، وقدم أمثلة كثيرة من الصحف، والسينما، والمسرح، ولغة الاعلانات ... بعدها طالب بالسعي لخلق بيئة سماعية ملائمة تنهض بالمستوى اللغوي وتساهم في تنمية ملكات المتلقين اللغوية.

الصحافة المقروءة والمستوى الأفضل

قارن د. عمر دقاق في محاضرتة بين الاعلام المقروء والاعلام المرئي والمسموع واعتبر أن الصحافة المكتوبة أحسن حالا من صحافة الإذاعة والتلفزة ويتجلى ذلك بعدة أمور: 1- العامية سائدة على السنة المذيعين بينما الصحافة المقروءة لم تزل

الجماعة، والعبث بها عبث بالوطن، وهو كتلوٲث البيٲة، ولهذا ٲجب عدم قبول أي إعلان باللغة المحكية، وتخليص الاعلانات في التشويه اللغوي.

لغة الاعلام

الدكتور تركي صقر، رئيس تحرير جريدة «البعث» السورية بين خصائص اللغة الإعلامية المنفتحة على مصطلحات الحضارة الراهنة، مختصرة ومكثفة تؤدي المعنى بأقل الألفاظ والكلمات، وأقصر العبارات، دون أن تهبط باللغة إلى العامية والابتذال، واعتبر أن وسائل الاعلام قادرة على تكوين لغة تساهم في تخليص العربية من عثراتها، وتقديم اللغة للناس بشكل جذاب.

من جهة أخرى رأى أن اللغة الاعلامية قادرة على استيعاب معطيات الحضارة في كل المجالات، ثم قدم ما رآه مناسباً في اقتراحات للنهوض باللغة والاعلام معاً. من الواضح ظهور تباينات في الرأي بهذه الندوة بين المختصين باللغة، وبين القائمين على وسائل الاعلام، الذين حاولوا التركيز على دور وسائل الاعلام في تطوير اللغة، لكن الكل متفق على أن اللغة هي وعاء الأفكار، وحامل الثقافة والوعي، ومن يفرض لغته، يسيطر ثقافياً وفكرياً، من هنا أهمية أن ندرك حساسية دورها، وضرورة الحفاظ عليها وتطويرها بما يتناسب مع روح العصر، لتكون لغة مرنة- عصرية- تستجيب لمتطلبات التقدم العلمي- التقني، ولعل للاعلام والاعلاميين العرب دور كبير في الوصول إلى هذا الهدف، فهل هم مدركون ومؤهلون بما يكفي للقيام بالدور المناط بهم؟

كان لها الهيمنة في كل المجالات، وقد استمدت قوتها من كونها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، لكن مع سيطرة وسائل الاعلام، التي أخذت دورها في نقل المعرفة، أصبح التعليم في غالبه يتم خارج المدرسة، فقد احتكرت وسائل الاعلام المعلومات، وهذا ما حطم أهمية الكتاب، لتصبح اللغة فيما بعد أمام امتحان عسير في مواجهة وسائل الاعلام. وهذا ما جعلها تفقد سلطانها أما الضعف العام في اللغة فيتحمل مسؤولية العاملين في حقول الاعلام.

تجاوز الصعوبات

د. محمود السيد ركز في ورقته على الكلمة المكتوبة ووازن بينها وبين الكلمة المسموعة، وعرض لواقع استخدام اللغة العربية والسبل المطلوبة للارتقاء بأدائها قائلاً: لا بد من تنمية الاحساس بالمسؤولية تجاه الكلمة الفصيحة والمراجعة الدقيقة لما ينشر وإقامة دورات تدريبية، وانتقاء العاملين في أجهزة الاعلام على أساس الجدارة والكفاءة والتنسيق بين المؤسسات الاعلامية والمنظمات لتذليل الصعوبات اللغوية.

اللغة والاعلانات

اللغوي المعروف، الدكتور مسعود بوبو، رصد لغة الاعلانات، واعتبرها تشكل جزءاً من السيطرة الأمريكية، وأكد أن المسميات الاعلانية تبدو خليطاً من اللغة العربية والأمريكية خاصة، وإذا ظل الأمر هكذا سيصبح لدى أجيالنا القادمة لسانان، وقال: إن اللغة ليست سلعة تبذل في السوق التجارية، لأنها ملك

عندما كان يوجد أحد ما حازم وقاطع،
وعلاوة على ذلك متغطرس ومتعجرف
في قناعاته، كان القدماء يقولون: (Qujd
(Licetjovi, non Licet bovi) أي ما هو
مسموح به لجوبيتره ليس مسموحاً به
للثور. وهذا يعني أن العبقري هو أعلى
صورة لإمكانيات الإنسان الروحية
والذهنية. ولو شئنا أن نوضح ذلك من
خلال وجهة نظرنا وخبرتنا، فهو نوع
محدد من الشذوذ أو الخروج على القياس.

هل مسموح لـ «جوبيتر» كل شيء؟ وهل مسموح لـ «سولجينييتسكي» أن يكره «جواكي»؟

ونحن نغفر له كل ما لا يمكن أن نغفره
حتى لأنفسنا. وبالتالي نأخذ آراء الإنسان
المشهور، ذائع الصيت، بثقة تامة. وأحيانا
تلتقط آذاننا في إبهام وغموض شديدين:
كلمات ما وجمل تبدو وكأنها متتابعة
ومتسقة وهارمونية، إلا أنها في واقع
الأمر تنطوي على الكثير من التعرجات
والمنحنيات الفكرية والتطرف والمبالغة.
وبالطبع فنحن لا نحاول أن نجهد أنفسنا
بالتفكير فيها. فليس لدينا وقت. فهل من
الأفضل لنا أن ندور حول الحجر الذي
يسد الطريق، أم من الصعب علينا أن نلقي
به جانبا؟ فلربما اصطدم به أحد وانكسر
عنقه، وهذه طبعاً. وكما يقولون الآن -
مشكلته...

لم يتيسر لنا قراءة الوثائق

ليست هناك حاجة لإثبات أن الكسندر

تأليف / د. فاديم بارانوف

ترجمة / د. أشرف الصباغ

• عن «الجريدة
المستقلة» الروسية.

فبمجرد ظهور «أرخبيل الجولاج» بمجلة «نوفي مير» -العالم الجديد- عام 1989م، قامت صحيفة «أرجومنتي أي فاكتي» -الأدلة والحقائق- بنشر نتائج استقصاءات أحد المتخصصين في التاريخ تحت عنوان: (أرخبيل الجولاج): يعيرون الكاتب (الإحصائيات). وما هو ما تم اكتشافه: عدد المقبوض عليهم بالمقارنة مع الذين أطلق سراحهم - يكتب سولجينيستين - كان من حيث الجوهر ضئيلاً للغاية. ففي عام 1939م شكل نسبة من 1/ إلى 2/، بينما تستخدم الإحصائيات الرسمية أرقاماً مخالفة تماماً. ففي الحبس آنذاك كان هناك 134 ألف شخص. وأطلق سراح ثلاثمائة وسبعة وعشرين ألفاً وأربعمائة شخص، أي 24,4%.

ربما كانت جميع الأرقام في حاجة إلى تدقيق إضافي. ولكن إذا كان المصدر في إحدى الحالتين معروفاً، ففي الحالة الثانية - في «أرخبيل الجولاج» - غير معروف على الإطلاق. وإذا أخذنا بشهادات الشهود الأحياء المعاصرين عما كان بالنسبة لمصائرهم وما حدث لهم مأخذ الحقيقة، فلا يمكن أن نعرف إطلاقاً من أين يمكن أن تظهر لدى أي واحد منهم تلك الأرقام التعميمية عن «الجولاج» في عمومه.

وهكذا فالانطباعات الخاصة أو الشخصية عما يراه الإنسان ويمر به، وعن الحقائق الدامية - شيء، والأفكار التعميمية المستندة إلى حقائق التجربة الشخصية شيء آخر تماماً. ليس من هذه النقطة تحديداً يأخذون المبادئ والمواد الأولية للأساطير والحكاوي التي تدور حول معسكرات الاعتقال؟ وكما يقول سولجينيستين نفسه، الناس في معسكرات الاعتقال يميلون إلى صنع الأساطير.

ايسايفيتش سولجينيستين قد احتل مكانة متميزة للغاية في حياة مجتمعنا. وأنا كباحث أدبي أرى أن مهمتي هنا هي الإدلاء بالرأي بشسآن بعض الأفكار والقناعات المتطرفة عند الكسندر ايسايفيتش حول الأدب ومسألة الشهرة والنفوذ فيه. مع تأكيد الشديدي بأن هذا الحديث يلح على منذ فترة طويلة.

... في أشهر كتبه على الإطلاق «أرخبيل الجولاج»، حدد المؤلف بنفسه جنس العمل الأدبي بأنه بحث فني. وهناك الكثير الهام الذي قيل حول طبيعة الطريقة التي تم اتباعها في ذلك. على سبيل المثال حول «التأثير النفسي» عندما يرتكز الباحث - الفنان في أكبر قدر من الحدود على حدسه النفسي، ومن ثم يقطع إلى الهدف مباشرة دون السعي إلى التسليح، كما يقال بالاحصائيات الكاملة للحقائق. ولكن سولجينيستين كمفكر بارز - خارج على القياس - وكرجل متخصص في علم الرياضيات، يدرك ليس فقط غلبة البحث الفني وتفوقه، وإنما أيضاً محدوديته.

«أنا لا أتجاسر على كتابة تاريخ الأرخبيل: فلم يتيسر لي قراءة الوثائق». وبعد ذلك: «جميع الوثائق المرتبطة مباشرة بالأحداث قد أبيت، أو تم التحفظ عليها في سرية تامة، الأمر الذي يجعل الوصول إليها مستحيلاً... ومعظم الشهود قد قتلوا، أو ماتوا. وهكذا فكتابة بحث علمي عادي وبسيط يستند إلى الوثائق والأرقام والإحصائيات، ليس فقط مستحيل بالنسبة لي الآن... بل وأخشى ألا يتيسر ذلك لأحد إطلاقاً... إن طريقة البحث العلمي في الاتحاد السوفييتي قد أغلقت تقريباً».

لم يكن تنبؤ الكاتب صحيحاً تماماً.

موت الصبي وولادة الأسطورة

بالنسبة لزيارة جوركي لمعتقلات «سولافكي» عام 1929م فهم يروون الآتي: صانف وأن التقى الضيف، الذي كان يركب الكارثة، في طريقه طابورا من المساجين الذين كانوا يحملون على اكتافهم جذوع الأشجار الثقيلة. وظهر من بين المعتقلين أحد ما كان قد رافق جوركي في أحد الأزمنة بالسجن. توقف المعتقل وتمكن من أن يحكي لجوركي عن وضعه ووضع رفاقه المتردي للغاية. ترقرت الدموع في عيون الضيف رفيع المقام، وقال بصوت ضعيف: «اكتبوا عرضة». لمن؟ وإلى أين؟ بقي ذلك غير معروف. وانطلقت الكارثة. أما جوركي فتمتم منائرا: «هنا نور، ولكن حسب التوقيت الزمني فقد حل الظلام الآن في موسكو». ولم يقل السائح، عاشق جمال الطبيعة أي شيء آخر غير ذلك.

هذه القصة نعرفها من مذكرات البروفيسور المتخصص في الجغرافيا يوري تشيركوف الذي يرفق الحكاية بالعديد من التعليقات الهامة: «كانت هذه الأحداث تحكى في الأدب الشعبي بمعتقلات سولافكي بهذا الشكل تقريبا». إضافة إلى ذلك يبرز سؤال جوهري: إذا كان قد افترق كل من طابور المساجين وكراته جوركي، فمن الذي استطاع أن يسمع نمتمة جوركي المتأثرة؟ من المستحيل أن يكون يوري ذاته، والذي كان لا يزال صبيا مراهقا في ذلك الوقت، هو الشاهد على ذلك الحديث، هذا لسبب بسيط جدا، وهو أنه جاء إلى المعتقل بعد ست سنوات من زيارة جوركي xx.

من الواضح أننا أمام أسطورة. وهي ليست بريئة تماما. إلا أنها تتضائل، بل

وتتلاشى كلياً بالمقارنة مع الأسطورة الأخرى المسجلة في «أرخبيل الجولاج». الكثيرون منا يذكرون قصة الصبي الآخر الذي كشف، وعلى انفراد، لجوركي الحقيقة المرعبة عن معتقلات سولافكي. وبمجرد رحيل الكاتب - «ما كادت تبتعد باخرته حتى أعدموها الصبي رميا بالرصاص».

سولجينيتسين يوجه اتهاماً: «طبيب القلوب! الخبير بالناس! كيف استطاع ألا يأخذ الصبي معه؟» (وكان الأمر بهذه الدرجة من البساطة والسهولة حتى يتمكن أي شخص - حسب رغبته - من أخذ سجين ما من مكان الحبس!) أما الأمر الآخر غير المفهوم: إذا كان الحديث قد جرى على انفراد، فلأي سبب أعدمو الصبي المسكين دون حتى أن يجروا أية محاولة للاستفسار عن مضمون الحوار؟ ومع ذلك فالمسألة ليست حتى في هذه الترهات. هل من المعقول ألا يوجد بين المعتقلين ولو حتى واحد ممن يمكنهم أن يتذكروا لقب الصبي ثم يكشف عنه بعد إطلاق سراحه؟

إن شهرة سولجينيتسين كمناضل ضد التعسف الاجتماعي كانت ضخمة لدرجة أن الناس قد تقبلوا قصة الصبي كحقيقة لا مرأ فيها. إضافة إلى أنهم عندما يردون وصف فظائع معتقلات سولافكي، يقولون: «بشهادة سولجينيتسين». تلك المزايدات التجارية الحدة المضادة لجوركي كانت مصحوبة تحديدا بهذه الصياغة في رواية توم يميليان حول شليابين، والتي أذيعت بالراديو وأحدثت ضجة عالية مصحوبة بإعلانات واسعة النطاق. يمكن بالطبع الحديث عن رأي أو تأكيد، أو حتى قناعة سولجينيتسين، ولكن ليس عن الشهادة (التي لا تنتمي على وجه التحديد

والقيل والقال، والإشاعات المغرضة، إنه ببساطة يستقبلها كحقائق، ثم يدعمها ويقويها بأفكار كاتب المذكرات المستقل». لقد حظيت الشواهد المشكوك فيها، أو ببساطة غير المؤثرة، والآراء السطحية التعميمية، بانتشار واسع في العالم كله، وبكميات هائلة حيث وصل فقط عدد النسخ من مجلة «العالم الجديد» التي طبعت فيها «أرخبيل الجولاج» إلى أكثر من مليون ونصف.

مكسيم جوركي مفني «الجولاج»

إن القارئ المتيقظ يمكنه ملاحظة أن اسم جوركي يقابل كثيراً في كتب سولجينيستين، في (جناح مرضى السرطان) كما في (العجلة الحمراء)، الأمر الذي لا يدعوا بداهة. إلى الاندهاش، لقد احتل جوركي مكانة عظيمة في المنظومة الروحية للبلاد، ووضع في واحدة من أرفع الدرجات الممكنة. لم يضعه الزمن أو اهتمام القرار أو المجد العالمي فقط، وإنما أيضاً القيادة الحزبية الحاكمة آنذاك في البلاد. وما هو سولجينيستين، ولأسباب مفهومة تماماً، لا يكن ولو حتى أدنى مظاهر الاحترام لهذه القيادة. وقد أصبحت تلك العلاقة عدائية تماماً عندما قبض على الضابط الشاب، وهو في زهرة سنوات عمره، في نهاية الحرب، وتكشفت أمام عيني الحقيقة المرعبة لـ«جولاج»، ولتلك المنظومة القذيمة لمعسكرات الاعتقال، والتي امتدت على مساحات شاسعة وصارت مكاناً لمصرع عدد هائل من البشر التعساء الذين كانوا في أغلب الأحيان أبرياء. إنها تلك المنظومة التي جعلت العالم كله يرتعد من الهلع بعد أن عرف عنها من «أرخبيل الجولاج».

إلا إلى الشخص الذي رأى فقط). إن الكسندر إيسافيتش لم يذهب أبداً إلى معتقلات سولافيك، لا في فترة زيارة جوركي ولا حتى بعدها. ولا يذكر إطلاقاً. ليس فقط في كتابه السري «أرخبيل الجولاج»، وإنما أيضاً في أعماله التي تلت ذلك. ولو حتى شهادة حقيقية واحدة عن دراما معتقلات سولافكي. ولذلك، ففي نهاية الأمر، تكتسب تلك العبارة الماثورة من «حياة كليم سامجين» دلالة مفاجئة: «هل حقاً كان هناك صبي؟ ربما لم يكن هناك أي صبي من أصله؟».

ومع ذلك فمجمّل الآراء النقدية المضادة لسولجينيستين تتوالى وتتزايد في خصوصية وتأكيد من أفواه مساجين «الجولاج»، ومن أفواه من استطاع منهم أن ينجو. لحسن حظه طبعاً. ويخرج إلى الحرية. فالكايت اليج فولكنوف قضى في المعسكرات والمنافي 27 من 97 سنة (بدأ «خط سيره اللئيم» من معتقلات سولافكي على وجه التحديد)، وما هو يتأمل الماضي يعيون المعتقل: «.. ليس من السهل التخلص من القناعات الانتقامية. يقول فولكنوف. يمكن الاستشهاد بأعمال سولجينيستين والاستناد إليها. ففيها لم يتوقف ولو مرة واحدة الحقد الدفين الذي لم ينطفئ أبداً». «.. كم هو مؤسف أن سولجينيستين يسمح في الكثير من المواضع بدخول نغماته الشخصية الثرثرة، مع العلم بأنه توجد أمامنا الشهادات التاريخية».

تلك الخصوصية للكسندر إيسافيتش، وفي ظروف أخرى، يشير إليها فلاديمير ياكوفليفيتش لأكشين الذي كان يعرف سولجينيستين جيداً في مجلة «العالم الجديد»: «إن سولجينيستين ليس غير مبال تماماً بالثرثرة، والنميمة،

تجربته الشخصية يصف رحلة جوركي بأنها كانت تعبيرا عن الحل الوسط بين العبقرية والسلطة. «لقد أفهموا جوركي، بأنه إذا استطاع رفع جميع التهم عن المعسكر، فسوف يخفف النظام الحكم. وعلى الأرجح هذا ما كان بالفعل... نفذ جوركي وعده، وتم تخفيف الحكم عن المعسكر. لم تكن هناك حالات إعدام»، لذا، فهل من الممكن أن يكون موقف جوركي وقتها ليس صحيحا مائة في المائة؟

لماذا عاد جوركي إلى الاتحاد السوفييتي؟

عندما وصف سولجينيستين رحلة جوركي التي استمرت يومين بناء على الاقاويل والافتراضات استنتج العديد من الامور ذات الطابع التعميمي. وسوف نوردها كلها هنا: «لقد سجلت المظهر الذليل لجوركي، بعد أن عاد من إيطاليا واستمر به حتى وفاته، سجلته بشكل فيه مغالطات كثيرة وبصورة مفرطة في التطرف. ولكن رسائل العشرينيات التي نشرت منذ فترة غير بعيدة تعطي دفعة لتفسير ذلك علينا أن نحط وأوضع، تفسيره بالانتهازية، فجوركي الذي يعيش في «سورينتو» لم يجد، ولدهشته، المجد العالمي من حوله، ثم أيضا الاموال (كان يمتلك عربة مليئة بالخدم). وأصبح من الواضح أنه من الضروري العودة إلى الاتحاد السوفييتي من أجل الاموال والمجد، ومن ثم قبل بجميع الشروط. حينئذ أصبح أسير «ياجودا» بمحض إرادته. وقد قتله ستالين عبثا، بسبب الاحتراس الزائد، وقد كان من الممكن أن يتغنى بأحداث عام 1937م».

هذه السطورة تجعل أي إنسان على

إن سولجينيستين يصدر حكما بالإعدام، وبدون رحمة، على جوركي: «لقد قتله ستالين عبثا، بسبب الاحتراس الزائد، وقد كان من الممكن أن يتغنى بأحداث عام 1937م».

القارئ سريع البديهة لا يمكنه هنا أن يتجنب التفكير في تلك الكلمة البسيطة التي يذبح بها سولجينيستين، وبشكل عابر، أستاذ فن الكلمة: «أن يتغنى». أي أنه كان سيفرح ويبتهج لتلك المفردة البشعة التي ادارها فريق ستالين لإغراق البلاد في بحار من الدماء..

لقد كان صيت سولجينيستين والإثارة التي أحدثها كتابه الفاضح يشكلان هالة في غاية الضخامة، الأمر الذي أدى إلى دخول الاستنتاجات الشخصية - الذاتية التي توصل إليها الكسندر إيسايفيتش إلى الأدبيات العلمية كحقائق غير قابلة حتى للنقاش. وفي كتاب «الحصيلة اللغوية للادب الرومي في القرن العشرين» للباحث الأدبي الألماني الكبير فولفجانج كاناك نقرأ: «بعد عودته إلى البلاد» وقف جوركي بشكل كامل إلى جانب النظام الموجود، بل وحتى تقدم للدفاع عن الذين حولوا معسكرات العمل الإصلاحية إلى فظائع» (انظر: 1. سولجينيستين، «أرخبيل الجولاج»، الجزء الثاني، 1974م، ص 61-85). هنا، وكما نرى، بفضل مؤلف «أرخبيل الجولاج»، ترسخت المصطلحات القطعية الحاسمة في النقد: «وقف بشكل كامل»، «كان موافقا في كل شيء مع لينين وستالين»، «جوركي بعد عودته لم يرفع صوته ولو مرة واحدة للدفاع عن الشعب، وعن الثقافة، والحقيقة، والعدل، والقانون... الخ».

وها هو ديمتري ليخاتشيف الذي عرف جيدا معسكرات سولافكي، ومن

الدائم، وهي بالذات الشيء الذي حركه ودفعه للعودة إلى الاتحاد السوفييتي. وهذا هو أيضاً ما لا يريد سولجينيستين أن يفهمه أو يعترف به.

إن مجد وشهرة ألكسندر إيسافيتش ليس لهما حدود. ولكن حتى جوبيتير نفسه لا يمكن أن تواتيه الرغبة في أن تكون كفة تطرفه أثقل من كفة مجده. وعلى أية حال، فعندما منحوا جائزة نوبل في الأدب لأول روسي (إيفان بونين عام 1933م-أ.ض.) قالت الشاعرة مارينا تسفتايفا وهي تجري مفاضلة، كلمتها الرائعة: «جوركي هو العصر».

ويبدو أنه من الواضح أن لا أحد بإمكانه دفن العصر!

هوامش:

* خطأ حسابي في تحديد النسبة المئوية، وكاتب المقال يسوقه هنا للتدليل على دقة سولجينيستين أو بالأحرى عدم دقته في الحسابات كما في الإحصائيات التي تنعكس بدورها على ما يورده من حقائق في عمله الشهير «أرخبيل الجولاج»، وبشكل عام في أفكاره حول قضايا عديدة. (أ.ض.)

* هذه «الحكاية» دخلت إلى الأدبيات على لسان يوري تشيركوف في الوقت الذي لم ير هو فيه أي شيء. كما يذكر كاتب المقال. ولكنه سمعها فقط من المعتقلين، وبعد 6 سنوات. (أ.ض.)

دراية ولو بسيطة بتاريخ حياة جوركي يتصعب من العرق. ومع ذلك فلن نقع في مصيدة الانفعال. فبالنسبة لـ«المغالطات»، لا توجد فائدة من الجدال حولها. أما الإفراط في التطرف، فهو بالفعل موجود، وفي كثير من الأحيان بصورة ضخمة. ولكن الملاحظة حول مظهر جوركي بداية من العودة وحتى الوفاة بأنه لم يتغير، فهي ملاحظة غير صحيحة ولا تتطابق مع الواقع. فقد تغير موقف جوركي، تحول إلى الانتقاد، وصار ضد تنامي الذاتية، وضد تقوية التوتاليتارية الستالينية، الأمر الذي أدى إلى مقتله. وهذا ما لا يستطيع، وما لا يريد أن يفهمه أن يعترف به سولجينيستين. أما بخصوص رسائل العشرينيات، فلا أحد يعرف ما هي هذه الرسائل، ولا من أين أتى بها سولجينيستين، وبلى وأين هي الآن لكي نطلع نحن أيضاً عليها. ولكن تفسير العودة بإنها انتهازية، فهذا يعني قبل كل شيء عدم فهم نطاقات تلك العبقرية الجوركو فيه التي وصفها بوريس باسترنك بجملة التي دخلت التاريخ: «الإنسان العابر للمحيطات».

بقي فقط أن نضيف كلمة الباحث التاريخي روبرت كونكفيستا مؤلف كتاب «الإرهاب الكبير»: «كان من المستحيل أن يبدأ هذا الإرهاب أثناء حياة جوركي». ولكن ما الذي حرك جوركي، ودفعه في واقع الأمر عندما اتخذ قراره بالعودة إلى الاتحاد السوفييتي، فهذا ما استطاع أن يفهمه بشكل جيد معاصروه من المهاجرين مع كل ما كان من تباين واختلاف وتعارض في مواقفه ومواقفهم. وبشهادة أعظم العقول الروسية التي خرجت من روسيا آنذاك، فقد كانت فكرة «تنوير» البلاد هي همه

في العدد القادم:
ملف: اللغة.. والحقوق اللغوية

لوحة الغلاف: الفنان الكويتي محمد قمبر

B777 ... إضافة جديدة لإسطولنا



الخطوط الكويتية
تفتكم غداً

بالرغم من إطلاقنا لواحد من أحدث أساطيل الطيران في العالم فهناك عزم دائم على الاستثمار في التجديد والتطوير. والحركة الدورية لمسافرتنا تستحق منا بئال قصارى الجهد لتوفير الأحدث والأفضل دائماً. لذلك فنعقد سفرك معنا، فإن تجد فقط أسطولاً مكوناً من أحدث طائرات البوينغ وطائرات الباس الجوي، بل سوف تجد أيضاً مقاعد متطورة تراكي القرن الحادي والعشرين. هذا فضلاً عن وسائل الترفيه والتسليّة وخدمات رجال الأعمال غاييتنا دائماً اكتساب تفكّم لفتخر بكم على متن الخطوط الجوية الكويتية.